الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف-المسيلة-

كلية الآدب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

# محـــــاضرات
# في النص الأدبي القديم-الشعر-

**مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة الأولى ليسانس** L.M.D

من إعداد الدكتورة:
حكيمة بوشلالق

السنة الجامعية: 2021-2022

بسم الله الرحمن الرحيم

# مُقَدِّمَة

**مقدمة:**

الأدب مفردة أساسية من المفردات التي تشكل هوية الأمة وتحدد ملامحها الفكرية والحضارية في إطار الحقبة التاريخية التي ينبثق فيها النص الأدبي، عبر امتداد العصور والحقب التاريخية التي ساهمت بدورها على ضخ المعطى المشترك الذي تقرره طبيعة الأمة وممارستها الحضارية عبر التاريخ.

ولقد أدى الأدب العربي القديم هذه المهمة في فعاليته الإبداعية، لتحسد صورته الكاملة في ظواهر الشعرية التي عرفت منذ العصر الجاهلي إلى عصر صدر الإسلام إلى العصر الأموي ثم العصر العباسي والأندلسي وما تلاه.

فكل عصر أدبي تميز بظاهرة شعرية، فمثلا: العصر الجاهلي انبثقت منه المعلقات وعددها عشرة أو في بعض الروايات المعلقات السبع، وقصائد الصعاليك، وفي عصر صدى الإسلام والفتوحات نظمت المراثي النبوية، وفي العصر الأموي شعر النقائص وشعر العذري والشعر العمري (الغزل وأنواعه)، ليأتي العصر العباسي محملا بقصائد الزهد والتصوف التي تصدت لموجة الغناء والخلاعة، ملتزمة التعاليم الإسلامية، وكان لشعر الحماسة دور كبير في هذا العصر، بالإضافة إلى الشعر السياسي الذي انقسم شعراؤه إلى مدافعين ومناصرين لأحزابهم السياسية ومذاهبهم الدينية وممالكهم (شعر العلويين والعباسيين وشعر الخوارج وشعر السجون، ورثاء مدنهم)، ليأتي العصر الأندلسي وتجديده المبتكر في قصائد الموشحات والأزجال الأندلسية التي اخترق أصحابها نظام القصيدة العمودية التقليدية، فكان لها أسماء وألقاب لموشحاتهم وأزجالهم على غير عادة العرب الأوائل في نظم قصائدهم لنصل في الأخير إلى الشعر الجزائري القديم وما تميز به من أسلوب وتقليد ومحاكاة للشعراء القدماء وما قاله الشاعر الجزائري الفذ بكر بن حماد الشبهرتي.

لجأت في هذه المطبوعة إلى تقديم مادة مفصلة ومبسطة خاصة بالشعر العربي القديم على مدار عصوره المختلفة، وتوضيح جل محاور برنامج مادة الشعر العربي القديم، وتبسيطها وتوضيحها حتى يتمكن الطالب من تحصيلها وفهمها.

حاولت –جاهدة– في هذه المطبوعة أن أقدم لطلبة السنة الأولى ليسانس مادة علمية أدبية بطريقة مبسطة مقتفية الإيجاز قدر الإمكان مع ما يتماشى مع الوقت الممنوح لكل محاضرة، وأيضا لأن المادة الغزيرة جدا وبشكل على الطالب أن يفهم نصوص الشعر العربي القديم، وأحسبني أني قد قدمت له مادة لا بأس بها تكون له إرثا ومرجعا يرجع إليه في كل حين.

لكن الشيء الذي أتأسف عليه –كأستاذة لمادة النص الأدبي القديم–أرى أن سداسي واحد لا يكفي لتقديم مادة ضخمة مثل مادة النص الأدبي القديم (شعرا ونثرا) لكل سداسي، فرغم ما أحدت به من مادة للطالب، إلا أن الشعر القديم يحتاج منا كباحثين أن نلملم شتاته ونصبه في قوالبه التي تشكل موسوعات ضخمة له، لهذا اكتفيت بالاختصار والجمع والشرح بما يفيد الطالب والوقت الممنوح في كل سداسي.

وقد اعتمدت في هذه المطبوعة على مجموعة من أمهات الكتب القديمة التي تناولت الشعر العربي القديم توضيحا وجمعا وشمولية، ومراجع حديثة ذكرت المادة مبثوثة في ثنايها مما أدى بي إلى التركيز وجمعها لكي أقدمها للطالب واضحة وميسورة الفهم، على شكل محاضرات وجيزة.

في الأخير أرجو أنني وفقت في تقديم مادة علمية وأدبية لا بأس بها لطلبة السنة الأولى ليسانس متعلقة بمادة النص الأدبي القديم –شعرا– وتفيدهم على التحصيل والفهم العام.

# المُحَاضَرَاتْ

# المحاضرة الأولى: الشعر العربي القديم تاريخيا وجغرافيا

## أولا: بلاد العرب جغرافيا

جزيرة العرب أو شبه جزيرة العرب، أكبر شبه جزيرة في العالم، تقدر مساحتها 3ملايين كلم$^2$، وكانت في الأزمنة الغابرة الموغلة في القدم مزروعة عامرة بالسكان، إذ تأتيها الرياح الغربية الشبعة بالغيوم، والتي تمطر مرتفعات سورية وفلسطين، فتمطر الجزيرة أيضا مطرا غزيرا تجري به السيول في الأودية الكثيرة والأمطار الغزيرة التي هي سبب الحياة فيها.

ويتميز سطح الجزيرة بسهل منحدر من الغرب نحو الخليج العربي ومنخفضات محاذية لساحل البحر الأحمر، ترتفع ارتفاعا شاهقا إذ يبلغ في الشمال عند مدين تسعة آلاف قدم، ويشمخ في الحجاز جبل السراة الذي يبلغ عشرة آلاف قدم، وفي اليمن جنوبا اثني عشر ألف قدم، وتنحدر الأرض انحدارا تدريجيا نحو الشرق، وانحدارا فجائيا قصيرا نحو الغرب حيث البحر الأحمر.[1]

وترتفع هضبة نجد في المنطقة الشمالية الوسطى حوالي 2500 قدم، وفيها سلسلة جبال تعرف بجبال شمر، وأهم قمها جبل "أجأ" وهو من الغرانيت الأحمر، ويبلغ ارتفاعه 5550 قدما ما فوق سطح البحر، وهناك جبال أخرى تمتد وراء السهول الساحلية من جهات الجزيرة الثلاث تتفاوت في الارتفاع أعلاها الجبل الأخضر الذي يبلغ 9900 قدم، وهو الموضع الوحيد المرتفع من الناحية الشرقية هي منطقة الانحدار.

أما بقية الأرض غير الجبال والهضاب، فإنها في الغالب صحاري ودارات، والدارات سهول رملية مستديرة بين التلال تستقر تحت سطحها المياه، منها بادية الشام التي يعرف قسمها الجنوبي بالجماد، وكذلك بادية العراق التي تعرف ببادية السّماوة.[2]

---

[1] – يحي الجبوري، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، مؤسسة الرسالة، بيروت–لبنان، ط:5، 1407هـ–1986م، ص: 11.

[2] – يحي الجبوري، الشعر الجاهلي، ص: 12.

**ثانيا: الأدب العربي تاريخيا**

**1-تقسيمات تاريخ الأدب العربي وعصوره:**

يرى شوقي ضيف أن المؤرخين للأدب العربي قسموا العصور الأدبية إلى:

أ- عصر الجاهلية أو ما قبل الإسلام.

ب- العصر الإسلامي من ظهور الرسول صلى الله عليه وسلم إلى سقوط الدولة الأموية سنة 132هـ-750م، وهو العصر الذي تكونت فيه الدولة العربية وتمت الفتوح الإسلامية.[1]

ج- العصر الثالث هو عصر العباسيين أو العصر العباسي ويستمر إلى بغداد في يد التتار سنة 656هـ-1258م.

د- العصر الحديث وهو عصر الدول والإمارات، فقد تفككت فيه أوصال الدولة العباسية، وظهرت إمارات وخلافات ودول كثيرة كإمارات الفرس في إيران وما وراءها، وسيف الدولة الحمداني في حلب، والفاطميين ثم الأيوبيين والمماليك والعثمانيين في مصر، والأمويين ثم ملوك الطوائف والمرابطين والموحدين ومن خلفوهم في الأندلس.

وحري أن يبحث الأدب العربي في هذا العصر الرابع ويؤرخ في كل إقليم على حدة، فيكون هناك جزء لإيران والعراق وجزء لمصر والشام والجزيرة العربية، وجزء للأندلس وبلاد المغرب.

ويرى شوقي ضيف أن هذا التقسيم لعصور الأدب العربي أكثر دقة ومطابقة لتطوره وللظروف المختلفة التي أثرت فيه، فإن بغداد لم تعد منذ القرن الرابع الهجري تحتل المكانة الأولى في الحركات الأدبية، بل لقد نافستها في الشرق والغرب مدن كثيرة تفوقت عليها في النهوض بالشعر والنثر تفوقا واضحا.[2]

---

[1] - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة-مصر، ط: 11، (د.ت)، ص: 14.

[2] - شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص: 15.

**2-طبقات الشعراء:**

تم تحديد طبقات الشعراء القدامى إلى: جاهلين، ومخضرمين وإسلاميين ومحدثين.[1]

**أ-طبقة الشعراء الجاهليون:** أمرهم مشهور وذائع، وهم الذين نشأوا في جزيرة العرب قبل الإسلام من الشعراء والبلغاء وأرباب الفصاحة واللّسن والبيان، وهذه الكلمة جمع لكلمة جاهلي من الجاهلية المأخوذة من الجهل ضد العلم، لما كان عليه العرب قبل الإسلام من أمية ظاهرة، أو من الجهل ضد الحلم بمعنى السّفه والطيش وسرعة الغضب لما كانوا عليه من الإسراع إلى الانتقام والأخذ بالثأر وشن الحرب لأتفه الأسباب.[2]

**ب-طبقة المخضرمين:** وهو الذي أدرك الجاهلية والإسلام.

**ج-طبقة الإسلاميون:** نشأوا في الإسلام وتأدبوا بآدابه وقالوا الشعر، متأثرين بالعوامل الجديدة التي نشأت مع الحياة الإسلامية، فهؤلاء إسلاميون يغلب عليهم أن يكونوا قد عاشوا في دولة بني أمية واستظلوا بظلها.

والشعراء الذين تأثروا بالإسلام ومبادئه قد بهرتهم بلاغة القرآن وفصاحته، فانقطعوا عن قول الشعر وعقمت ألسنتهم وبلاغاتهم عن إنشاده، ولم يستمر على صلة ينابيعه، إلا هؤلاء الذين بعدوا عن روح الإسلام ولم يتأثروا به وعاشوا في عزلتهم في البادية، فلما سكنت عنهم هذه الروعة بدأوا في نظم الشعر، ولم يعودوا إليه إلا وقد انتهى هذا العصر وبدأ عصر جديد هو العصر الأموي الحافل.

فكلمة "الإسلاميون" إذا تطلق على الشعراء الأمويين لأنهم عاشوا في ظلال الإسلام وتأثروا بمبادئه وصاغوا حياتهم وفق مبادئه الخالدة إلى حد كبير.[3]

---

[1] – للاستزادة والتعرف على طبقات الشعراء وأسمائهم وحياتهم، ينظر: محمد ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، شرح: أبو فهد محمود محمد شاكر، شركة القدس للنشر والتوزيع، الناشر، دار المدني بجدة، السعودية، المجلد الثاني، السّفر الثاني.

[2] – محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام، دار الجيل، بيروت-لبنان، 1410هـ1990م، (د.ط)، ص: 10.

[3] – محمد عبد المنعم خفاجي، المرجع نفسه، ص ص: 10-11.

## ثالثا: فنون الشعر العربي القديم

### 1-الفخر:

هو من أغراض الشعر العربي الذي جادت به قرائح الشعراء واعتدادهم العظيم بأنفسهم، فتمثلت عواطفهم الفطرية، وعجبهم بأعمالهم وترفعهم عن غيرهم من سائر بني آدام، كقول السموأل مفتخرا بوفائه:[1]

وفيت بأدرع الكندي إني إذا ماخان أقوام وفيت

وقول عمر بن كلثوم، والحارث بن حلزة، يتنازعان المفاخر أم عمرو بن هند مالك الخيرة، فيقول الأول:[2]

إذا ما الملك سام الناس خسفا أبينا أن نقرّ الخسف فينا

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

إذا بلغ الفطام لنا صبي تخرّ له الجبابر ساجدينا

فيجيبه الثاني:[3]

أيها الناطق المرقش عنا عند عمرو وهل لذاك بقاء

هل علمتم أيام ينتهب النا س غوار لكل حيّ عواء

إذا رفعنا الجمال من سعف البحرين سيرا حتى نهانا الحساء

ليس ينجي الذي يؤائل منا رأس طود وحرة زجلاء

وهذه القصيدة مثال حي لصفة الخطيب أو المحامي أمام الملك، بما فيها من استمالة خاطر الحاكم بطلف، ورد حجة الخصم، وبسط حجج الخطيب ومفاخرة بترتيب لا يسمع المعاند إنكاره.[4]

---

[1] – فؤاد أقرام البستاني، الشعر الجاهلي، نشأته–فنونه–صفاته، المطبعة الكاثوليكية، بيروت–لبنان، 1937م، (د.ط)، ص ص: 20–21.

[2] – المرجع نفسه، ص: 21.

[3] – فؤاد أقرام البستاني، الشعر الجاهلي، ص: 21.

[4] – المرجع نفسه، ص: 22.

والافتخار كما يقول ابن رشيق: «هو المدح نفسه، إلا أن الشاعر يخص به نفسه وقومه، وكل ما حسن في المدح حسن في الافتخار، وكل ما قبح في المدح قبل في الافتخار...»[1]، حيث ظهر في الجاهلية لقيامه على مبدأ الفخر بالقبيلة وبالقوم، وهو ضرب من الحماسة يعني التغني بالفضائل والمثل العليا والفِعال الطيبة، ويرد على ضربين: ضرب يركز على الفضائل المادية من قوة ونسب ومال وأولا، وآخر يركز على الفضائل النفسية من كرم وحلم وشجاعة وأشهر ما ورد كما ذكرنا سابقا في معلقة عمرو بن كلثوم التي مطلعها:[2]

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا

**2-الغزل:**

هو من فنون الشعر العربي التي ارتبطت بمشاعر ناظميه ومتلقيه على السواء، وقد عرف تطورات وتغيرات عبر تاريخ العرب، وتلوّن بألوان الحياة العربية والأذواق لها.

ويقوم أكثر الغزل على الوصف والتشبيب، ويحمل بعض ذكريات المغامرات الغرامية، التي يتخللها الحوار، ولكنه لم يظهر فنا مستقلا بذاته، حيث كان عند شعراء الجاهليين غرضا من الأغراض المتعددة التي تشتمل عليها قصائدهم، إذ يستهل به ومنه يتخم التنقل إلى غير من المعاني، فقد «أدرك شعراؤنا في العصر الجاهلي بالحس والحدس الصادقين، فضل الغزل على الأغراض الأخرى، فجعلوه مفتتح القصائد ليلفتوا إليهم الأسماع، ولينفذوا من الأسماع إلى القلوب بلا عناء ولا استئذان، وربطوا الطلل بالمحبوبة، فكان هذا الربط أصدق الأدلة على وفائهم للوطن والسّكن، وعلى جعلهم المرأة أقوى الوشائج التي تشدهم إلى منابتهم في الحلّ والترحال».[3]

[1] - ابن رشيق، العمدة، 162/2.

[2] - أبو زكرياء يحي علي التبريزي، شرح القصائد العصر، دار الطباعة الميسرية، 1352هـ، ص: 217.

[3] - سعاد ترشاق، محاضرات في النص الأدبي القديم، شعرا، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف-الجزائر، 2016-2017م، ص: 11.

كما يقوم الشاعر في القصيدة الغزلية بوصف الإنسان بالجمال أي بحسن القد، وبياض الوجه، وسواد الشعر، ومن أشهر الشعراء الذين قالوا الغزل البدوي: عنترة بن شداد، والغزل الحضري: امرئ القيس الكندي، وعمر بن أبي ربيعة النعلبي... .

**3-الهجاء:**

هو نزع الصفات الحميدة عن المهجو، ووصفه بالدناءة والجبن والبخل، وسلب الآخر كل معاني الكرم والشجاعة والجود والغنى وغيرها، لذلك اعتبره النقاد قديما نقيضا للمدح والفخر لقيامه على مبدئ سلب المهجو كل فضيلة.

ومن أشهر الهجائيين نجد: جرير والفرزدق، والحطيئة، هذا الأخير وقعت معه حادثة مع الخليفة عمر بن الخطاب لهجائه الزبرقان بن بدر، قال له: «إيام والهجاء المقذع، قال: وما المقذع يا أمير المؤمنين؟ قال: المقذع أن تقول: هؤلاء أفضل من هؤلاء وأشرف، وتبني شعرا على محد لقوم وذم لمن تعاديهم...».[1]

**4-المديح:**

هو من موضوعات الشعر العربي القديم قوامه الإشادة بالفضائل، خاصة ما كان منه بعيدا عن التملق والتكسب، لصدوره عن عاطفة صادقة نحو الممدوح، وهو أيضا وصف الشخص بشرف الأصل، والكرم وسائر الصفات الحميدة، وأشهر المداحين: النابغة، الأعشى، زهير بن أبي سلمى، هذا الأخير خلدته مدائحه الصادقة فكان سبب تفضيل عمر بن الخطاب رضي الله عنه له على باقي شعراء عصره.

ومن مدائحه في ساعيا السلام الحارث بن عوف وهرم بن سنان قوله:[2]

سعا ساعيا غيط بن مرة بعدما تنزل ما بين العشيرة بالـــــدم

يمينا لنعم السيدان وجدتـــما على كل حال من سجيل ومبرم

[1] – ابن رشيق، العمدة، 189/2.

[2] – التبريزي، شرح المعلقات العشر، ص ص: 211-212.

لكن وقع هذا المدح الابتدال أكثر بما نفخ فيه من مبالغة وإغراق في العصور المتأخرة، لما آلت الأمور إلى الخلفاء والأمراء في العصرين الأموي والعباسي، فصار المدح ميدانا يتبارى فيه الشعراء عند أبواب الساسة والقادة يتنافسون فيما بينهم طمعا ورغبة، وصار أكثر الشعراء ينظمون فيه[1]، وظهرت أسماء كثيرة ارتبطت بالبلاد أمثال جرير والفرزدق والمتنبي، ويعد الأخير ظاهرة من حيث خصوصية مدحه وأكثره كان في سيف الدولة الحمداني، من ذلك يقول:[2]

لكل امرئ من هدره ما تعـــودا وعادات سيف الدولة الطعن في العدا

وأن يكذب الإرجاف عنه بضدّه ويمسي لما تنوي أعاديه أسعـــــــدا

**5-الرثاء:**

هو من أغراض الشعر العربي القديم، يتضمن في معانيه التعبير عن الفقد والحزن، وهو ذكر الميت وصفاته الحميدة ومن أشعرهم: المهلهل بن ربيعة التغلبي في رثاء أخيه كليب وائل، ورثاء الخنساء في أخيها صخر، حيث تقول:[3]

قذى بعينك أم بالعيـــــــن عــوار أم ذرفت إذ خلت من أهلها الدار

كأن عيني لذاكره إذا خطـــــــرت فيض على الخدين مـــــــدرار

تبكي لصخر هي العبرى وقد ولهـت ودونه من جديد الترب أستـــار

تبكي خناس وما تنفك ما عمـــــرت لها عليه رنين وهي مقتـــــــار

وإن صخرا لتأتـــم الهداة بـــــــه كأنــه علم فـــي رأســه نـــار

وأما معاني الرثاء فأغلبتها بكاء الشجاعة والرفق واللين والكرم وطيب الأرومة والحلم ورجاحة العقل، وهذه الصفات اجتمعت في رثاء الخنساء، حيث تقول:[4]

مرّ الحوادث ينقاد الجليد لهـــــا ويستقيم لها الهيّبابة البـــــــوم

---

[1] – سعاد ترشاق، محاضرات النصر الأدبي القديم، ص: 16.

[2] – ديوان أبي الطيب المتنبي، شرح: عبد الرحمن الرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، (د.ط، د.ت)، 03/2.

[3] – ديوان الخنساء، دراسة وتحقيق: إبراهيم عوضين، مطبعة السعادة، مصر، ط: 1، 1405هـ1985م، ص: 49.

[4] – المرجع نفسه، ص ص: 68-69.

قد كان صخر حليدا كاملا برعـــا جلد المريرة تنميه الســـــــلاجيم

فأصبح اليوم في رمس لدى جدث وسط الضريح عليه الترب مركوم

**رابعا: خصائص الشعر الجاهلي**

**1-الشعر الجاهلي شعر غنائي:**

إذ أنه نفسية الفرد وما يختلجه من عواطف وأحاسيس سواء حين يتحمس الشاعر ويفخر، أو حين يمدح ويهجو، أو حين يتغزّل أو يرثي، أو حين يعتذر ويعاتب، أو حين يصف أي شيء مما ينبث حوله في جزيرته، فهو كان يغني غناء، أي أن الشعر الجاهلي ارتبط بالغناء عند أقدم شعرائه وأبرزهم: الأعشى، السليك بن السلكة، وعلقمة بن عبده الفحل.

**2-الشعر الجاهلي شعر فطرة وبداهة:**[1]

يتناول الشاعر الجاهلي ما سَهُلَ من المعاني، ويسر من بيئته، ولا يجهد نفسه في التماس المعاني العميقة فهو سطحي في حياته وفي تفكيره، والجاهلي صادق في معانيه يتحرى الحقيقة والواقع.

**3-الأخيلة:**

يعتمد فيها الشاعر الأسلوب البسيط يستعمل فيها التشبيه الذي يبين فيه وجه الشبه وكذا الاستعارة، حيث يجعل الشاعر التصوير أصلا من أصول صناعة الشعر، وهي صورة صادقة.

[1] – للاستزادة ينظر: فؤاد أقرام البستاني، الشعر الجاهلي، نشأته-فنونه-صفاته، ص ص: 14-40، وينظر: يحي الجبوري، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، ص: 189، وينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، ص ص: 183، 226.

**4-الشعر من حيث المبنى:**

أسلوب الشاعر خطابي في أكثره، عبارته متينة بلا تخل ألفاظه من صلابة وخشونة- في أحيان كثيرة-، كما أننا نجد في الشعر الجاهلي بعض الغموض، وذلك يأتي من الإيجاز والاكتفاء بالتلميح.

**5-الموسيقى الشعرية:**

كان الشعر الجاهلي ينظم بأوزان طويلة التفاعيل، كما أنه لم يغفل الأوزان اللّينة في المواقف العاطفية التي تقتضي رثاء أو فخرا أو حماسة أو غزلا.

**6-القيمة التاريخية:**

للشعر الجاهلي قيمة تاريخية عظيمة فهو وثيقة من أهم الوثائق التاريخية يطلعنا عن عادات وتقاليد العرب، وأحوال الجزيرة العربية الطبيعية والجغرافية والاجتماعية، باسطا إلينا مآثرهم وأيامهم وأنسابهم وكل ما ألموا به من علوم ومعارف، فهو كما يقال: (أنه ديوان العرب).

7-أسلوب القصيدة كان مفككا في البناء، حيث يبدأ الشاعر البدوي بالوقوف على الأطلال، يرثي الأحبة، ويهتم بذكر صاحبته أو امرأته، ثم بعدها ينتقل إلى وصف ناقته التي هي بمثابة الرفيق والأنيس فيصفها بالقوة والسرعة، ووصف ما يعترضه في طريقه، وبعدها يدخل في صلب القصيدة، فقد تكون دعوة للقتال أو الاعتذار أو المدح، وهذا الانتقال من غرض إلى غرض يكون فجائي في أكثر الأحيان.

لقد تميز العصر الجاهلي بالتنوع الثقافي والجغرافي، فشبه جزيرة العرب ومناخها الطبيعي والمتميز وبيئتها الصحراوية الفاتنة، إلى الشعر وما نقله إلينا من مشاعر أصحابه، وصور حية التي سادت الحياة العربية والبادية، وعوامل كثيرة ساعدت الشعراء على تفجير مواهبهم وطاقاتهم الإبداعية، فنظموا في مختلف الأغراض الشعرية، وتلوّنت حياتهم عبر العصور، فكان الشعر بحق مرآة عاكسة لها، كيف لها وهو-الشعر- ديوان العرب المترجم لأيامهم وتاريخهم وحياتهم في مختلف الجوانب.

# المحاضرة الثانية: المعلقات مضامينها وأساليبها

## أولا: تعريف المعلقات

### 1-المعلقة لغة:

من العق، وهي الحال الذي يكرم عليك، تظن به، تقول: عِلْقُ مضنة، وما عليه علقة، إذا لم يكن عليه ثياب فيها خير، والعق هو النفس من كل شيء، وفي حديث حذيفة: «فمال بال هؤلاء الذين يسرقون أعلاقنا» أي نفائس أموالنا، والعق هو كل ما علق، والعقة: الثوب النفيس يكون للرجل، وقيل: هو أول ثوب يلبسه المولود.[1]

### 2-اصطلاحا:

المعلقات هي مجموعة من القصائد المنظومة في الجاهلية وتسمى إيطوال والسموط، وتعد من أجود ما قالته العرب، وهي مثار جدل من حيث العدد، فقيل: عددها ستة، وقيل سبعة[2]، وقيل ثمانية، وقيل: إحدى عشر معلقة، وسميت بالسموط تشبيها لها بالقلائد والمذهبان، على اعتبار أنها كتبت بماء الذهب وعلقت على أستار الكعبة[3]، كما وقع الاختلاف بين العلماء وخاصة المستشرقين فيما يخص صحة نسبة المعلقات لعصرنا، إذ يرفض بعضهم فكرة أنها جاهلية بحجة أنها منتحلة موضوعة في العصور الإسلامية المتأخرة ومنسوبة عمدا للعصر الجاهلي مثلها مثل كثر من الشعر الجاهلي.[4]

## ثانيا: نموذج من المعلقات

اكتفت المحاضرة بذكر بنموذج واحد للمعلقات وهي معلقة امرؤ القيس مع تبيين مضمونها، والتعريف بصاحب المعلقة.

---

[1] – محمد جلال الدين ابن منظور، لسان العرب، طبعة جديدة محققة، دار صادر–بيروت، ط4، 2005، مادة (علق).

[2] – أبو زيد محود بن أبي الخطاب القرشي، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية، تحق: علي محمد البجاوي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، د.ت، ص: 113.

[3] – محمد بلاسي، المعلقات بين الحقيقة والخيال، مقال في الإنترنيت.

[4] – محمد سهيل طقوس، تاريخ العرب الإسلام، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان، ط: 1، 1430هـ–2009م، ص: 124.

**1-امرؤ القيس:**

هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار* بن عمرو بن معوية بن يعرب بن ثور بن مرتع بن معاوية ابن كندة[1]، وقال بعض الرواة: هو امرؤ القيس ابن السمط ابن امرئ القيس بن عمرو بن معاوية كما يكنى امرؤ القيس أبا وهب، وكان يقال له: الملك الضليل، وقيل له: ذو القروح لقوله:[2]

وبدلت فرحا داميا بعد صحة لعل منايانا تحولن أبؤسا

توفي امرؤ القيس سنة 80 ق.هـ و565م.[3]

**2-طبقته في الشعراء:**

امرؤ القيس فحل من فحول أهل الجاهلية وهو رأس الطبقة الأولى وقرن به ابن سلام زهيرا والنابغة وأعشى قيس والأكثر على تقديم امرؤ القيس، قال يونس بن حبيب: إن علماء البصرة كانوا يقدمون أمرأ القيس بن حجر وإن أهل الكوفة كانوا يقدمون الأعشى، وإن أهل الحجاز والبادية كانوا يقدمون زهيرا والنابغة، وقيل: للفرزدق من أشعر الناس؟ فقال: الملك الضليل قيل: ثم من؟ قال: ابن العشرين يعني طرفة، قيل له ثم من؟ قال: أبو عقيل «يعني نفسه»[4]، وقد جعله ابن سلام الجمحي على رأس الطبقة الأولى من الفحول.[5]

---

* – المرار حمض إذا أكلته الإبل قصلت عن مشافرها، وسمي آكل المرار، لما رووا من أن ابن هبولة الملك لما سبي بن حجر، قالت له: كأنك بأبي قد جاء كأنه جمل آكل المرار، تعني من الغضب قد بدت أنيابه، ويقال: مرتع ومرتع، ويقال اسمه، عمرو، وهذا اللقب لأنه كان يأتيه الطالب أن يرتعه في أرضه، ينظر: محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، قروشر أبو فهم محمود محمد شاكر، شركة القديس للنشر والتوزيع، مصر، (د.ط، د.ت)، مج: 1، ص: 51.

[1] – المرجع نفسه، ص: 51.

[2] – أحمد الأمين الشنقيطي، المعلقات العشر وأخبار شعرائها، دار النصر للطباعة والنشر، مصر، (د.ط، د.ت)، ص: 02.

[3] – المرجع نفسه، ص: 02.

[4] – المرجع نفسه، ص: 03.

[5] – ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ص: 52.

**3-حال امرؤ القيس وأوليته:**

كما نشأ امرؤ القيس طرده أبوه واختلف في سبب ذلك فقيل: إنه كما ترعرع علق النساء وأكثر الذكر لهن والميل إليهن فكره ذلك أبو حجر، فقال: كيف أصنع به فقالوا: اجعله في رعاء إبلك حتى يكون في أتعب عمل فاطمة وهي قد رحلت ويرى بعض النقاد كالدكتور نصرت عبد الرحمن ليست فاطمة بامرأة حقيقية ولكنها ترمز إلى شيء آخر من الإله.

والجدير بالذكر أن العرب في الجاهلية كانت تؤمن أن هناك إله ذو قوة أعلى في حين أن الأصنام وسيلة لها لتصبح أقرب الإله الذي عنده القوة الأعلى، حيث كرس امرؤ القيس خمسة عشر بيتا لوصف جمال فاطمة الجسدي في معلقته حيث يتضح أنها مثالية وعندها كل المواصفات التي تشكل معايير جمال المرأة في العصر الجاهلي[1]، ولأن حق النسيب أن يكون حلو الألفاظ رسلها، قريب المعاني سهلها، غير كز* ولا غامض، وأن يختار له من الكلام ما كان ظهار المعنى، لين الإيثار، رطب المكسر، شفاف الجوهر، يطرب الحزين، ويستخف الرصين[2]. في قوله[3]:

9-ففاضت دموع العيني مني صبابة على النحر حتى بل دمعي محملي

10-ألا رب يوم لك منهن صالح ولا سيما يوم بدارة جلجل

20-أفاطم مهلا بعض هذا التذلل وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي

33-مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل

36-وجيد كجيد الريم ليس بفاحشة إذا هي نصته ولا يمعطل

---

[1] – دانمازين، وأم عارفة كودورث، تحليل معلقة امرؤ القيس في العصر الجاهلي، البلاغة والرمزية، مقال في الإنترنيت، تاريخ النشر: 15 جويلية 2019، ص: 10.

* – كز: الكزّ: الذي لا ينبسط، ووجه كز: قبيح، كزّ يكز" كزازة، وذهب: كزّ: صلب جدا، ينظر: ابن منظور: لسان العرب، طبعة جديدة ومحققة، دار صادر، بيروت، ط: 4، 2005، مج: 13، مادة (كزز).

[2] – أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، في محاسن الشعراء وآدابه ونقده، تق وشر: صلاح الدين الهواري، هدى عودة، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، 2002، (د.ط)، 187/1.

[3] – ديوان امرؤ القيس، ص: 112.

37-وفرع يزين المت أســـود فاحم أثيـــث كقنـــو النخلة -المعتكـــل

39-وكشبح لطيف كالجديل مخصر وســـاق كأنبوب الشقي المـــــذلل

43-إلى مثلها يرنو الحليـــم صبابة إذا ما اسبكـــرت بين درع ومجـــول

يصف امرؤ القيس يوما خرج فيه مع فاطمة، ويقدم لنا تفاصيل قمة جمالها، حيث يصف في صدر البيت (33) خصر الحبيبة بقوله: «مهفهفة بيضاء غير مفاضة»، أي خصرها أبيض اللون وليس سمينا.

وفي البيت (36) يقول أن جيدها، أي رقبتها "كجيد الريم" وهو فأرسله في الإبل فخرج بها يرعاها يومه ثم آواها مع الليل، ويقول: يا حبذا طويلة الأقرب غزيرة الحلاب، كريمة الصحاب، يا حبذا اشداد الأوراك، عراض الأحناك، طوال الأسماك، ثم بات ليلته يدور إلى متحدثه، حيث كان يتحدث فقال: أبوه ما شغلته بشيء، قيل له: فأرسله في الخيل فأرسله في خليه، فمكث فيها يومه حتى آواها مع الليل فدنا أبوه حجر سمع فإذا هو يقول: يا حبذا إناثها نساء، وذكورها طباء عدة وسناء، نعم الصحاب راجلا وراكبا تدرك طالبا وتفوت هرابا، قال أبوه: والله ما صنعت شيئا فبات ليلته يدور حواليها، فلما أصبح قال أبوه: أخرج بها فمضى حتى بعد من الحي وأشرف على الوادي فرمتى في وجهها التراب وجعل يقول: حجر في حجر حجر لا مرد هبهاب لحم وإهاب، للطير والذئاب، فلما رأي أبوه ذلك منه، وكان يرغب به عن النساء والشعر وأبى أن يدع ذلك فأخرجه عنه فخر مراغما لأبيه.[1]

**4-مضمون معلقة امرؤ القيس:**

تتكون معلقة امرؤ القيس من ثمانية وسبعين بيتا وهي في عدة موضوعات، هي:

أ-**الوقوف على الطلل:** وهي أول ما فتتح به معلقته-على عادة الجاهلين-، فقال:[2]

1-قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل سقط اللوى بين الدخول فحومل

2-فتوضح فالمقرة لم يعف رسمـها لما نسجتها من جنوب وشمـأل

[1] - أحمد الأمين الشنقيطي، المعلقات وأخبار شعرائها، ص ص: 5-6.

[2] - ديوان امرؤ القيس، ص: 110.

يبدأ امرؤ القيس قصيدته بمقدمة طللية، حيث يبكي الشاعر حبيبته المسماة نوع من الحيوان أبيض اللون رشيق القوام، خفيف الحركة، إلى جانب كون البياض من معايير الجمال للمرأة في الجاهلية قدر يرمز أيضا إلى الصفاء والنقاء والقدسية.

وفاطمة الحبيبة مصقولة كالشجنجل فخرصها صافي يتلألأ ويلمع كصفائح الذهب أو الفضة.

ثم يضيف وصفا رائعا آخر لشعر فاطمة وكثافته بقوله: «كقنو النخلة المتعثكل»، حيث شبه شعرها بالنخلة كثيفة الأوراق، وخشة الملمس، كذلك كان شعر حبيبته مليئا وناعم الملمس وطويل، ويزين ظهرها إذا أسدلته عليه، كما أنه أعطى لنا تشبيها آخر في أن ذؤابة شعر فاطمة تشبه قنو النخلة، الذي يخرج منه عرجون التمر المتعكثل الذي دخل بعضه في بعض.

أيضا في عجز البيت (39) يصف امرؤ القيس ساقي حبيبته؛ إذ يقول: «وساق كأنبوب السقي المذلل»؛ حيث يرى الزوزني في شرحه للمعلقات أن امرؤ القيس تكلم عن نبات البردي نحيفة السيقان ومنتصب القامة، فقد شبه الشاعر ساقي حبيبته بساق هذا النبات بسبب نحافتها وقامتهما المنتصبة[1]، وهذا النوع من النبات منه سميت أوراق البردي وهو نوع من الأوراق تستعمل في كتابة المخطوطات التي استعملتها العرب قديما في مؤلفاتهم.

**1-تأمل الليل:**

بعدما وصف الشاعر امرؤ القيس الصفات الخارجية لحبيبته فاطمة مبينا مواضع الجمال والرقة فيها، نجد هنا يأتي بوصف أكثر روعة، بذكر الوقت المناسب لشوق الحبيبين وللقائهما وهو وقت الليل الذي يرمز للحب وهو موطن مناسب للعاشقين والأحباء، وهو أيضا الموعد المفضل ليقوم الشخص بعبادة ربه، حيث يقول:

46-وليل كموج البحر أرخى سدوله علي بأنواع الهمـــوم ليبتلـــي

[1] – أحمد أبو عبد الله الحسين الزوزني، شرح المعلقات السبع الطوال، ضبط وتع: عمر فاروق الطباع، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت-لبنان، ط: 01، 2012م، ص: 77.

47-فقلت له كما تمطى بصلبـــــه وأردف أعجاز وناء بكلكـــــــل

48-ألا أبها الليل الطويل ألا انجلى بصبح، وما الإصباح منك بأمثل

يقدم الشاعر في هذه الأبيات تشبيها رائعا، فيقول في البيت (46) "وليل كموج البحر أرخى سدوله، علي بأنواع الهوم ليبتلي" فالليل غطى هموم وكآبة الشاعر كما يغطي الموج سطح البحر، وسواد الليل يدل على حزن الشاعر وعن حالته النفسية المضطربة في عدم لقياه لحبيبته، وفي البيت (47) شبه الليل بحيوان مفترس يهجم عليه، إذ يقول: «فقلت له كما تمطى بطلبه...وناء بكلكل» أي خاطب الليل لما امتد بفقار ظهره ونهض بصدره مثقلا.

فالليل يحمل وزنا ثقيلا عن الشاعر ولا يجد القدرة على الدفاع عن نفسه؛ حيث يجعله خائر القوى ضعيف البدن، بنفسية متعبة خاصة إذا لم يلتق بحبيبته فاطمة.

**د-رحلة الصيد ووصف الحصان:** يصف الشاعر هنا حصانه الذي ليس له مثيل في رحلة الصيد، فهو -الحصان-يرمز إلى الوسيلة للوصول إلى فاطمة، أي للاتحاد مع الإله، فقد يكون الحصان رمزا لنفس امرؤ القيس الطاهرة القوية بعدما زكاها من النجاسة[1]، فلا بد أن يكون هذا الحصان خاصا وفريدا، لذلك يصفه الشاعر بأحسن المواصفات، إذ يقول:[2]

51-وقد أعتدي والطير في وكناتـــها بمنجـــــــرد بقيد الأوابد هيكـــــل

52-مكر مفر مقبل مدبـــر معـــــــا كجلمود صخر حطه السيل من عل

53-كميت يزل اللبد عن حال متنـــه كما زلت الصفـــــواء بالمتنـــــزل

54-مسح إذا ما السابحات على الونى أثرن الغبار رجا الكـــديد المـــركل

55-على الذبل جياش كأن اهتزامـــه إذا جاس فيه حميتـــه غلي مرجـــل

56-يزل الغلام الخف عن صهـــواته ويلوي بأثـــواب العيـــف المثقـــل

نلاحظ وصفا جميلا بديعا لحصان امرؤ القيس، في قوله: في عجر البيت (51) "بمنجرد" القصير الشعر الصافي، ويدل ذلك عل عتق الحصان وكرم أصل وعلو درجته،

[1] - دانازين وأخرى، تحليل معلقة امرؤ القيس، ص: 18.

[2] - ديوان امرؤ القيس، ص ص: 118-119.

و"قيد الأوابد" يعني أن فرسه إذا انطلق خلف الحيوانات ليصيدها قيدها وشل حركتها، ويبدو أن الشاعر هو أول من وصف الحصان هكذا، "هيكل" بمعنى العظيم الكثيف اللين.

ويقصد في البيت (52) في قوله: "مكر مفر مقبل مدبر معا، كجلهود صخر حطه السيل من عل"؛ أي يهرول حصانه إلى الهجوم، ويفر، ويقبل، ويدبر في اللحظة نفسها، فحصانه ليس عاديا ولا يضاهيه حصان آخر.

كما وصفه "بالجلمود" وهو الصخر القوي والعظيم، ويبدو أن السيل رمز لتحمس امرؤ القيس وشوقه للاتحاد مع الإله لشدتهما دفعا. نفس الشاعر الطيبة الطاهرة إلى أن تغلب على سلبياته.[1]

كما يذكر الشاعر سرج الحصان يسقط من ظهره مثلما تسقط "الصفواء بالمتنزل"، والصفواء هي صخرة ملساء، حيث يفتخر الشاعر في البيت (53) بقوته لأنه يجلس على السجر القابل للسقوط لملاسته ولكنه يبقى ثابتا عليه ولن يسقط من أعلى حصانه، كيف لا وهو الحصان الرفيق والأنيس والصاحب للشاعر الحامل لهمومه وأحزانه والمعين له على تحملها.

وفي عجر البيت (55) شبه امرؤ القيس الصوت الصادر من حصانه إثر التعب من الجري كـ "غلي المرجل" فيه "حمى"، أي حرارة ولا يستطيع شخص آن يعبر هذ الطريق إلا إذا كان قويا جلدا صنديدا وامرؤ القيس في هذه المواصفات، وهذا ما يؤكده صدر البيت (56) بقول: يزل الغلام الخف على صهواته".

ويقول في البيت (60): [2]

وبات عليه سرجه ولجامه وبات بعيني فإنما عير مرسل

[1] – دانازين وأخرى، تحليل معلقة امرؤ القيس، ص: 18.

[2] – ديوان امرؤ القيس، ص: 112.

إن الحصان يقضي الليل وسرجه ولجامه على متنه، ويبدو أن امرؤ القيس دائما جاهزا ليجتهد للاتحاد مع الإله مثلما الحصان جاهزا لكي ينطلق إلى رحلة لدرجة أن سرجه ولجامه على لا يخلعان منه حتى في الليل.

وقد يكون الليل رمزا للأيام حيث يتصارع امرؤ القيس ليظهر روحه، أما النهار فقد يكون رمزا للحظة التي نجح فيها امرؤ القيس في غرضه.

**هـ-وصف الطبيعة (البرق والمطر والصخر):** يصف امرؤ القيس لمعان البرق وهطول المطر والصخر، حيث يقول:[1]

69-أحار ترى برقا أريك وميضه كلمع اليدين في حبيّ مكلل

70-يضئ سناه أو مصابيح راهب أمان السليط بالذبال المفتل

71-قعدت له وصحبتي بين حامر وبين إكام، بعدما متأملي

فالشاعر يصف لمعان البرق مثل "لمع اليدين" من بين سحاب متراكم متوج، فيبدو أن هذا التشبيه دلالة على تكريم البرق، ويستمر امرؤ القيس لمعان البرق بـ "مصابيح راهب"، فحبيبته مثل "منارة مسي راهب متبتل".

كما يذكر الشاعر أن أصحابه ينصحونه بألا يهلك بالبكاء، لكنه يرى بأن شفاءه في البكاء والشوق إلى الحبيبة، فلمان البرق الذي ذكره الشاعر يرمز إلى الأمل بالشفاء والنجاح.

نرى امرؤ القيس من هو من أرباب الذوق، فقد امتلك زمام اللغة، وأن البيئة التي يعيش فيها الشخص تؤثر عليه؛ فإن عناصر الطبيعة تحتل مكانة جوهرية أساسية في معلقته، لأنه يرى الطبيعة كنموذج للديمومة والخصب والنماء والاستمرارية.

[1] - المرجع نفسه، ص: 121.

# المحاضرة الثالثة: شعر الصعاليك

## أولا: الصعلكة والصعاليك

الدارس لشعر الصعاليك يجد نفسه ملزما بأن يعرف الإطار السياسي والاجتماعي والثقافي لهذا النوع من الشعر، ويقف على أحوال عصرهم، ذلك أن الاتجاهات الأدبية المختلفة كانت تتأثر بأحوال القبائل السياسية والاجتماعية والثقافية، فالشعراء الصعاليك عاشوا في عصور ما قبل الإسلام، وعاصروا أحداث الجزيرة العربية، ومنهم من عاش فجر الإسلام حتى أوج العصر الأموي، وكان لهذه الأحداث المختلفة أثر في اتجاهات الشعراء الصعاليك النفسية والشعرية معا، فكانوا يلتقون مع شعراء عصرهم في بعض الاتجاهات الرائجة في موضوعات الشعر، ومنهجية القصيدة، وفي اللغة والمعاني.[1]

### 1-مفهوم شعر الصعاليك:

الصعاليك: مفردها صعلوك، وهو لفظ مشتق من لفظة صعلكة، وقد ورد هذا اللفظ في لسان العرب: الصعلوك، وقال: وهو الفقير المعدم الذي لا يملك مالا.*

ووردت عند الجوهري: أن الصعلوك هو الفقير، وصعاليك العرب هم: دؤبانها يعني: وسموا بهذا الاسم نظرا لسرعتهم الفائقة في العدو وشراستهم في الهجوم والفارة، وأطلق عليهم ذؤبان العرب أو الذؤبان تشبها لهم بالذئاب.[2]

لم تعد الصعلكة تعني الفقر والفاقة، وإنما أطلقتها العرب على الفرسان الشجعان الذين ثاروا على أوضاعهم الاجتماعية ونرى شوق ضيف أن هذه اللفظة لم تقف في الجاهلية عند دلالتها اللغوية الخالصة، فقد أخذت تدل على ما يتجردون للغارات وقطع الطرق، ويمكن أن

---

[1] – ينظر: حرشاوي جمال، الخصائص الأسلوبية في شعر الصعاليك (الشنفرى أنموذجا) أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي، جامعة أحمد بن بلة-وهران-الجزائر، 2015-2016، ص: 31.

* – ابن منظور: لسان العرب، طبعة جديدة ومحققة دار صادر، بيروت-لبنان، ط: 04، 2005م، مج: 08، مادة (صعلك).

[2] – موسوعة ويكبيديا.

نميز فيهم ثلاث مجموعات: مجموعة من الخلعاء الشذاذ الذين خلعتهم قبائلهم لكثرة جرائرهم مثل: حاجز الأزدي، وقيس بن الحدادية، وأبي الطمحان القيني وهو حنظلة بن جفنة.

مجموعة من أبناء الحبشيات السود، ممن نبذهم آباؤهم ولم يلحقوهم لعار ولادتهم مثل السليك بن الشلكة، وتأبط شرا، والشنفرى، وكانوا يشركون أمهاتهم في سوادهم فسموهم وأضاربهم باسم أغربة العرب.

المجموعة الثالثة لم تكن من الخلعاء ولا أبناء الإمار الحبشيات، غير أنها احترفت الصعلكة احترفا، وحينئذ قد تكون أفرادا مثل: عروة بن الوردا العبسي، وتكون قبيلة برمتها مثلا قبيلتي هذيل وفهم اللتين كانتا تنزلان بالقرب من مكة والطائف.

ويمتازون بالشجاعة والصبر عند البأس وشدة المراس والمضاء وسرعة العدو، حتى ليسمون بالعدائيين، وحتى لتصرب الأمثال بهم في شدة العدو، فقال: "أعدى من السليك"، و"أعدى من الشنفرى...".[1]

**ثانيا: موضوعات شعر الصعاليك**

لقد قال شعراء الصعاليك في كثير من الموضوعات شأنهم شأن بقية الشعراء الجاهليين، كما جعلوا الموضوعات الشعرية تطغى على موضوعات أخرى، ونظموا بكثرة في موضوع الوصف الذي احتل الصدارة.

**1-موضوع الوصف:**

سعى الشاعر الصعلوك سعيا فغي أكثر أشعاره وأن القصيدة على طولها كان هدفها لا يخرج عن الوصف من مشاهد الصحراء، وما فيها من نبات وحيوان، وما يتم على رمالها من طراد للحيوانات المتوحشة، وليس من دافع إلى هذا الوصف الرابع إلا حب الشعراء الصعاليك للصحراء وتآلفهم معها، وحرصهم على نقل مشاهدها، وكذلك وصف غزواتهم وهجوماتهم على القوافل وسلبهم للغنائم.

[1] – شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، 375/1.

فالصعاليك كانوا يرون أنفسهم طائفة مظلومة تعاني من التشرد والنفي، فقد نشأ من بينهم شعراء قاموا بوصف حياهم، وتصوير الصعلكة[1]، لذا شعر الصعاليك بالظلم الاجتماعي المر الذي وصل إلى حد الانفجار، فخرج الشعراء الصعاليك إلى ربوع الصحراء مرغمين، مكرهين باحثين عن دفء يعوضهم ما حرموا منه في أحضان قبائلهم[2]، يقول تأبطّ شرا، يصف أحواله، ويهتف بعاذلته، التي لا تكون سوى القبيلة، لعها تخفف من وطأة نائيتها وطغيانها ولومها[3]

بل من لعذالة* حدالة** أشب*** حرق باللوم جلدي أي تحـــراق
يقول أهلكت مالا لو قنعت بـــه من ثوب صنف ومن بز وأعلاق
عاذ لتلي إن بعض اللوم معنقـة وهل متاع وإن أبقيتـه بـــــاق
إني زعيم لئن لم تتركوا عذلـــي أن يسأل الحي عني أهـل آفـاق
أن يسأل القوم عني أهل معرفـة فلا يخبرهم عن ثابـــــت لاق
سدد خلالك من مال تجمعـــه حتى تلاقي ما كل امـــرئ لاق
لتفرعن علـــي الســـن من ندم إذا تذكرت يوما بعض أخـــلاقي

كما صنف يوسف خليف الشعراء الصعاليك وجعلهم طبقتين:

-طبقة تمثل الجانب الإنساني يقودها عروة بن الورد

-وطبقة ثانية تمثل الحانب الشيطاني يقودها الشنفرى.[4]

---

[1] – حرشاوي جمال، الخصائص الأسلوبية في شعر الصعاليك، ص ص: 83-84.

[2] – المرجع نفسه، ص: 84.

[3] – ديوان تأبط شرا، تق: طلال حرب، دار صادر، بيروت-لبنان، ط: 01، 1996م، ص ص: 50-51.

* – العذالة: الكثير العذل.

** – الخدالة: الذي يكثر خذلان صاحبه.

*** – والأشب: المخلط المعترض، ويقصد من يعينني على هذا العذالة.

[4] – ينظر: يوسف خليق، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط: 3، 1978، ص ص: 55-56.

**ثالثا: أبرز شعراء الصعاليك**

نذكر ثلاثة شعراء على سبيل المثال لا الحصر:

وهم: السليك بن السلكة، عروة بن الورد، تأبط شرا، الشنفرى.

**1-السليك بن السلكة:**

هو السليك بن عمرو بن يثربي، ينتسب إلى أمه السلكة التي كانت أمة سوداء وأبوه عربي قح من بني سعد بن زيد مناة بن تميم، وهو «أحد أغربة العرب وهجنائهم، وصعاليكهم ورجيلائهم»[1]، ويعد معه غراب بني عبس وخفاف بن ندبة، وقد استطاع السليك بين السلكة أن يحرر نفسه من عبودية قاتله، ومن رق هين، وذلك بفضل بسالته وشجاعته، وحسن إدراكه للأمور، وذكر ابن قتيبة أن السليك بن السلكة «كان له بأس ونجدة، وكان أذل الناس بالأرض، وأجودهم عدوا على رجليه، وكان لا تعلق به الخيل».[2]

كما كان السليك فارسا مغوارا، شجاعا، وشاعرا مجيدا، وقد استطاع بفضل شجاعته أن يعتق نفسه من رق العبودية، وإن لزمه لقب الغراب، وابن الأمة وابن السوداء، فهو من الشعراء الصعاليك البواسل يخشاه الفرسان، ويهابه الأبطال.[3]

وكان السليك بن السلكة بمسالك الصحراء وطرقها الوعرة، ومواقع المياه فيها، وأماكن دفنه للبيض المليئ بالماء، كما كان يأخذ الحذر في كل غارة يغيرها، قال ابن قتيبة: «فأصابتك [يعني السليك] خصاصة شديدة، فخرج على رجليه أن يصيب غرة من بعض من يمر عليه، فيذهب بإبله، حتى إذا أمسى في ليلة من ليالي الشتاء قرة مقمرة اشتمل الصماء ونام، فبينا هو كذلك جثم عليه رجل، فقال: استأسر، فرفع السليك رأسه فقال: إن الليل طويل، وإنك مقمر، وجعل الرجل يلهزه، ويقول: يا خبيث استأسر ثم قال له: ما شأنك؟ فقال: أنا رجل فقير، خرجت لعلي أصيب شيئا، فقال: انطلق معي، فخرجا فوجدا رجلا قصته مثل

---

[1] - أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، الشعر والشعراء، تحق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة-مصر، ط: 02، 1998، 356/1.

[2] - المرجع نفسه، 356/1.

[3] - جمال حرشاوي، الخصائص الأسلوبية في شعر الصعاليك، ص: 44.

قصتهما، فأتوا جوف مراد، وهو باليمن، فإذا فيه نعم كثير، فقال السليك لهما: كونا معي قريبا حتى آتي الرعاء، فاعلم لكما علم الحي أقريب هو أم بعيد؟ فإذا كانوا قريبا رجعت إليكما، وإن كانوا بعيدا قلت لكما قولا أحي به إليكما، فأغيرا على ما يليكما، فانطلق حتى أتى الرعاء، فلم يزل بهم يتسقطهم حتى أخبروا خبر الحي، فإذا هو بعيد، فقال لهم السليك: ألا أغنيكم؟ قالوا: بلى، فرفع عقيرته يتغنى قائلا:

يا صاحبي ألا حي بالوادي ألا أعيـــــد وأم بيــن أدواء

أتنظرون قليلا ريث غفلتهم أم تغدو وإن فإن الريح للعادي

فلما سمعا ذلك اطردا لإبل، فذهبا بها».[1]

كما تذكر بعض الروايات مقتل الشاعر السليك بين السلكة، حيث «أنه مر في بعض غزواته ببيت من ختعم، أهله خلوق، فرآ فيهم امرأة بضة* شابة، فتسنمها ومضى، فأخبرت القوة فرعب أنس بن مدرك الخثمعي في أثره، فقتله، وطولب بديته، فقال: والله لا أديه ابن إفال**، وقال:

إني وقتلي سليكا يوم أعقله كالنور يصرب كما عاقت البقر».[2]

**2-عروة بن الورد:**

**أ-حياته:** هو عروة بن الورد بن زيد، وقيل: عروة بن عمرو بن زيد العبسي، شاعر جاهلي من الصعاليك، وكان يلقب بـ "عروة الصعاليك" بقوله:[3]

لحى الله صعلوكا إذا جنّ ليله مصارفي المشاش ألفا كل محرز

يعد الغني، من دهره كل ليلــة أصاب قراها من صديق مســـر

---

[1] – ابن قتيبة، الشعر والشعراء، 365/1-366.

* – بضة:

** – الإفال: هي صغار الإبل، مفردها: أفيل: أي لا يقدم للسليك دية ولو كانت صغيرة حتى وكانت إبل صغيرة، ينظر: ابن منظور، لسان العرب.

[2] – ابن قتيبة، الشعر والشعراء، 368/1.

[3] – ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، دراسة وشرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1418هـ-1998م، ص: 10.

ولله صعلوك، صفيحة وجهـــه كضوء شهاب القابس المتنـــور

يعتبر عروة بن الورد بين الشعراء العرب، أحب الشخصيات، وأكثرها جاذبية، ذاك لما اشتمل عليه شعر هذا الشاعر الجاهلي الفطري من آداب إنسانية رقيقة، وأخلاق الفارس النبيل الكريمة المعطاءة، وهذا ما جعل الخليفة الأموي "الذواق للأدب" معاوية بن أبي سفيان يقول: «لو كان لعروة ولد لأحببت أن أتزوج إليهم»، كما قال فيه الخليفة عبد الملك بن مروان يقول فيه: «ما يسرني أن أحد من العرب ممن ولدني لم يلدني، إلا عروة بن الورد، لقوله:

إني امرؤ عافى إنائي شركة وأنت امرؤ عافى إنائك واحد».[1]

**ب-إنسانيته:** إن إنسانية عروة وجوده تتمثل أفض ل تمثيـــل فـــي طريقـــة حياتـــه ومعاملته للصعاليك الذين كثيرا ما كانوا يتذللون عليه، فيتحملهم لئلا يفسد صنيعه معهم، ويصبر عليهم أعظم الصبر، ويكظم غيظه ويعفو عنهم أعظم العفو.

وكان إذا أصاب الناس شدة قام على الفور بمساعدة المريض حتى يشفى، أو ضعيفا حتى تعود له قوته، وكان يعطي نصيبا من غنائم الغارات ولا يطمع في شيء مهما كان، ويؤثر الضعفاء على نفسه، والمؤسف أن عروة إذا أعسر وضاقت به الأمور يذهب إلى اللذين أثروا من جوده وكرمه، يطلب منهم القليل، والعون الضئيل، فيردونه خائبا، بخفي حنين، وهذا ما جعله يقول:[2]

ألا إن أصحاب الكنيف رأيتهم كما الناس لما أخبتوا وتمولوا

ولعل شهرته بالكرم والسماحة والعطاء المستمر جعلت الخليفة المثقف عبد الملك بن مروان الأموي يقول: «ومن زعم أن حاتما أسمح الناس، فقط ظلم عروة !!».[3]

---

[1] – المرجع نفسه، ص: 09.

[2] – ديوان عروة بن الورد، ص ص: 10-11.

[3] – المرجع نفسه، ص: 12.

**ج-شاعريته:** لم يكن عروة بن الورد فارسا صعلوكا جوادا فحسب، وإنما كان من شعراء العرب المحدودين، حتى أن قومه بني عبس، كانوا يأتمون بشعره، وعبس هي قبيلة شاعر الحب والحرية عنتر بن شداد العيسى.

وشعر عروة بن الورد يتميز بالخصائص الآتية:[1]

- شعر يتميز بالطلق.
- شعر يتميز بالقبول لدى القارئ وبكاء للديار، وتشبيبا بالمحبوبة.
- ليس في شعره وقوفا مطولا للأطلال على غرار ما فعله الشعراء الجاهليون.
- يرفض السلطة والتسلط، ويرفض القهر والاستبداد.
- يرفض الجور والظلم الاجتماعي، ويرفض التفاوت بين الطبقات.
- شعره خرج بعيدا عن التقليدية إلى آفاق رحبة وإلى أغراض إنسانية سامية.
- شعر عروة يمتلئ بجمال المعاني، والطراوة، والإيقاع العذب، والبعد عن الغريب والمستهجن.

**د-وفاته:** يقال أن عروة بن الورد أمير الصعاليك مات مقتولا قتله رجل من بني طهية في سنة 616م.

**2-تأبّط شرّا:**

هو ثابت بن جابر بن سفيان، وينتهي نسبه إلى قيس عيلان بن مضر بن نزار، وأمه من بين القين، بطن من فهم، وقيل: إن أمه أمة حبشية سوداء، ورث عنها سوادها، فعد من «أغربة العرب»، مات والده وهو صغير، فتزوجت أمه الشاعر أبا كبير الهندلي، وهو من كبار الصعاليك، فخرجه على شاكلته، «وربما كان لسواده وتعبير عشيرته له به وبانه ابن أمة أثر في تصعلكه» فنشأ فتاكا.

[1] - المرجع نفسه، ص ص: 13-14.

واشتهر بسرعة في العدو حتى قيل إنه: «أعدى ذي رجلين وذي ساقين وذي عينين، وكان إذا جاع لم تقم له قائمة، فكان ينظر إلى الظباء فيتغنى على نظره سمنها، ثم يجري خلفه فلا يفوته حتى يأخذه فيذبحه بسيفه، ثم يشويه فيأكله»، وتأبّط شرا لقب له.[1]

وفي تلقيبه بتأبط شرا أربعة أقوال:[2]

- قيل إنه تأبط سيفا وخرج فقيل لأمه: أين هو؟ فقالت: لا أدري، تأبط شرا وخرج.
- قيل إن أمه قالت له في زمن الكمأة: ألا ترى غلمان الحي يجتنون لأهلهم الكمأة، فيروحون لها! فقال لها: أعطيني جرابك حتى أجتني لك فيه، فأعطته جرابها فملأه لها أفاعي من أكبر ما قدر علي، وأتى به متأبطا له، فألقاه بين يديها، ففتحه فسعين بين يديها في بيتها، فوثبت وخرجت منه، فقال لها نساء الحي: ماذا كان الذي تأبطه ثابت اليوم؟ قالت: تأبط شرا.
- وقيل: إنه رأى كبشا في الصحراء فاحتمله تحت إبطه، فجعل يبول طول الطريق عليه، فلما قرب من الحي ثقل عليه حتى لم يقله، فرمى فإذا هو الغول! فقال قوه: بم تأبطت يا ثابت؟ فأخبرهم، فقالوا: لقد تأبط شرا.
- وقيل: إنه أتى بالغول فألقاه بين يدي أمه، فسئلت أمه عما كان متأبطا، فقالت: ذلك، فلزمه.
- وقيل: إنه أخذ سكينا تحت إبطه وخرج إلى نادي قومه فوجأ بعضهم، فقيل: تأبط شرا، وقيل: تأبط جفير سهام، وأخذ قوسا، فقال له أمه: هذا تأبط شرا
- وقيل: إنه سمي تأبط شرا ببيت شعر قاله، وهو: [3]

تأبط شرا ثم راح أو اغتدى  يؤائم غنما أو يسيف على دحل.

[1] – ديوان تأبط شرا، ض: 05.

[2] – المرجع نفسه، ص ص: 5-6.

[3] – ديوان تأبط شرا، ص: 06.

**4-الشنفرى:**

**أ-حياته:** هو عامر بن عمرو الأزدي من اليمن، يلقب بالشنفرى بفتح الشين وآخر ألف مقصورة، ومعنى لفظ الشنفرى على الرغم كمن أكثرهم فنشر لفظ الشنفرى بأنه غليظ الشفتين، أما من كتبوا تراجم الشعراء، فقد كادوا يجمعون على أن الشنفرى هو لقب هذا الشاعر ومرده إلى غلظة شفته، وثانيهما إلى حدة مزاجه.

وكان الشنفرى من أعدى عدائي العرب حتى ضرب المثل بعدوة، فيقل: "أعدى من الشنفرى".[1]

**ب-نشأته:** نشأ الشنفرى في بني سلامان لا تحسبه إلا أحدهم، حتى نازعته بين الرجل الذي كان في حجره، وكان السلامي اتخذه ولدا، فقال لها الشنفرى: «اغسلي رأسي يا أخية، فأنكرت أن يكون أخاها، ولطمته، فذهب غاضبا حتى أتى الذي اشتراه من فهم، فقال له: أصدقني ممن أنا؟ قال: أنت من الأواس بن الحجر، فقال: أما إني لن أدعكم حتى أقتل منك مئة بما استبعدتموني»[2]، إذ يقال:[3]

ألا ليت شعري والتلهـــف خلــه بما ضربت كف الفتاة هجينا

ولو علمت قعوس أناب والـــدي ووالدها ظلت تفاخر دونـــها

أنا ابن جياد الحجر بيتا ومنصبا وأمي بانه لو تعد فينـــــها

**ج-مقتله:** نقل الرواة من روايتين في مقتل الشنفرى، فيهما أن بني سلامان هم لذين قتلوه بعد أن قتل منهم خلقا كثيرا، وتقول الرواية الأولى إن بني سلامان قتلوه بمساعدة أسد بن جابر أحد العدائيين.

وفي الثانية أنه غزا بني سلامان فجعل يقتلهم، ويعرفون نبله بأفواقها في قتلاهم، حتى قتل منهم تسعة وتسعين رجلا ثم غزاهم غزوة، فنذروا به، فخرج هاربا، وخرجوا في إثره،

---

[1] - ديوان الشنفرى، عمرو بن ملك، جمعه وحققه وشرحه: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العرب، ط:02، 1417هـ-1996م، ص ص: 09-10.

[2] - الديوان، ص: 11.

[3] - الديوان، ص: 11.

وترصدوا خطواته حتى قتلوه وصلبوه، فلبث عاما أو عامين مصلوبا، وعليه من نذرة رجل، قال: فجاء رجل منهم كان غائبا، فمر به وقد سقط، فركض رأس برجله، فدخل فيها عظم من رأسه فبغت-هاجت-علي فمات منها، فكان ذلك الرجل هو تمام المئة.[1]

**رابعا: لامية العرب للشنفرى**

لقد لقيت لامية الشنفرى اهتماما بالغا من طرف المحققين وشراح الشعر، كما تعتبر من أشهر ما أبدع الشعراء العرب ومطلعها.

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فإني إلى قوم سواكم لأميل

وتعتبر لامية العرب من أشعر اللاميات في الشعر وأقدمها، وقد جاء في الأثر، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «علموا أولادكم لامية العرب، فإنما تعلموهم مكارم الأخلاق»، وقد حاول الكثير من الشعراء معارضتها، والنظم على نسقها، ومن أشهر تلك اللاميات:[2]

[1] - ديوان الشنفرى، ص: 12.

[2] - السيد إبراهيم الرضوي، شرح لامية العرب، شر وتحقق وتع: أسماء محمد حسن هيتو، دار الفارابي للمعارف، الشارقة-الإمارات العربية المتحدة، ط: 01، 1430هـ-2009م، ص: 15.

# المحاضرة الرابعة: الشعر في صدر الإسلام (شعر الفتوحات)

## أولا: الحياة الأدبية في صدر الإسلام

### 1-معنى لفظة الإسلام:

تدل كلمة الإسلام باشتقاقها اللغوي على معنى الخضوع والانقياد، وقد ترددت في القرآن الكريم بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾[1]، وفي قوله تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.[2]

ومن ثم أطلقت علما على ديننا الحنيف في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾[3]، وهو دين لسعادة الناس كافة.

فالإسلام هو الشريعة الإلهية الأخيرة التي تفرض سلطانها على كل ما سبقها من شرائع سماوية، ويقوم على ركنين أساسيين هما: العقيدة والعمل.

وتسمى العقيدة بالإيمان من الأمن بمعنى طمأنينة النفس وتصديقها بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.[4]

### 2-أثر الإسلام في الحياة الأدبية:

أحدث ظهور الإسلام تحولا جذريا في حياة الأمة العربية ونقلها من طور العصبية القبلية إلى طور التوحد في إطار دولة عربية تدين بالإسلام، وتتخذ القرآن الكريم مثلا أعلى، وكان لابد لهذا الحدث العظيم من أن يعكس صداه القوي في الحياة الأدبية لهذه الأمة شعر ونثرا، ومن الطبيعي أن النتاج الأدبي للأمة يتفاعل مع البيئة التي تظله ويخضع لمؤثراتها.[5]

---

[1] – سورة الزمر، الآية 54.

[2] – سورة غافر، الآية 66.

[3] – سورة المائدة، الآية 03.

[4] – ينظر شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي–العصر الإسلامي–، دار المعارف، القاهرة–مصر، ط: 11، 1963م، ص: 11.

[5] – إحسان النص، الأدب العربي في صدر الإسلام والعصر الأموي، الموسوعة العربية، مقال في الإنترنيت، تاريخ النشر: 10 فيفري 2013. www.marefa.org .

وحين ترصد الظواهر الأدبية في صدر الإسلام يتبين بجلاء ما تركه الإسلام من بصمات واضحة في مسيرة الأدب عصرئذ وفي سماته وخصائصه.

ومن أبرز آثاره ظهور فنون أدبية كانت مزدهرة في العصر الجاهلي وظهور فنون جديدة أو تطور فنون قديمة، فقد قضى الإسلام على سجع الكهان الذي كان مرتبطا بالوثنية، ونهى الخطباء عن محاكاة ذلك السجع في خطبهم، وظهر لون من الخطابة يستقي من ينابيع الإسلام.

وأخذ الشعراء يعزفون عن النظم في الأغراض التي كانت حياة الرب في الجاهلية تدعوا إليها، واتجهوا إلى أغراض دعت إليها البيئة الإسلامية كشعر الجهاد والفتوح والشعر الديني، وأصبح شعرهم يدور حول معان تتصل بالقيم والمثل الإسلامية، وقد أوجد الإسلام مبادئ خلقية تلائم تعاليمه وروحه فانعكست هذه المبادئ في النتاج الأدبي عصرئذ.[1]

وهذا ما نلحظه في شعر شعراء الفتوحات الإسلامية الذين انبروا للدفاع عن الدعوة الإسلامية تشجيعا من الله ورسوله عليه الصلاة والسلام.

**ثانيا: موقف الإسلام من الشعر والشعراء**

**1-ذكر الشعر في القرآن الكريم:**

إن القرآن الكريم تفرقان، يفرق بين الحق والباطل وفيه الهداية والهدى المبين إلى الصراط المستقيم، وهو منهج ودستور سماوي كامل لهداية الإنسان فيه مواعظ وتفاصيل لكل شيء، وقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تناولت الشعر والشاعر والشعراء، وفي ذلك قوله تعالى:﴿ بَلْ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ﴾.[2]

[1] – إحسان النص: الأدب في صدر الإسلام والعصر الأموي، مقال في الإنترنيت.

[2] – سورة الأنبياء، الآية 05.

وقولـه تعـالى: ﴿وَالشُّـعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَـاوُونَ {224} أَلَـمْ تَـرَ أَنَّهُـمْ فِـي كُـلِّ وَادٍ يَهِيمُـونَ {225} وَأَنَّهُمْ يَقُولُـونَ مَـا لَا يَفْعَلُـونَ {226} إِلَّا الَّـذِينَ آمَنُـوا وَعَمِلُـوا الصَّـالِحَاتِ وَذَكَـرُوا اللَّـهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ {227}﴾.[1]

**ثالثا: مفهوم شعر الفتوحات**

ويسمى شعر الجهاد، وهو الشعر الذي يهدف إلى الإشادة بإقدام وشجاعة الجند أمام قسوة المعارك وضراوة القتال[2]، وقد ارتبط ارتباطا وثيقا بالمعارك والمغازي ووصف الحياة الجديدة التي آلت إليها شبه الجزيرة العربية بعد مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم مبشرا ومنذرا، ويتميز بصدوره عن مشاعر صادقة مرتبطة بلحظات ومناسبات تاريخية مميزة، كالانتصار في غزوة ما، أو تحفيز الجيش على القتال، أو الحنين للأهل والأبناء، أو رثاء قتلى المسلمين وغيرها يعد سجلا تاريخيا مهما.[3]

فالشعراء الذين يتبعهم الغاوون، هم الذين يكتبون الشعر في اتباع الشهوات النفسانية ويذهبون بالمبالغة إلى حد بعيد جدا في كلامهم فيسرفون ويكذبون وهذه خيانة، وما نهى عنه الله تعالى في الآية يندرج في المحظور من الأخلاق، أي يحرم على المسلم التخلق به.[4]

وحالة الشعراء الضالون الكاذبون ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾.

فوصف الأودية وصف مجازي فالمراد به هنا فقط الضالون الكاذبون من الشعراء الذين ينشدون الأشعار عن هيامهم بالغلو والمبالغة وهم يثرثرون في الأشعار بكلامهم المسرف[5]، «أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ» من أودية الكلام وفنونه ويمضون فيجاوزون الحد في

---

[1] – سورة الشعراء، الآية 224–227.

[2] – النعمان عبد العالي القاضي، شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، 1965م، (د.ط)، ص: 241.

[3] – سعاد ترشاق، محاضرات في النص الأدبي القديم، ص: 59.

[4] – شهيناز ظهير، موقف الإسلام عن الشعر، مجلة القسم العربي، جامعة تيجاب، لاهور–باكستان، ع: 19، 2012م، ص: 104.

[5] – شهيناز ظهير، موقف الإسلام عن الشعر، ص: 105.

المدح والهجاء «وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ»، أي يكذبون في قولهم «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» من الشعراء «وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا» أي لم يشغلهم الشعر عن الذكر «وَانتَصَرُوا» بهجوهم الكفار «مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا» بهجو الكفار لهم في جملة المؤمنين فليسوا مذمومين.[1]

وفي ذلك يقول تعالى أيضا: ﴿لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾[3] تتمة لمعنى قوله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ من الشعراء وغيرهم ﴿أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ أي مرجع يرجعون بعد الموت.[4]

**1-الرسول صلى الله عليه وسلم والشعر:**

إن الثابت في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم أنه أنشد الشعر متمثلا به، غير أنه كان مقلوبا، كما حث حسان بن ثابت على قول الشعر في الدفاع عن الإسلام، وكان يقول له: «اهج المشركين وروح القدس يؤيدك» وروح القدس هو جبريل عليه السلام، فكان مؤيدا رضي الله عنه من جبريل عليه السلام، وهي فضيلة عظيمة لحسان بن ثابت رضي الله عنه.[5]

كما سأل كعب بن مالك رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: يا رسول الله ما ترى في الشعر؟ فأجابه رسول الله صلى الله عليم وسلم: «المؤمن يجاهد بلسانه وسيفه»[6]، وقوله صلى الله عليه وسل فيما رواه أبو هريرة «لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا يريد، خير من أن يمتلئ شعرا».

---

[1] – جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تفسير الجلالين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة–مصر، (د.ط، د.ت)، ص: 315.

[2] – سورة النساء، الآية 148.

[3] – سورة البقرة، الآية 194.

[4] – جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، المرجع السابق، ص: 315.

[5] – الدرر السنية، الموسوعة الحديثة، المشرف العام، علوي بن عبد القادر السقاف. www.dorar.net

[6] – ابن قتيبة، الشعر والشعراء، 311/1.

ويرى الأصمعي أن الشعر نكد بابه الشر، فإذا دخل في الخير ضعف، ألا ترى أن حسان بن ثابت قد علا في الجاهلية والإسلام، فلما دخل شعر في الخير، من مراثي النبي صلى الله عليه وسلم وحمزة وجعفر-رضوان الله عليهم- لأن شعره وطريق الشعر هو طريق شعر الفحول مثل: امرؤ القيس وزهير بن أبي سلمى، والنابعة من صفات الديار والرحيل والهجاء والمديح، والتشبيب بالنساء، وصفة الخمر والخيل والحروف والافتخار فإذا أدخلته من باب الخير لآن.[1]

وقوله صلى الله عليه وسلم، فيما روى أبو هريرة: «لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا يريه، خير من أن يمتلئ شعر».

فحديث النبي صلى الله عليم وسلم مقصودا به الشعر عامة، وإنما قصد به الشعر الذي لا يتفق مع آداب الإسلام، والدليل القاطع على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم استمع إلى الشعر واستنشده، بل ورواه وكافأ عليه.[2]

ومن ذلك أنه لما أنشد النابغة الجعدي:

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى ويتلو كتابا كالمجرة نيـــرا

بلغنا السماء مجدنا وجدودنـــا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إلى أين أبات ليلى؟ فقال: إلى الجنبة، فقال: إلى الجنة، فقال رسول الله صلى الله عليم وسلم إن شاء الله».[3]

وأنشد حسان بن ثابت حين جاوب عنه أبا سفيان بن الحارث بقوله:[4]

هجوت محمدا فأجبت عنه وعند الله في ذلك الجزاء

فقال: جزاؤك عند الله الجنة يا حسان.[5]

---

[1] – الحسين زروق، شعر الأربعين الأدبية 31 في أن الجهاد بالشعر كالنصح بالنيل، مجلة المحجة، ع: 416، 17 مارس 2014. www.almahihhafes.net .

[2] – مصطفى عبد الرحمن إبراهيم، في النقد الأدبي القديم عند العرب، 1/، ص: 65.

[3] – ابن قتيبة، الشعر والشعراء، 295/1.

[4] – ديوان حسان بن ثابت، 18/1.

[5] – ابن رشيق، العمدة، 53/1.

إن الإسلام لم يقف من الشعر موقف الجمود الذي يؤدي إلى خمود جذوته وإنما طور وجدد في معاني الشعر، وموضوعاته وأسلوبه وصياغته، ولم يعد فيه مجال للمعاني الساقطة التي تشنع عواطف البعض، وإنما هي معاني تتكئ على الالتزام بالعقيدة والدين والدعوة إلى الفضائل، وبهذا أشاعت الحب والتآخي وإنما انتقل بها إلى طور جديد يلتئم مع طبيعته السمحة وآدابه العالية.[1]

كما طورت تعاليم الإسلام في الأسلوب والصياغة فقد تأثرت بروح الإسلام، وبعدت عن الغريب والوحشي حتى يستطيع الناس فهمها وتذوقها واتجه الشعر في صوره وتشبيهاته وأساليبه إلى بعض ما اشتمل عليه القرآن الكريم من صور بديعة وأساليب جديدة.

وإن شعر الفتوح هو شعر الدولة الإسلامية، الذي تميز بالرقة والبساطة، وابتعد عن غلاظة الجاهلية وفظاظتها الغير مقبولة في الدين الإسلامي، كما ابتعد عن الخلاعة والشعر الذي كان يهتم بالشهوات والكلمات الناعمة، إذ أصبح الشعر يليق بالدولة الإسلامية وعصر الشريعة والهدى، حيث جاء الدين الإسلامي ليطور كافة المجالات، ويجعل الجميع يهتدي إلى الدين الحق، ومن شأن الشعر في عهد الدولة الإسلامية أن يدعوا الناس لعبادة الله الواحد الأحد، ويدعوا للقول الحسن والتقرب لله ورسوله بكل قول وعمل.[2]

**رابعا: خصائص شعر الفتوح**

يتميز شعر الفتوح بخصائص عدة نذكر منها:[3]

1- اتسم شعر الفتوح بالقول الحسن والكلمة الناعمة الخفيفة، متمثلا بالقرآن الكريم الذي اهتم بهداية الناس وتنويرهم، وهديهم للدين والذكر الحكيم دون غلاظة ولا ترويع، ولا فظاظة، فكان الشعر متأثرا بالقرآن الكريم بشكل كبير.

---

[1] – مصطفى عبد الرحمن إبراهيم، في النقد الأدبي القديم عند العرب، ص: 68.

[2] – آية أحمد زقزوق، خصائص عر الفتوح، مقال في الإنترنيت، موسوعة المرسال، تاريخ النشر: 14 فيفري 2021م، على الساعة: 02.33، متاح على الموقع: www.almrsal.com

[3] – المرجع نفسه.

2- الالتزام بالإيجاز فكان الشعر موجزا ومعبرا ولا يسترسل الشعراء في القول، فظهرت القصيدة القصيرة، والأبيات الخفيفة عكس ما كان الأمر في الجاهلية.

3- سهولة اللفظ، كانت الأشعار في عهد الفتوح خفيفة اللفظ، لكي يفهمها كل الناس، ويدركها الكبير والصغير، لأن الهدف كان واضحا وهو الدعوة للدين الحنيف.

4- اشتمل شعر الفتوح على أخبار الجيوش، حيث وصف شجاعة الرجال، وكيفية الدفاع عن بلادهم ودينهم، وكيف كانوا أسوة حسنة لغيرهم في البلاد التي فتحوها.

5- بدأت الفتوحات الإسلامية من غزوة بدر، فكان الشعراء بمثابة ناقلين للتاريخ الإسلامي والتفاخر بالنصر.

6- اهتم الشعراء اهتماما كبيرا بوصف البلاد التي فتحها المسلمين، وتحدثوا من خلال أشعارهم عن الثقافات والديانات التي يعتنقونها.

**خامسا: أهم شعراء الفتوحات**

لقد كتب العديد من الشعراء في الفتوح، وكان منهم من شارك فيها فذاد عن الإسلام بالسيف والقلم، ووقف آخرون في ميدان القلم كما أمرهم الرسول صلى الله عليه وسلم يدافعون عن الدعوة الإسلامية وإعلاء راية الإسلام في سماء النصر المبين للمسلمين، فكانوا يرشقون الأعداء بأشعارهم ويبثون الحماسة في نفوس الجنود وتقوية عزائمهم وإصرارهم على النصر المؤزر، فصدع الكثير من الشعراء بألسنتهم يجاهون الأعداء بقلمهم السيال، حيث جعلهم صاحب الطبقات في باب شعراء القرى العربية وهي خمس: المدينة، ومكة، والطائف، واليمامة، والبحري، وأشهرهن قرية المدين وشعرائها الفحول الخمسة: ثلاثة من الخزرج، واثنان من الأوس:

1- فمن الخزرج من بني النجار: حسان بن ثابت.

2- ومن بين سلمة: كعب بن مالك.

3- ومن بلحارث بن الخزرج: عبد الله بن رواحة.

4- ومن الأوس: قيس بن الخطيم، من بني ظفر.

5- وأبو قيس بن الأسلت: من بني عمور بن عوف.[1]

**1-حسان بن ثابت الأنصاري:**

هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمور بن زيد مناه بن عدي بن عمور بن مالك بن النجار الأنصاري، يكنى أبا الوليد، وقيل يكنى: أبا عبد الرحمن، وقيل: أبا الحسام، وأمه القريعة بنت خالد بن خنيس بن كعب بن ساعدة الأنصارية، كان يقال له شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم.[2]

ويصنف بن عبد البر القرطبي أن عائشة رضي الله عنها وصفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: كان والله كما قال فيه شاعره حسان بن ثابت رضي الله عنه.[3]

متى يبدو في الداجي ....جبينه يلح مثل مصباح الدجى المتوقد

فمن كان أو من قد يكون كأحمد نظام لحق أو نكال لملحـــــد

**أ-موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من حسان بن ثابت وشعره:** روي حديثا عن عوف الأعرابي وجرير بن حازم عن محمد بن سيرين: «أن الذين كانوا يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشركي قريش: عبد الله بن الزبعرى، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وعمرو بن العاص، وضرار بن الخطاب، فقال لعلي بن طالب رضي الله عنه: اهج عنا القوم الذين يهجوننا، فقال: إن أذِن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلت، فقالوا: يا رسول الله: ائذن له، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن عليا ليس عنده ما يراد في ذلك منه، أو: ليس في ذلك هنالك»، ثم قال: ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله

[1] - ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، 215/1.

[2] - أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحق: محمد عبد المنعم البري، جمعه طاهر النجار، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: 03، 2010، 400/1.

[3] - المرجع نفسه، 400/1.

صلى الله عليه وسلم بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟ فقال حسان: أنا لها وأخذ بطرف لسانه، وقال: والله ما يسرني به مقول بين بصرى وصنعاء».

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كيف لهجوهم وأنا منهم؟ وكيف تهجو أبا سفيان وهو ابن عمي؟...فقال: والله لأسلنك منهم كما تسل الشعر من العجين، فقال له: إيت أبا بكر فإنه أعلم بأنساب القوم منك، وكان يمضي إلى أبي بكر ليقف على أنسابهم، فكان يقول له: كف عن فلانة وفلانة، واذكر فلانة وفلانة، فجعل حسان يهجوهم، فلما سمعت قريش شعر حسان، قالوا: إن هذا الشعر ما غاب عنه ابن أبي قحافة، أو: من شعر ابن أبي قحافة».[1]

**ب-حسان في عيون الصحابة رضوان الله عليهم والرّواة:** روي عن أبي هريرة وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لحسان: «اهجهم-يعني المشركين- وروح القدس معك» وإنه صلى الله عليه وسلم قال لحسان: «اللهم أيده بروح القدس لمناضلته عن المسلمين»، وقال صلى الله عليه وسلم: «إن قوله فيهم أشد عليهم من وقع النبل».[2]

ومر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بحسان وهو ينشد الشعر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أتنشد الشعر؟ وقال: مثل هذا الشعر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال له حسان: قد كنت وفيه من هو خير منك-يعني النبي صلى الله عليه وسلم- فسكت عمر.

وروي عن عمر رضي الله عنه أنه نهى أن ينشد لناس شيئا من مناقضة الأنصار ومشركي قريش، وقال في ذلك شتم الحي والميت، وتجديد الضغائن، وقد هدم الله أمر الجاهلية بما جاء من الإسلام.

[1] - أبو عمرو بن يسوف عبد البر القرطبي، الاستيعاب، 401/1.

[2] - ابن عبد البر، الاستيعاب، 402/1، 403.

وروي ابن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قال: فضل حسان على الشعراء بثلاث: كان شاهر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبي صلى الله عليه وسلم في أيام النبوة، وشاعر اليمن كلها في الإسلام.

قال أبو عبيدة، واجتمعت العرب على أن أشعر أهل المدر أهل يثرب، ثم عبد القيس، ثم ثقيف، وعلى أن شعر أهل المدار حسان بن ثابت، فهو شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر أهل اليمن في الإسلام، وهو شاعر أهل القرى.[1]

وعن أبي عبيدة وأبي عمرو بن العلاء أنهما قالا: حسان بن ثابت أشعر أهل الحضر، وقال أحدهما: أهل المدر.

وقال الأصمعي: حسان بن ثابت أحد فحول الشعراء، فقال أبو حاتم، تأتي له أشعار لينة، فقال الأصمعي: تنسب إليه أشياء لا تصح عنه.

وروي ابن أخي الأصمعي، هذا حسان فحل من فحول الشعراء في الجاهلية، فلما جاء الإسلام سقط شعره.

وقال في موضع آخر: شعر حسان في الجاهلية أجو الشعر.[2]

وقال عبد الملك بن مروان: إن أمدح بيت قالته العرب بيت حسان هذا.[3]

**ج-شعر حسان بن ثبات بين الهجاء والرثاء:** هجاء حسان بن ثابت في أبي سفيان بن الحارث، حيث يقول:[4]

وأبلغ أبا سفيان عني رسالـــــة فما لك عن إصدار عـزم ولا ورد

وإن سناء* المجد من آل هاشم بنو بنت مخزوم ووالدك العبـــــد

وما ولدت أفناء زهرة منكـــــم كريما ولم يقرب عجائزك المجـد

---

[1] – المرجع نفسه، 403/1.

[2] – ابن عبد البر، الاستيعاب، 403/1.

[3] – المرجع نفسه، 404/1.

[4] – ديوان حسان بن ثابت، تحق، وتع: وليد عرفات، دار صادر، بيروت-لبنان، ط: 3، 2012م، 222/1.

* – ذكر البيت عند بن عبد البر في الاستيعاب، بلفظة (سنام)، ينظر: بن عبد البر، الاستيعاب، 401/1.

ولست كعباس ولا كابن أمـــه ولكن هجين ليس يورى له زنـــد
وكنت دعيا نيط في آل هاشـم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد
وإن امرءا كانت سمية أمـــه وسمراء مغلوب إذا بلغ الجهـــد

فلما بلغ هذا الشعر أبا سفيان قال: هذا كلام لم يغب عنه ابن أبي قحافة[1]، ويضيف حسانا هجاءه في أبي سفيان كما قام بهجاء الرسول صلى الله عليه وسلم كرد له لما قال:[2]

هجوت محمدا فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجـزاء
أتهجوه ولست له بكفـــؤ فشر كما لخير كما الفداء
هجوت مباركا برا حنيـــفا أمين الله حشمته الـــوفاء
فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره ســـواء
فإن أبي ووالده وعرضـــي لعرض محمد منكم وقـــاء
لساني صارم لا عيب فيـه وبحري لا تكدره الـــدلاء

**د-وفاتـه:** توفي حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه قبل الأربعين في خلافة علي رضي الله عنه، وقيل: مات سنة خمسين سنة، وقيل: أنه توفي سنة أربع وخمسين، وهو ابن مائة وشعرين سنة، منها ستون في الجاهلية، وستون في الإسلام.[3]

**2-كعب بن مالك:**

هو كعب بن مالك بن أبي كعب بن سلمة بن الخزرج الأنصاري السلمي، يكنى: أبا عبد الله، وقيل: أبا عبد الرحمن، أمه ليلى بنت زيد بن ثعلبة من بين سلمة أيضا، شهد العقبة الثانية، واختلف في شهوده بدر، ولما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة آخى بين كعب وبين طلحة بن عبيد الله حسين آخى بين المهاجرين والأنصار.

[1] - أبو عمرو يوسف بن عبد البر القرطبي، الاستيعاب، 401/1.
[2] - ديوان حسان بن ثابت، 18/1.
[3] - المرجع نفسه، 406/1.

كان أحد شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كانوا يردون الأذى عنه، وكان مجودا مطبوعا، قد غلب عليه في الجاهلية أمر الشعر، وعرف به، ثم أسلم وشهد العقبة، ولم يشهد بدرا، وشهد أحدا والمشاهد كلها ما عدى غزوة تبوك فإنه تخلف عنها.[1]

وهو أحد الثلاثة الأنصاري الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[2]، وهم كعب بن ملك، وهلال بن أمية، ومرارة بن ربيعة، تخلفوا عن غزوة تبوك، فتاب الله عليهم.[3]

**وفاته:**

توفي كعب بن مالك في زمن معاوية، سنة خمسين، وقيل: سنة ثلاث وخمسين، وهو ابن سبع وسبعين، وكان قد عمي وذهب بصره في آخر عمره، يعد من في المدنيين.[4]

ومما قاله الشعر كعب بن مالك تخوف أعداء الله ورسوله:[5]

قضينا من تهامة كل وتر* وخيبر ثم أعمدنا السيوفا

نخبرها ولو نطقت لقالت قواطعهن دوسا أو ثقيفا

وذكر أحمد بن محمد عن الزهري، أن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك قال: يا رسول الله، ماذا ترى في الشعر؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه»، قال أبو عمر: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكعب بن مالك «أترى الله عز وجل شكر لك قولك».

زعمت سخينة أن ستغلب ربها فليغلبن مغالب الغلاب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا».[1]

---

[1] – ابن عبد البر، الاستيعاب، 381/1.

[2] – سورة التوبة، الآية 118.

[3] – ابن عبد البر، المرجع السابق، 381/1.

[4] – المرجع نفسه، 382/1.

[5] – المرجع نفسه، 382/1.

* – وفي رواية: كل ريب، ينظر: المرجع نفسه، 382/1.

### 3-عبد الله بن رواحة:

هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرؤ القيس، بن عمرو بن امرؤ القيس الأكبر ابن ملك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث، يكنى أبا محمد أحد النقباء.[2]

وعبد الله بن رواحة هو شاعر حجازي ولد في يثرب وشب وترعرع وهو خزرجي النسب، يعود أصله إلى قبائل الأزد القحطانية الذين نزحوا إلى شمال الجزيرة بعد تصدع سد مأرب، فسكن الغسانيون في بلاد الشام، وأقام الأوس والخزرج قوم عبد الله في المدينة.[3]

وهو شاعر فارس، وصحابي جليل، وقائد من قواد معارك الإسلام، وأحد شخصيات المسلمين الفذة الذين دافعوا عن الدين بالسّنان واللسان، والسيف والقلم، والرمح والقرطاس، بأبلى في ذلك كله بلاء حسنا مشكورا، ونال الأجر والثواب عند الله تعالى مالا يناله إلا المؤمنون المصابرون، وهو شاعر مخضرم عاش في الجاهلية، وشارك في أيام قومه ووقائعهم وحروبهم، وكان سيدا من ساداتهم، ثم جاء الإسلام، فمن الله عليه بالإيمان والهداية، فكان من السابقين الأولين إليه، ثم أصبح جنديا من جنوده الباسلين الشجعان، فشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع الغزوات والوقائع[4]، فشهد العقبة، وبدرا، وأحدا، والخندق، والحديبية، وعمرة القضاء، والمشهد كلها إلا الفتح وما بعده، لأنه قتل يوم موته شهيدا، وهو أحد الأمراء في غزوة مؤتة، وأحد الشعراء المحسنين الذين كانوا يردون الأذى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.[5]

---

[1] – ابن عبد البر، الاستيعاب، 1/382-383.

[2] – المرجع نفسه، 1/33-34.

[3] – وليد قصاب، ديوان عبد الله بن رواحة ودراسته في سيرته وشعره، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض-السعودية، ط:1، 1402هـ-1982م، ص: 20.

[4] – وليد قصاب، ديوان عبد الله بن رواحة، ص: 21.

[5] – ابن عبد البر، الاستيعاب، 1/33-34.

**شعره:**

**أ-شعره في المناسبات وذكر المشركين:** كثيرة هي الأبيات الشعرية التي قالها ليدعم المسلمين وهم يخرجون كفار قريش، ويسوقونهم كما تساق الإبل، تسقيها كأس الذل، وتطاردها حتى تنزلها أكناف نجد ونخلة، وتلحقها حيثما اتجهت، وستظل تنتصر عليها أبد الدهر حتى تفنيها، وفي ذلك يقول:[1]

وإخراجها لم يخز فيـــها محمـــد على مأقط وبيننا عطر منشـــم
وامسى أبو سفيان من حلف ضمضم ومن حربنا في رغم أنف ومنـــدم
قرنا ابنه عمـــرا ومـــولى يمينـــه بذي حلق جلد الصلاصيل محكم
فأقسمـــــت لا تنفك منا كتائـــب سراة خمسين في لهام مســـــوم
نزوع قرش الفكـــــر حتى نعلـــها بمخاطبة فوق الأنوف بميســـم
تنـــزلهم أكتـــاف نجد ونخلـــة وإن يتهموا بالخيل والرجل تتهـــم
يد الدهر حتى لا يعـــوج ســـربنا ونلحقـــهم آثار عاد وجرهـــم
ويندم قوم لم يطيعـــوا محمـــــدا على أمرهم وأي حين تنـــــدم

ثم نجد في موضع آخر يتوجه بالخطاب إلى أبي سفيان مباشرة، ويحذره بأنه إذا لم يسلم ويسجد لله مخلصا، فإن الخزي سيصيبه في الدارين معا: في الحياة الدنيا، وفي الآخر سيخلد في جهنم:[2]

فأبلغ أبا سفيان إما لقيتـــــه لئن نت لم تخلص سجودا وتسلم
فأبشر بخزي في الحياة معجل وسربال قار خالدا في جهنـــــم

تتضمن القصيدة بعض المعاني الدينية، فالشاعر يعير قريشا بالكفر، وينسبها إليه، فيسميها [قريش الكفر] وهو يعيرها بأنها أقامت على كفرها، وعصت محمدا، وهو يدعو أبا سفيان للإسلام، وإلى أن يسجد لله مخلصا، لكن أبا سفيان أخلف موعده، ولم يأت إلى بدر

[1] – وليد قصاب، المرجع السابق، ص89.

[2] – وليد قصاب، ديوان عبد الله بن رواحة، ص: 90.

كما وعد عقب انصرافه من بدر الكبرى، وذكره بما كان من هزيمة لقريش في يوم بدر، ومقتل رؤوس القوم عتبة بن الوليد، وابنه الوليد، ومصرع أبي جهل، ثم يعيرهم بعصيانهم لرسول الله، وعدم الإقبال على دينه، ويذكرهم بدينهم السيء وأنه دين غواية وضلال، ثم يشير إلى نصرتهم للنبي عليه الصلاة والسلام، وفدائهم له بالأنفس والأموال، وطاعته لا يؤثرون عليه أحدا، فقد جاءهم شهابا هاديا من الظلمات إلى النور، فيقول في ذلك:[1]

وعدنا أبا سفيان بدرا فلم نجد ... لميعاد صدقا وما كان وافيا

وأقسم لو وافيتنا فلقيتنا ... لأبت ذليلا وافتقدت بالمواليا

تركنا به أوصال عتبة وابنه ... وعمرا أبا جهل تركناه ثاويا

عصيتهم رسول الله أف لدينكم ... وأمركم السيء الذي كان غاويا

فإني–وإن عنفتموني– لقائل ... فدى لرسول الله أهلي وماليا

أطعناه لم نعدله فينا بغيره ... شهابا لنا في ظلمة الليل هاديا

فابن رواحة يقارن بين موقف قريش وموقف الأنصار من النبي صلى الله عليه وسلم، فحين عصته قريش ولم تقبل دينه، خرج منهم من يطيعه ويصدقه ويؤمن به.

فالشاعر ينعي دائما في شعره قريشا بدينها، وينعي عليها ضلالها وفساد أمرها في كثير من موقع.

**ب–شعره في ذكر الإسلام ورسوله الكريم:** لقد تأثر عبد الله بن رواحة بأفكار الإسلام وألفاظه وعباراته بشكل واضح، فكان شعره بما تشيع فيه من ألفاظ وأفكار قرآنية، حيث يقول:[2]

شهدت بإذن الله أن محمدا ... رسول الذي فوق السموات من عل

وأن أبا يحي ويحي كليهما ... له عمل في دينه متقبل

وأن الذي عاد اليهود ابن مريم ... رسول أتى من عند ذي العرش مرسل

[1] – المرجع نفسه، ص: 90.

[2] – وليد قصاب، ديوان عبد الله بن رواحة، ص: 93.

وأن أخا الأحقاف إذ يعدلونه يجاهد في ذات الإله ويعدل

فيستشهد بالله أن محمدا رسول حق أرسله الله المتربع على عرش السماوات، ويذكر أبا يحي ذكريا عليه السلام، ويشير إلى العزى-إحدى آلهة الجاهلية- وإلى اليهود وابن مريم، وإلى هود -عليه السلام- أخي الأحقاف مقتبسا من قوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾.[1]

ويذكر في موضع آخر ذاكرا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقاه وورعه وعبادته، ويذكر الحشر بعد الموت ويشير إلى إيمانه بهذا إيمانا لا يخالجه الشك إذ يقول:[2]

وفينا رسول الله يلتو كتابـــه إذ انشق معروف من الصبح ساطع

أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به مـــــوقنات أن ما قال واقـــع

يبيت يحافي جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالكافرين المضاجـــع

واعلم علما ليس بالظن أننـي إلى الله محشـــور إليه وراجـــــع

وهناك مقطوعة لابن رواحة مزج فيها مديح للنبي صلى الله عليه وسلم وهجاء بعض أبناء قريش، حيث روي هشام بن عروة عن أبيه، قال سمعت أبي يقول: ما سمعت أحدا أجرأ ولا أسرع شعرا من عبد الله بن رواحة، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول له يوما: قل شعرا تقتضيه الساعة، وأنا أنظر إليك فقال:[3]

إني تفرست فيك الخير أعرفه والله يعلـم أن ما خانني البصـــر

أنت النبي ومن يحرم شفاعتـه يوم الحساب لقد أزرى به القـــدر

فثبت الله ما آتاك من حســن تثبيت موسى ونصرا كالذي نصروا

كما خص آل هاشم بالمدح، فذكر أن الله فضلهم على غيرهم واختار رسولا منهم، فقال:[4]

---

[1] – سورة الأحقاف، الآية 21.

[2] – وليد قصاب، ديوان عبد الله بن رواحة، ص ص: 93-94.

[3] – ابن عبد البر، الاستيعاب، 35/1.

[4] – المرجع نفسه، ص: 94.

يا آل هاشم إن الله فضلكم على البرية فضلا ماله غيـــــر

فخبروني أثمان العباء متى كنتم بطاريق أو دانت لكم مضر

لكن الرسول صلى الله عليه وسلم كره منه قوله (أثمان الغباء)، فأشرع عبد الله بن رواحة يصلح ما قاله في:[1]

نجال الناس عن عرض فنأسرهم فينا النبي وفينا تنزل الســـــــور

وقد علمتم بأنا ليس يغلبـــــــنا حي من الناس إن عزوا وإن كثروا

ومن شعره في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم:[2]

لو لم تكن فيه آيات مبينــة كانت بديهته تنبيك بالخبــر

فثبت الله ما آتاك من حسن قفوت عيسى بإذن الله والقدر

نلاحظ أن شعر عبد الله بن رواحة تظهر فيه المعاني الإسلامية، ولا شك أن طبيعة الموضوع تستدعي وجود هذا الأثر، كما تعكس إخلاص الشاعر للدين الإسلامي، وولاءه لرسوله الكريم، وإقراره بفضله وجهاده، فقد أخرجهم من ظلام الجهل والوثنية إلى نور الإيمان والهداية.

[1] – المرجع نفسه، ص: 94.

[2] – وليد قصاب، ديوان ابن رواحة، ص ص: 94-95.

# المحاضرة الخامسة: المراثي النبوية

كان ظهور الإسلام حدثا عظيما، غير معالم الحياة العربية التي سادت في العصر الجاهلي، وذلك بما حمله من قيم إنسانية جديدة، وتم له جمع شتات القبائل المتناحرة وجعل منها خير أمة أخرجت للناس، ودأب على استئصال طبائع الجاهلية جاعلا مدار التفاضل بين الناس على التقوى والعمل الصالح.

وتنزلت آيات القرآن على الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام هاديا ومبشرا بدعوة الحق والإسلام بلغة أهل قريش، فبعث القرآن في قرائح الشعراء روحا جديدة، تجلت في بلاغة خطبائهم وشعرائهم.

لكن الأمة المسلمة بما فيهم الشعراء الذين خرجوا للدفاع عن الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد عبر -الشعراء- عن هذه الفاجعة الأليمة فكانت أشعارهم مرآة تعكس حبا عميقا نابعا من وحي العقيدة الإسلامية وإعجابا كبيرا بالشمائل المحمدية.[1]

وفي هذا المقام نقف عند المفهوم العام للرثاء كغرض شعري، وأهم المرثيات النبوية وخصائصها.

**أولا: مفهوم غرض الرثاء**

**1-لغة:**

الرثاء من الفعل الثلاثي «(رثى): فلان فلانا يرثيه رثيا ومرثية إذا بكاه بعد موته، قال: فإن مدحه بعد موته قيل رثاه يرثيه ترثية، ورثيت الميت: مدحته بعد الموت وبكيته، ورثوت الميت أيضا إذا بكيته وعددت محاسنه وكذلك إذا انضمت فيه شعرا، ورثت المرأة بعلها وامرأة رثاءة كثيرة الرثاء».[2]

---

[1] - أحمد حاجي، المراثي النبوية في صدر الإسلام، رسالة ماجستير في الأدب العربي القديم، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان-الجزائر، 1422هـ-2001-2002م، ص: 04.

[2] - محمد جلال الدين بن منظور، لسان العرب، طبعة جديدة منقحة، دار صادر، بيروت-لبنان، ط: 4، 2005م، مج: 6، مادة (رثا).

## 2-الرثاء في الإصلاح:

هو غرض شعري قديم تداولته العرب منذ الجاهلية، ويعني البكاء على الفقيد والتفجع لموته وندبه وإظهار الفاجعة بالحزن والدموع وتعداد مآثره وفضائله.

والرثاء من باب المدح، لأنه مدح للميت وذكر محاسنه وتعداد مناقب الممدوح ومحامده ومزاياه في حياته، فإن الرثاء بهذه الصورة يكون بعد موت الممدح، وهذا ما ذهب إليه ابن رشيق، بقوله: «وليس بين الرثاء والمدح فرق، إلا أنه يخلط بالرثاء شيء يدل على أن المقصود به ميت مثل: «كان» أو «عد منا به كيت وكيت» وما يشاكل هذا ليعلم أنه ميت».[1]

كما يذكر قدامة بن جعفر أنه: «ليس بين المرثية والمدحة فصل إلا أن يذكر في اللفظ ما يدل على أنه لهالك مثل: كان وتولى وقضى نحبه وما أشبه ذلك».[2]

فترى الشاعر يحس بالوحدة والفراغ، وهو السيد، فأصبح يعاني من هذه السيادة لأنه عدا سيدا بلا مسودين، ويرجع بذاكرته إلى سنين خلت كانوا فيها في غبطة من العيش ولكن الاسترسال بالذاكرة ينقطع فيرى قبالة عينيه قبورهم في بقيع الفرقد، إنهما القبطان اللذان حيراه -الموت والحياة- ثم يذكر شجاعتهم ولزمهم.[3]

وسبيل الرثاء أن يكون ظاهر التفجع بين الحسرة، مخلوطا بالتلهف والأسف والاستعظام، إن كان الميت ملكا أو رئيسا كبيرا.[4]

وفقيدنا في هذا المقام الرسول عليه الصلاة والسلام الشفيع والمشفع للأمة الإسلامية.

ويذكر ابن سلام في طبقاته قوله: «وقد حيرنا أصحاب المراثي طبقة بعد العشرة الطبقات».[1]

---

[1] - أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تق، وشر: صلاح الدين الهواري، هدى عودة، دار ومكتبة الهلال، بيروت-لبنان، 2002م، (د.ط)، 231/2.

[2] - قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1948، (د.ط)، ص: 118.

[3] - عبد الباقي الخزرجي، الشعر في يثرب قبل الإسلام، كتاب ناشرون، بيروت-لبنان، ط: 1، 2011، ص: 104.

[4] - ابن رشيق، العمدة، 231/2.

**ثانيا: المراثي النبوية**

هي كل «شعر قيل في وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم حزنا عليه، أو ثناء، أو ترحما، أو غير ذلك من معاني الرثاء»[2]، لأن وفاته صلى الله عليه وسلم، خلفت حزنا عميقا على نفوس الصحابة والمسلمين أجمعين بعد تعودهم عليه بينهم، يوجههم ويحوطهم برعايته الشريفة، ما دفع الصحابة رضوان الله عليهم ينظم القصائد الطوال في رثائه عليه الصلاة والسلام، تاركا فراغا رهيبا لا يملؤه سوى الرضى بقضاء الله وقدره، وفي هذا يقول محمد الرابع الحسني الندوي: «لقد كانت وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم أعنف صدمة نفسية، وأشدها إيلاما للصحابة رضي الله عنهم فكان لها أن تؤثر وتنشء آثارا أليمة على نفوسهم».[3]

**ثالثا: الخصائص الفنية في المراثي النبوية**

حوت المراثي النبوية المعاني الآتية في المرثية النبوية.

**1-البناء:**

حفل النقاد العرب بالبيت الأول من بناء القصيدة مالم يحلفوا بغيره من أجزاء بنائها، فهو أول ما يطرق الأسماع منها، وهو زمامها الذي يسوقها إلى وجهتها، وهو الباب الذي يدل على أرجائها.

**أ-حسن الابتداء:** لقد جعلوا من علامات حسن الابتداء أن لا يخالف المطلع مقياسا من مقاييس اللغة، وألا يكون باردا، وأن يكون دالا على ما بنيت القصيدة عليه، فإذا كان نادرا أسيرا مع ذلك بلغ براعة الاستهلال.

---

[1] - محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، 203/1.

[2] - محمد شمس عقاب، المراثي النبوية في أشعار الصحابة توثيق ودراسة، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، ط:1، 1435هـ-2013م، ص: 20.

[3] - محمد الرابع الحسن الندوي، الأدب الإسلامي، وصلته بالحياة مع نماذج من صدر الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، 1985م-1405هـ، ص ص: 44-45.

كما لم يؤثر في مطالع المراثي النبوية ما يعاب، وإن عددا منها كان حسن الابتداء، وربما جاوز بعضهما فاستهل استهلالا ساحرا أخاذا[1]، وكان شعر المراثي يذهبون في أوائل قصائدهم مذاهب شتى، فمن الصحابة من بغته الحزن وطغى على قلبه، فلم يجد مفتتحا خيرا من ذكر نبأ البلاء الذي ألم به من ذلك قول عبد الله ابن سلمة:

إن فقد النبي صرعنا اليـــ م، فدته الأسماع والأبصار

وقول عمة النبي صفية بنت عبد المطلب:

آب ليلى علي بالتسهاد وجفا الجنب غير وطء الوساد.

وكل ما ذكر في هذه المطالع مدخل يراد به التنبيه إلى غرض القصيدة، والإسراع بالقارئ إليها من غير إبطاء بمقدمة طللية، أو مراوغة بغزل أو نحوه، وهي كلها جمل خبرية نلمس منها بعد هؤلاء الشعراء عن إلهاب العواطف بالأساليب الإنشائية، فهي ملتهبة أصلا، وقلة حرصهم على توكيد أخبار حزنهم.[2]

كما افتتح بعض الشعراء قصائدهم بالنداء، نداء ابنة الفقيد، كقول سالم الخطفاني:

أفاطمة، بكي ولا تسأمي لصبحك ما طلع الكوكب

أو نداء العين لتذراف الدمع، والإسعاد على الحزن، كقول صفية بين عبد المطلب:

عين جودي بدمعة وسهود واندبي خير هالك مفقود

والافتتاح بالقسم توكيدا على حرفة الفقد لفراق الحبيب[3]، كقول حسان بن ثابت.[4]

آليت حلفة بر غير ذي دخل مني ألية بر غير إفناء

**ب-التشويق وتهيئة السامع:** بتأخير ذكر الوفاة عن مستهل القصيدة، كقول مسروق بن ذى الحارث الهمذاني: [5]

---

[1] – محمد شمس عقاب، المراثي النبوية، ص: 373.

[2] – محمد شمس عقاب، المراثي النبوية، ص: 377.

[3] – المرجع نفسه، ص: 375.

[4] – ديوان حسان بن ثابت، 131/1-132.

[5] –

قلت والدمع كالجمان على النحـ ـــــر وقد لاح في السماء العيوق

كل أمر وإن تعاظمني الصبـــ ـــــر عليه سوى النبي دقيـــــق

ففي المطلع نرى الدموع منحدرة صافية صفاء سرسرة صاحبها، حارة حرارة صدره الكليم، وقد قيل: إن «نظم اللسان في حقيقته نظم ما كان نقيا نقاء هذه الخواطر الدافقة في القلوب، متلاحقا تلاحق الأفكار الملتهبة في الرؤوس، متجانسا تجانس الأنباض المهتاجة في الصدور، سخيا خصبا سخاء وخصوبة هذه النفوس، لأن كلام كل منا صحيفة لبه».[1]

**ج-حسن الاختتام:** يقول ابن رشيق: «لقد عرض حرص الشعراء أن يكون البيت الأخير محكما لا تمكن الزيادة عليه، ولا يأتي بعده أحسن منه، وإذا كان أول الشعر مفتاحا له وجب أن يكون آخره قفلا عليه»[2]، فمن الصحابة رضوان الله عليهم من ختم بالحكمة، كقول عمرو بن العاص:

واعلم بأن لكل ساع سعيه هذا-لعمر أبيك- أمر جامع

وهو ختام مواقف لرسالة قصيدته التي فحواها: إن لم تؤدوا ما أوجبت الرسول الكريم فقد جنيتم على أنفسكم، لأننا لن نضيع حق الرسول صلى الله عليه وسلم حتى بعد مماته.[3]

ومن ختامهم الحسن قول ابن النعمان العتكي يشد من أزر عمرو بن العاص عامل الرسول صلى الله عليه وسلم، ويومنه:

إن يستقيموا كنت أول راكب أو يرجعوا فلك الخصال الأربع

حق الأمير، وذمة يمنيـــــة ومهابة، وإتـــــاوة لا ترفـــــع

وحسنه راجع إلى ما فيه من التعزز وحسن التقسيم، ومثل هذا الختام يعلق في الخواطر لحميد معناه، وحلاوة جرسه.

ومن الختام الجيد قول عمور بن سالم:

---

[1] – محمد محمد أبو موسى، دلالات التركيب، دراسة بلاغية، مكتبة وهبة، القاهرة-مصر، طبعة 1429هـ، ص: 272.

[2] – ابن رشيق، العمدة، 239/1.

[3] – محمد شمس عقاب، المراثي النبوية، ص: 377.

فو الله لا أنساك ما دمت ذاكرا لشيء، وما قبلت كفا وأصبعا

فإن فيه من معنى الوفاء الملائم لمقام الرثاء وفقد الحبيب، والتعبير عن ذلك صراحا بالقسم، الذي يذكر بقسم الأحبة على بقاء العهد، وبالكناية عن طول الحزن وملازمته للشاعر في أحوال كلها.

غير أن الختام الذي ألح عليه الصحابة ورجعوه في مراثيهم للنبي صلى الله عليه وسلم الختام بالدعاء له والصلاة عليه، كأبي سفيان حين قطع رثاءه له بقوله: [1]

صلاة الله من رب رحيم عليه، لا تحول، ولا تزول

وبه قطعت صفية مراثي لها كثيرا، قولها:

رحمة الله والسلام عليه وجزاه المليك حسن الثواب.

ويرى ابن رشيق أن الشعراء قد كرهوا ختم القصيدة بالدعاء، لأنه من عمل أهل الضعف، إلا للملوك[2]، والرسول صلى الله عليه وسلم في نفوس هؤلاء الشعراء أعز وأرفع من كل الملوك ولن يؤديه حقه –في نظرهم– إلا الله الغني البر الكريم، وليس لهم من عزاء في وفاة رسوله إلا فضل اله وجوده ورحمته، وما من رجاء لهم في هذا الموقف سواه فكان قطع الرثاء بالدعاء غاية ابتغى الصحابة بقاءها في أسماع الناس وعلى ألسنتهم.[3]

**2–اللغة في المرثية النبوية:**

دارت في مراثي الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم مجموعات من الألفاظ، منها مجموعة ألفاظ الدموع والبكاء، وقد وقعت في بعض أبيات الشعراء الذين رثوا الرسول صلى الله عليه وسلم منها قولهم[4]: «وأسعدني البكاء (أبو سفيان).

- وماء عيوننا جار (ابن النعمان العتكي).
- وبكت عليه الأرض، وبكته آفاق السماء (عبد الحارث).

[1] – المرجع نفسه، ص: 378.

[2] – ابن رشيق، العمدة، 241/1.

[3] – محمد شمس عقاب، المراثي النبوية، ص: 380.

[4] – المرجع نفسه، ص: 388.

- لا أبكي على هلك هالك، ولكنين باك عليك (عبد الله بن أنيس).
- بكت الأرض والسماء عليه، وبكاه خليله جبريل، وأجرت دمع عين فللجفون هموم (مرّان).
- بكت الأرض والسماء على النور (عامر بن الطفيل).
- فيا عين جودي بالدموع السواجم (صفية بنت عبد المطلب)».

والتفسير لكثرة هذه الألفاظ أنها مرآة انعكست عليها مشاعر التفجع الشديد، والألم، وهي على كثرتها ملائمة لكبير مقام الفقيد صلى الله عليه وسلم حين لم يجد الصحابة من حيلة إلا البكاء والدمع، والبكاء حيلة إنسانية فطرية عامة، لا يكاد يفارق بشرا صادقا في حزنه.[1]

**3-توظيف المعاني الإسلامية في المراثي النبوية:**

إن المتتبع للمراثي النبوية يجدها مليئة بالمعاني الإسلامية وبالألفاظ القرآنية، وسنذكر أمثلة:[2]

من تلك المعاني قول أبي الهيثم بن التليهان:

ثلاثة أصناف من الناس كلهم يروح علينا بالشّنان ويغتدي

مقتبسة معاني هذا البيت من قوله تعالى: ﴿ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ﴾.[3]

كما يذكر الشاعر عبد الحارث بن أنس في مرثيته قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾[4]، حيث يقول:

بنجران نعطي من سعى صدقاتنا موفرة، ما في الخدود لها صعر

[1] - محمد شمس عقاب، المراثي النبوية، ص: 288.

[2] - المرجع نفسه، ص: 420.

[3] - سورة المائدة، الآية 08.

[4] - سورة لقمان، الآية 18.

ويأتي تشبيه الرسول صلى الله عليه وسلم في القرآن بالنور في قوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾[1]، فيثبت في خيال صفية عمّيه، إذ تقول:

قد كنت بدرا ونورا يستضاء به عليه تنزل من ذي العزة الكتب

فكأنما تعمدت ترتيب بيتها كترتيب الآية من وصف النبي بالنور، ثم ذكر الكتب المنزلة من الله.

وتذكر صفية في معرض آخر تحييه عليه الصلاة والسلام، في قولها:

عليك من الله السلام تحية وأدخلت جنات من العدن راضيا

كما حياه الله تعلى في قوله: ﴿ إِنَّ اللَّـهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.[2]

**4-الصورة في المرثية النبوية:**

دأب الصحابة في المراثي النبوية على رسم صور كبيرة بعينها، ذات خطوط بارزة ظاهرة، ظللت لوحة المراثي من ورائها بظلال من عواطف شتى كانت تعتلج في صدور أولئك الملأ من الناس بعد وفاة النبي صلى لله عليه وسلم.

وهناك من الشعراء من صور ما اعتراه من الهم والبؤس بصور مختلفة منها عمته صفية التي أحست كأن المكاوي أوقدت في فؤادها يوم مات محمد صلى الله عليه وسلم، قولها:[3]

كأن على قلبي بذكر محمد وما خفت من بعد النبي المكاويا

كما تصور ما أصابها من السهر والشيب الذي غزى رأسها بفقده عليه الصلاة والسلام، قولها:[4]

فشيبتي وما شابت لدائـــي فأمسى الرأس مني كالعيسيب.*

---

[1] – سورة المائدة، الآية 15.

[2] – سورة الأحزاب، الآية 56.

[3] – محمد شمس عقاب، المراثي النبوية، ص: 433.

[4] – محمد شمس عقاب، المرجع السابق، ص: 434.

فسمعي –لعمرك– من بعده ثقيل، وفي بعض نطقي لثــع.**

كما تصور عمته صفية حال الناس بعد الرسول صلى الله عليه وسلم بالبيت الذي انقض وانهدم قولها:[1]

فقد هدنا فقد الرسول فأعولي بحزن طويل آخر الدهر دائم

لقد استوحى شعراء المراثي صورهم من كل ما يخلتج في نفسوهم من أحاسيس الحسرة والأسى والتحسر والفجيعة لفقد الرسول عليه الصلاة والسلام، فجات أشعارهم مترجمة للحالة النفسية التي مروا بها وعاشوها بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم.

**5-الموسيقى والبحور الشعرية في المرثية النبوية:**

تعتبر الموسيقى الشعرية كالصورة في الأهمية، فهو «ظاهرة طبيعية لتصور العاطفة»[2]، والوزن هو: «أعظم أركان حد الشعر وأولاها به خصوصية»[3]، وإن أثر القافية «لا يقف عند حد النظام الموسيقي الصوفي، وإنما نجده وثيق الصلة بالنظم الصرفية والنحوية والأسلوبية، وحتى بحجم الشعر وكلماته».[4]

وليست الموسيقى وزنا وقافية فقط، ولكنها إيقاع وجرس ألفاظ أيضا، والشعر استعانته بهذه الموسيقى الكلامية إنما يستعين بأقوى الطرق الإيحائية، لأن الموسيقى طريق السمو بالأرواح، والتعبير عما يعجز التعبير عنه، وليس الوزن بالوعاء الذي يسكب فيه ماء الشعر

---

* – العيسيب: هو منب الشعر منه، وعسب الذنب منبته من الجلد والعظم، والعسب جريد النخل، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، طبعة جديدة ومحققة، دار صادر، بيروت–لبنان، ط: 4، 2005، مج: 10، مادة (عسب).

** – لثع: اللعثة هي ضعف في الكلام، حيث يخطئ الشخص في التعبير عن حروف الصفير وتسبب عدم وضوح الكلام، ينظر: موسوعة ويكيبيديا.

[1] – المرجع السابق، ص: 436.

[2] – أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط: 10، 1994م، ص: 229.

[3] – ابن رشيق، العمدة، 134/1.

[4] – صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة–مصر، ط: 02، (د.ت)، ص ص: 81–82.

وكفى، بل هو عنصر فاعل «من عناصر هذا الماء، والشعر بكل يسر هو هذه الكأس كما تراها مترعة بمائها».[1]

وقد نظم الشعراء المراثي النبوية بالأوزان الطويلة التفاعيل كالكامل والخفيف والرمل والوافر والطويل والمتقارب والسريع والبسيط والرجز ومجزوء الخفيف.[2]

والبحور الطويلة في المرثية دليل على حرص الصحابة تحميل الأوزان من اشعر أقصى ما تطيق، على أن البحور جميعا قادرة على احتواء تجربة الشاعر إذا أحسن التأتي إليها.

وهذه السبيل –البحور الطويلة– ترجع إلى قدرة الشاعر وتمكنه من القول، وراجع إلى خفقات قبله، وتأجج عاطفته التي تلمي عليه من الأوزان ما يكون صادقا في التعبير عنها.

ولعناية العرب بالبيت الأول من الشعر زادوا فيه صوتا موسيقيا خاصا به هو التصريح، ولما كان في التصريح دلالة على قصد تجويد الشعر لم يأبه الصحابة في كل المراثي له، للنازلة الشديدة التي نزلت بهم، فأتى قليلا في مراثيهم.

والذي صرّعوا فهم إما شعراء من أهل صنعة الشعر يخبرون مآتية ومخارجه، وهؤلاء كعمرو بن سالم، وعبد الله بن أنيس، وكعب بن مالك، وأبي سفيان بن الحارث، وعمرو بن العاص، وصفية بنت عبد المطلب.[3]

**رابعا: نموذج من رثاء الصحابي الشاعر حسان بن ثابت للرسول ﷺ**

استهل الشاعر حسان بن ثابت قصيدته المرثية بمقدمة طللية –على عادة العرب– في ذكر الرسول والديار والتشوق إلى معاهد الدعوة الإسلامية، إلا أنه يتنكب عن ذكر ذات الأصابع والجواء وديار بني الحساس، إلا "التشبيب بالراضي الحجازية والحضر اليثربية، أو

[1] – محمد شمس عقاب، المراثي النبوية، ص: 465.

[2] – المرجع نفسه، ص: 466.

[3] – محمد شمس عقاب، المراثي النبوية، ص: 468.

في الشوق إلى حيرة هاتيك البلاد، أو في بث الأشجان، والتوجع من ألم البعاد[1]، وفي ذلك يقول:[2]

بطيبة رسم للـــــرسول ومعهـــــد منير وقد تعفو الــرسوم وتهمـــد
ولا تتمحي الآيات من دار حرمـــة بها منبر الهادي الذي كان يصعد
وواضـــح آثـــار وباقـــي معالـــم وربع له فيه مصـــلى ومسجـــد
بها حجرات كان ينـــزل وسطـــها من الله نور يستضـــاء ويـــوقد
معارف* لم تطمس على العهد أيها أتاها البلى فالآي منـــــها تجـدد

يذكر الشاعر أماكن جديدة تبعق برائحة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وعن (طيبة، منبر، الهادي المسجد...)، وإذا كان الطلل في القصيدة الجاهلية يدرس ويمحي بتأثير عوامل الدهر، نلاحظ أن أطلال الشاعر في أبعادها الجديدة "لم تطمس" (ولا تتمحي الآيات من دار حرمة، بل لها من القوة والسر الإلهي ما تستطيع به الحياة والتجدد.

كما أن المنازل والديار التي مر منها الرسول صلى الله عليه وسلم تشرق بنور يعم أرجاءها ولا يفارقها مع مرور الزمن، كيف لا وهي متلألئة بأنوار المصطفى عليه الصلاة والسلام.

وبهذه المقابلة التي عقدها الشاعر بين الأطلال القديمة والأطلال في صنيعتها الجديدة تأخذ بعدا جماليا متناسقا، حيث استحضرها الشاعر منذ أول بيت، وهو يصف الأولى بأنها: «تعفو وتهمد» بينما الثانية فهي: «منيرة»، لأنها (معارف لم تطمس على العهد آيها) لا تتمحي.

وإذا كان الشاعر في نماذج الفحول الجاهلية يذرف الدموع على ديار المحبوبة، وهو يتذكر أيام الوصال ومشبها بين الأطلال، فإن المحبوب في هذه القصيدة هو الرسول صلى

[1] – عبد الفتاح شهيد، الاشتغال الجمالي للمعنى الأخلاقي، دراسته في شعرية المدائح النبوية، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، عمان–الأردن، ط: 01، 2015م–1436هـ، ص: 88.

[2] – ديوان حسان بن ثابت، 455/1.

* – وفي رواية جاءت لفظة "معالمَ"

الله عليه وسلم، الممدوح الذي اخترق البناء الفني والجمالي للنص، وسما به أسلوب شوق وحنين الممدوح وقيمته الكبيرة.

فبعد أن يذكر الشاعر الأماكن التي حل بها يواصل البكاء على فراقه (افتقاده)[1]، إذ يقول حسان في ذلك وكله شوق وحنين لزيارة قبل الرسول صلى الله عليه وسلم:[2]

أطالت وقوفا تذرف العين جهدها على طلل القبر الذي فيه أحمد

فبوركت يا قبر الرسول وبوركت بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد

تهيل عليه الترب أيد وأعين عليه، وقد غارت بذلك أسعد

ونجده في موضع آخر يوظف القيم المتوارثة في القصيدة العربية والتي كرسها الدين الإسلامي، في تسلسل جميل يدل على إدراك عميق لبنيات المدح النموذجية وتوجهات الدين الجديد، إذ يقول:[3]

لقد غيبوا حلما وعلما ورحمة عشية علوه الثرى لا يوسد

إمام لهم بهديهم الحق جاهدا معلم صدق إن يطيعوه يسعدوا

أعف وأوفى ذمة بعد ذمة وأقرب منه نائلا لا ينكد

وأبذل منه للطريق وتالد إذا ضن معطاء بما كان يتلد

وأكرم حيا في البيوت، إذا انتمى وأكرم جدا أبطحيا يسود

كما يسأل حسان الله تعالى ويدعوه أن يفنى بجور الممدوح صلى الله عليه وسلم في الجنان قائلا:[4]

وما فقد الماضون مثل محمد ولا مثله وحتى القيامة يفقد

وليس هواي نازعا عن ثنائه لعلي به في جنة الخلد أخلد

مع المصطفى أرجو بذاك جواره وفي نيل ذاك اليوم أسعى وأجهد

[1] – عبد الفتاح شهيد، الاشتغال الجمالي، ص: 90.

[2] – الديوان، 455/1.

[3] – الديوان، 455/1.

[4] – الديوان، 457/1.

فقد جمعت هذه القصيدة قوة وإجرائية الطلل الجاهلي، إلى تجدد وصفاء الأماكن الإسلامية، ووصف ألم الفراق إلى شدة الولع بالمحبوب الذي لم يكن غير الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم أغدق عليه في المقطع المدحي صفات الكرم والشجاعة والعدل والعفة إلى نور النبوة، وهداية الإسلام، وصدق الرسالة، فمنح الشاعر للقصيدة العربية حياة متجددة ونفسا آخر يتفق والتغييرات الجوهرية التي شهدتها البيئة العربية قبل الإسلام، لأن نجاح هذا النموذج الجديد كان رهينا بالتمسك بالأصول ثم تطويرها فيما بعد، والتجديد من داخلها بما يوافق الأخلاق الجديدة فأضاف إلى قوة البناء الفني للقصيدة الجاهلية صدق الشعور الإسلامي وسمو قيمته.

وهذا البناء الفني بمقطوعات حسان بن ثابت تطرح ما علق من الصفات الجاهلية، وتحتفظ بما لا يتعارض أو يتناقض مع القيم والتوجهات الأخلاقية الإسلامية، المرتبطة بقيمة وأخلاق وسمو الرسول صلى الله عليه وسلم سواء كان رثاء–والرثاء في عرف الشعراء المادحين هو بمثابة مدح له صلى الله عليه وسلم– وتمثل لهذا التوجه بقصيدة لحسان مطلعها:[1]

ما بال عيني لا تنام كأنـــــما كحلت مآقبها بكحل الأرمـــــد

جزعا على المهدي أصبح ثاويا ياخير من وطئ الحصى لا تبعد

فلخصوصية الحدث–يقول عبد الفتاح شهيد– يطرق الشاعر الغرض رأسا، ولا يضع بين يديه غزلا ولا نسيبا، بل يفتتح قصيدته بالبكاء وإظهار التفجع، ثم يعرض لظروف ولادته عليه الصلاة والسلام والنور الذي أضاء العالم كله بهذه الولادة[2]، إذ يقول:[3]

يا بكر آمنة المبارك ذكـــره ولدتك محصنة بسعد الأسعد

نورا أضاء على البرية كلها من يهد للنور المبارك يهتـد

[1] – الديوان، 269/1.

[2] – عبد الفتاح شهيد، الاشتغال الجمالي، ص: 88.

[3] – الديوان، 269/1.

ويختتم القصيدة بالصلاة والسلام على الرسول صلى الله عليه وسلم، ويذكر دعاء بأن يجمعه الله تعالى معه في جنة الخلد، مع لومه لليهود والنصارى لما فرحوا بوفاته صلى الله عليه وسلم وبمواراته الثرى، إذ يقول:[1]

يا رب فاجمعنا معا ونبيـــــنا في جنة تبنى عيون الحســـــد
في جنة الفردوس واكتبها لـنا يا ذا الجلال وذا العلا والسؤدد
يا ويح أنصار النبي ورهطــه بعد المغيب في سواء الملحـــد
صلى الإله ومن يحق بعرشه والطيبون على المبارك أحمـــد
فرحت نصارى يثرب ويهودها لما توارى في الضريح المجلــد

وبالرغم من أن شعر حسان بن ثابت قاله في معرض رثائه لفقد الرسول صلى الله عليه وسلم، ففي ظاهره رثاء لكنه يدخل ضمن غرض المديح النبوي، فالرثاء للرسول صلى الله عليه وسلم يدخل في باب المدائح النبوية.

[1] – الديوان، 270/1.

# المحاضرة السادسة: شعر النقائض

## أولا: مفهوم النقائض

### 1-لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة نقض ما يلي:

**نقض: النّقض:** إفساد ما أبرمت من عقد أو بناء، وفي الصحاح النقض نقض البناء والحبل والعهد، غيره النقض ضد الإبرام، نقضه ينقضه نقضا وانتقض، والنقض اسم البناء المنقوض إذ هَدِمَ.

وفي حديث صوم التطوع: فناقضني وناقضته، هي مفاعلة من نق البناء وهي هدمه، أي ينقض قولي وأنقض قوله، وأراد به المراجعة والمرادة وناقضة في الشيء مناقضة ونقاضا، خالفه، قال:

وكان أبو العيوف أخا وجارا وذا رحم فقلت له نقاضا.

أي ناقضته في قوله وهجوه أيّاي.

**والمناقضة** في القول أن يتكلم بما يتناقض معنها والنقيضة في الشعر ما ينقض به وقال الشاعر: إني أي الدهر ذا نقض ومرار، أي ما أمر عاد عليه فنقضه، وكذلك المناقضة في الشعر، ينقض الشاعر الآخر ما قله الأول، النقيضة الاسم تجمع على النقائض ولذلك قالوا: نقائض جرير والفرزدق:[1]

ما يمكن ملاحظته من خلال تتبع الجذر اللغوي لمادة نقض حسب ما جاء في لسان العرب أنها تمثل المعنى المادي الذي نعنى به نقض البناء أي هدمه وتحطيمه، والنقض أي أثار وحطام وبقايا البناء المنقوض، ثم المعنى المعنوي في نقض العهود والمواثيق، وفي نقض القول أي مخالفته ونفيه والإتيان بما يعاكس معناه، من هنا أصبح الشعر ميدانا للنقض فاصطلح على تسميته بشعر النقائض.

[1] – ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت–لبنان، ط:1، 1997م، مج:6، ص: 245.

**2-اصطلاحا:**

مصطلح النقائض من المصطلحات التي ذاع صيتها في الدرس الأدبي العربي وبلغت شهرتها شهرة المعلقات التي قيلت في العصر الجاهلي، وهي جنس أدبي نعني به أن ينظم شاعر ما قصيدة في هجاء خصمه، فيعمد الآخر إلى الرّد عليه يشعر مماثل ملتزما نفس البحر والقافية والروي الذي اختاره الشاعر الأول، وهذا يعني الوحدة في الموضوع سواء أكان فخرا أو هجاء، أي أن الشاعر الثاني يضع نصب عينيه أن يفسد على الشاعر الأول معانيه ويهدمها وينقضها فإن كانت هجاء ردها عليه وزاد مما بعرف أو يخترع، وإن كانت فخرا كذّبه وجعله لصالحه.

إضافة إلى وحدة الموضوع وتقابل المعاني لا بد من وحدة الشكل الذي يجمع بين النقيضتين، كذلك لا بد من وحدة النغمة الموسيقية المتكررة في آخر القصيدتين وهي الروي وكأن الأمر يشبه نزال بطلين في الميدان بنفس الأسلحة إذا هاجم الأول تصدى له الثاني في الدفاع والعكس، وما يزيد في لذة وإثارة هذه المبارزة كونها مبارزة قولية، ومعركة كلامية وقديما قيل: جرح الكلام أبلغ من جرح الحسام، ولهذا نجد بعض الباحثين مثل: "أحمد سيد محمد" يتجه إلى تسمية هذا النوع من الشعر بـ: قصيدة المباريات.*

و«النقيضة قصيدة يرد بها شاعر على قصيدة لشاعر خصم فينقض معانيها عليه ويقلب فخر خصمه إلى هجاء، ثم ينسب الفخر الحق على زعمه إلى نفسه هو، وتكون النقيضة عادة من بحر قصيدة الخصم وقافيتها ورويها تبعا للإيقاع الموسيقي للقصيدتين والذي يدفع الشاعر الثاني إلى متابعة الشاعر الأول في هذا إلى إظهار تفوقه عليه بما في ذلك القصيدة نفسها».[1]

* - ينظر: أحمد سيد محمد، نقائض ابن المعتز وتميم ابن المعز، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط: 2، ص1980م.

[1] - أبو عبيدة محمد بن المثنى، ديوان شرخ نقائض جرير والفرزدق، شر، تع: محمد التونجي، دار الجيل، بيروت-لبنان، ط: 2، 2002، ج1، ص ص: 12-13.

**ثانيا: المسار التاريخي لشعر النقائض**

النقائض من الفنون الشعرية القديمة، التي تعود جذورها إلى العصر الجاهلي وإن لم تسم به مصطلحا، فكانت تسمى أحيانا بـ "المنافرة"* وأخرى "بالمفاخرة"** وما إلى ذلك من أشكال النفار، فقد كان الشعراء يتقاذفون بالشعر كما يتقاذفون بالسهام، وكان لكل قبيلة شاعرها الناطق باسمها يتولى مهمة الدفاع عن قبيلته وأفرادها والتقليل من شأن القبائل المعادية، من هنا بدأت تتكون نواة هذا الفن من خلال غرضي الفخر والهجاء، وهذا ما أكده الدكتور أحمد الشايب في تأريخه لفن النقائض: «فن جاهلي قديم، نشأ مع النهضة الشعرية طفلا ناقص الأركان ثم استكمل أركانه وعناصره معتمدا على فن الفخر والهجاء، بل إن هذا العنصر عرف فن النقائض في صورته الناضجة...».[1]

وغير بعيد عن هذا الرأي نجد الدكتور أحمد سيد محمد يؤكد لنا بدوره على أن نواة هذا الفن قد وجدت منذ العصر الجاهلي «ربما تجمعت في بعض قصائد الشعر الجاهلي عناصر من خصائص هذا الفن وربما اكتملت صورتها في قصائد أخرى، إذا أحس الشاعر بفطرته أن استخدام السلام الذي هوجم به في الرد على خصمه أبلغ تأثيرا فراح يفخر على أعدائه ويهجو خصومه مقلدا البناء النفي للقصيدة التي أنشأها غريمه، وبذلك تكونت نواة هذا الفن في العصر الجاهلي».[2]

كما يذهب الدكتور شوقي ضيف المذهب نفسه محاولا التأكيد على أن الهجاء الجاهلي قد مثل نواة هذا الفن في قوله: «والهجاء قديم في الشعر العربي منذ الجاهلية وقد

* – المنافرة: هي مفاخرة فيها تحكيم، قال أبو عبيدة: المنافرة أن يفتخر الرجلان كلاهما على صاحبه يم يحكمان رجلا بينهما.

** – المفاخرة: غرض هام من أغراض الشعر والخطابة في الجاهلية والإسلام، فيها يعدد الشاعر مآثره الحميدة أو مآثر قبيلته (ينظر: أحمد سيد محمد، نقائض ابن المعتز وتميم ابن المعز، ص: 23.

[1] – أحمد الشايب، تاريخ النقائض في الشعر العربي، مكتبة النهضة المصرية، د.ط، 1946، ص: 46.

[2] – أحمد سيد محمد، نقائض ابن المعتز وتميم ابن المعز، ص: 31.

أوجدته المنافسات القبلية على مياه الغبرات والمراعي، كما أوجدته الحروب المستمرة، بين القبائل وبطونها وغصونها، فكانوا يقتتلون، وكانوا يتهاجون هجاء مرا».[1]

وبامرئ القيس وعنترة وزهير...، «فالنقائض التي اشتهرت في تاريخ الشعر الأموي ليست إلا مناظرات بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة... وأنها فن أموي غذته وطورته هذه البيئة الجدلية، بيئة العراق وما انبث فيها من طرق حوار واستدلال في كل شيء، وهو حوار واستدلال لم يلبث أن اتصل به الفرزدق وجرير وتناول كل منهما قبسا منه ألفا على ضوئه هذه النقائض وسرعان ما أقبل الأخطل يشاركهما في هذا الحوار أو قل هذه المناظرات وسيبعث فيها جانبا جديدا من المفاضلة بين قيس وتغلب».[2]

فالدكتور شوقي ضيف يقصد من خلال هذا الكلام؛ أن البيئة الأموية وما حوته من مستجدات قد صقلت هذا اللون من الشعر وغذته حتى أصبح فنا أمويا خالصا.

**ثالثا: أسباب نشأة وازدهار شعر النقائض في العصر الأموي**

يرجع سبب انتعاش هذا الفن وازدهاره في الحقبة الأموية بالذات إلى عوامل كثيرة ومتعددة يمكننا تصنيفها إلى قسمين: أسباب خاصة تتعلق بالخصومة التي نشبت بين الشعراء، وأخرى عامة تتعلق بالظروف السياسية والاجتماعية والعقلية في عصر بني أمية.

**1-الأسباب الخاصة:**

تتمثل الأسباب الخاصة التي أشعلت فتيل هذه المعركة الشعرية والتي تذكرها كتب التاريخ الأدبي في احتدام الهجاء بين الشاعر جرير ومجموعة من الشعراء، ويحكي جرير للحجاج قصة النقائض، يبرر فيها دره على الشعراء الذين بدأوا بالهجاء، ويعدد أسماء معظمهم وما قالوه من قصائد ورده عليهم، فبدأت الخصومة بين جرير وشاعر يدعى غسان السليطي[3]، وكان آنذاك راعيا للإبل فقال قصيدة يهجو بها جريرا مطلعها:[1]

[1] – شوقي ضيف، التطور والتجديد، ص: 162.

[2] – شوقي ضيف، التطور والتجديد، ص: 81.

[3] – المرجع نفسه، ص ص: 176-177.

لمرو لئن كانت بجيلة زانـــــها جرير لقد أخزى كليبا جريـــرها
رميت نضالا عن كليب فقصرت مراميك حتى عاد صفرا جفيرها

فأجابه جرير بنقيضة يقول فيها:[2]

ألا ليت شعري عن سليط ألم تجــد سليط سوى غسان جرا يجيرها
لقد ضمنوا الأحساب صاحب سوءة يناجي بها نفسا لئيما ضميرها

«فكانت هذه أول معارك الهجاء التي خاضها جرير وعلى إثرها اشتهر اسمه وذاع».[3]

ثم ساقت الظروف شاعرا آخر لساحة المعركة يقال له البعيث* المجاشعي الذي أخذ يتعرض بشعره لبني يربوع رهط جرير لأن جماعة منهم سرقوا إبله ثم ردوها معتذرين فنظم هذا الشاعر قصائد يهجو بها قبيلة كليب وأخرى يهجو بها شاعرهم جرير ومن ذلك قوله:[4]

أليست كليب ألأم الناس كلهم؟ وأرنت إذا عدت كليب لئيما
أترجو كليب أن يجيء حديثها بخير وقد أعيا كليب قديمها

فيرد عليه جرير:[5]

أنا الذائد الحامي إذا ما تخمطت عرانين يربوع وصالت قرومها
دعوا الناس إني سوف تنهى مخالتي شياطين يرمى بالنحاس رجيمها

ولم يستطع البعيث مقاومة هجاء جرير وصده، بينما استمر هذا الأخير في تحرشه بالبعيث وبشعراء مجاشع الذين ناصروا البعيث فأسقطهم شاعرا شاعرا، وهذا ما يرويه

---

[1] – محمد مصطفى أبو شارب، أدب العصر الأموي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية–مصر، ط:1، 2007، ص: 104.

[2] – مهدي محمد ناصر الدين، شرح ديوان جرير، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، د.ط، 1995، ص: 217.

[3] – مصطفى أو شوارب، أدب العصر الأموي، ص: 104.

* – كان البعيث شاعرا فاخرا الكلام حر اللفظ، وقد غلبه جرير وأخمله، وكان قد قاوم في قصائد ثم ضج إلى الفرزدق واستغاثة، ينظر: محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج2، ص: 535.

[4] – ببن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج2، ص: 386.

[5] – مهدي محمد ناصر، ديوان جرير، ص: 414.

«الأصمعي عن جرير: كان ينهشه ثلاثة وأربعون شاعرا فينبذهم وراء ظهره، ويرمي بهم واحدا واحدا، وثبت له الفرزدق والأخطل».[1]

حينئذ لجأ البعيث إلى الفرزدق وأثار غيرته على قومه وأعراض قبيلته التي فضحها جرير، وكان الفرزدق يومئذ بالبصرة وقد قيد نفسه وآلى لا يفك قيده حتى يقرأ القرآن فقال البعيث:

لعمري لئن ألهى الفرزدق قيده ودرج نوار ذو الدهان وذو العسل

ليبتعثن مني عداة مجاشـــع بديهة لأواني الجراء ولا غـــول

فقال جرير:[2]

جزعت إلى درجي نوار وغسلها فأصبحت عبدا ما تمر وما تحلى

من هنا بدأت قصة الهجاء بين جرير والفرزدق حسب ما ترويه كتب التاريخ الأدبي وقد ظلت معركة الهجاء محصورة بينهما، إلى أن انضم شاعر ثالث لساحة المعركة مدفوعا من بشر بن مروان الذي حرّض الأخطل على أن يحكم بين الفرزدق وجرير أن يفضل الفرزدق على هذا الأخير، فاستجاب الأخطل لطلبه مما أوغل صدر جرير عليه وثارت بينهما معارك هجاء طاحنة وهذا ما يرويه ابن سلام فيقول: «قدم الأخطل الكوفة على بشر بن مروان فبعث إليه محمد بن غميرة بن عطارد بن حاجب بن زرارة بدارهم وجملان وكسوة وخمر وبلغني أن الذي بعث بهذا شبّة ابن عقال المجاشعي وقال للأخطل: فضل شاعرنا عليه وسبّه، فقال الأخطل

أخسأ كليب إليك: إن مجاشعا وأبا الفوارس نهشلا أخوان

قوم إذا خطرت إليك قرومهم جعلوك بين كلاكل وجران».[3]

فيجيبه جرير ساخطا:[1]

---

[1] – خالد محمود عزام، جرير شاعر النقائض الأموية والنزعة الدينية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط: 1، 2007، ص: 62؛ وأخذ صاحب الكتاب من الأغاني للأصفهاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1986، ج8، ص: 229.

[2] – ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ج2، ص ص: 386-387.

[3] – المرجع نفسه، ص: 452.

يا ذا العباءة إن بشرا قد قضى أن لا تجوز شهادة النشوان

فدعوا الحكومة لستم من أهلها إن الحكومة في بني شيبان

ونجد الدكتور شوقي ضيف يرى أن المعركة بين جرير والأخطل كانت ستقع لا محالة سواء أثارها بشر بن مروان أم لم يثرها، وأن هذا القضاء ما هو إلا سبب عارض في التحام التهاجي بينهما، أما السبب الرئيسي فيرجع إلى العداء الموجود بين قبيلتي تغلب وقيس «غير أننا نزعم أن هذه النقائض إنما استطارت بين الشاعرين بحكم موقف جرير في صف قيس، وقد تكون حادثة بشر صحيحة ولكن ينبغي أن لا نجعلها كل الأسباب في اندفاع الشاعرين إلى التهاجي فوراءها سبب أعمق في موقف الشاعرين لهذا العصر من الخصومات القبلية، إذ كان الأخطل لسان قومه تغلب، بينما اتخذت قيس في المربد جريرا لسانها، فكان من الضروري أن يصطدم اللسانان المعبران عن الطرفين».[2]

**2-الأسباب العامة:**

**أ-الأسباب السياسية:**

لقد كان ضمن خطط الأمويين للسيطرة على الأوضاع هي إغراق أهل الحجاز بالأموال والجواري والعبيد، وتشجيع الغناء والمجون بغية إرضائهم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى خططوا لإثارة العصبيات القبلية وإشعال فتيلها بعد أن أخمد الإسلام نارها، فأثاروا عصبية العرب ضد العجم والموالي، وعصبية العدنانية ضد القحطانية، وعصبية بني أمية على بني هاشم، وعصبية القبائل الموالية لهم على المناوئة، وكانوا يبذلون العطاء لإثارة هذه العصبيات.[3]

وهذا ما أدى إلى شيوع الهجاء طوال هذا العصر، ومهد لنمو فن النقائض وتطوره وعمل خلفاء بني أمية على تشجيع هذا الفن بغية صرف تفكير الرعية عن السياسة وما

[1] – مهدي محمد ناصر، ديوان جرير، ص: 434.

[2] – شوقي ضيف، التطور والتجديد، ص: 169.

[3] – محمد مصطفى أبو شوارب، أدب العصر الأموي، ص: 118.

يدور في أمور الخلافة، فكانوا في كثير من المواقف يتعمدون إثارة التهاجي بين الشعراء مثلما فعل بشر بن مروان مع الأخطل وجرير-كما أشرنا سابقا- يؤكد لنا هذا الرأي الدكتور عبد المنعم خفاجي بقوله: «ولكننا تجد نوعا آخر طريفا، ابتكره معاوية وجرى الخلفاء بعده على إثره، فقد أحبوا العصبية بعد أن أخمد الإسلام نارها، وأرثوا العداوة بين الشعراء وأثاروا بينهم عاصفة من التهاجي والإقذاع، حتى يصرفوا الناس عما أحدثوه من أحداث وحتى يبعثوا روح الجاهلية الأولى التي كان لهم فيها مجد عريق».[1]

كما كان لتباين الاتجاهات السياسية بين الشعراء سببا أيضا في احتدام التهاجي بينهم، فنجد جرير التميمي يقف في صف قيس التي ناصرت ابن الزبير وسارعت بالبيعة له وعارضت الخلافة الأموية، كما نجد الأخطل يقف في صف تغلب قبيلته المناصرة لبني أمية، المعارضة لقبيلة قيس، فالقبيلتان (قيس وتغلب) كانتا تقفان على طرفي نقيض في التوجه السياسي، بينما نجد الفرزدق من قبيلة مجاشع المناصرة لبني أمية، «وتصادف أن قتل مجاشعي الزبير بن العوام حين لجأ بعد موقعة الجمل إلى مجاشع، وأيضا تصادف وأن لجأت النوار زوج الفرزدق حين غاضبته إلى ابن الزبير فأعانها عليه مما جعل الفرزدق يهجوه».[2]

**ب-الأسباب الاجتماعية:**

أما العوامل الاجتماعية فيرجعها شوقي ضيف إلى الحاجة الاجتماعية الملحّة إلى ضرب من التسلية والترفيه خاصة مجتمع البصرة وذلك نتيجة للتغير الذي طرأ على حياة العرب الاجتماعية، والتي تتلخص في الانفتاح على الأعاجم والتمدن وكثرة الأموال والغنائم.

"ودائما حينما تنشأ المدن تنشأ معها أوقات الفراغ"[3]، من هنا وجدنا أهل الحجاز يختارون الغناء كضرب من الملاهي يقطعون به أوقات فراغهم، في حين طبيعة المجتمع

[1] - عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام، دار الجيل، بيروت-لبنان، ط:1، 1990، ص: 515.

[2] - شوقي ضيف، العصر الإسلامي، ص: 242.

[3] - المرجع نفسه، ص: 241.

البدوية المحافظة في العراق وجهتهم وجهة ثانية «ولم تتجه قبائل العراق هذا الاتجاه إذ كانت شديدة الصلة بحياتها البدوية القديمة وأخذت نيران الهجاء تشتعل فيها اشتعال شديدا، حينئذ انبرى الهجاءون يملأون أوقات الناس بأهاجيهم وسرعان ما تحولوا إلى نقائض مثيرة».[1]

إذن نستنتج أن من بين أسباب ازدهار النقائض في هذا العصر الحاجة إلى التسلية والترفيه، تسلية الجماعة في البصرة التي كانت تحشد جماهيرها في سوق المربد لتسمع التهاجي وتتفرج على الشعراء وهم يتابرون، ويتبعه في هذا الرأي فوزي محمد أمين «ولا ينبغي أن يذهب بنا الظن بعيدا فنتخيل أن هذه النقائض كانت جدا خالصا وأن الخصومة بين هؤلاء الشعراء تعدت القول إلى الفعل، ولكن الأمر في جملته لا يعدو أن يكون مظهرا من مظاهر التلهية وملء الفراغ، وهي تلهية تتناسب مع طبيعة هذه القبائل التي ضمها مجتمع البصرة».[2]

غير أننا نجد من الباحثين من يرفض هذه الفكرة–ربط النقائض بالتسلية والترفيه– وعلى رأسهم خالد محمود عزام[3] ، حيث توقف عند هذه القضية مطولا وناقش بإسهاب موقف شوقي ضيف ومن تأثروا به، مبديا رفضه وعدم قبوله للفكرة ويراها انتقاصا من قيمة النقائض التي احتلت درجة عالية في الأدب وإطاحة بشعرائها الذين يعدون من العظماء، كما أبدى نفوره الشديد من تصوير النقائض على أنها مسرحية تمثل على مسرح المربد وأبطالها هم شعراء النقائض، الذين أتوا من أجل إضحاك جمهور المربد وتسليته، وحاول التدليل على صواب رأيه بمجموعة من البراهين نذكر منها:

- أن تصوير جرير والفرزدق بأنهما مهرجان لا أكثر أمر لا أساس له من الصواب، ولو كان الأمر كذلك لما سمح لهم بالدخول إلى قصر الخلافة ومسامرة الخلفاء

[1] – شوقي ضيف، العصر الإسلامي، ص: 241.

[2] – فوزي محمد أمين، في شعر صدر الإسلام والعصر الأموي، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ط:1، 1997م، ص: 145.

[3] – ينظر: رأي خالد محمود عزام، في هذه القضية في كتابه "جرير شاعر النقائض الأموية والنزعة الدينية"، ص ص: 41، 53.

ولما احتلا هذه المكانة المتقدمة لدى النقاد، وعدوا من كبار الشعراء وعلى رأس الطبقة الأولى.

- أن الجماهير لم تكن عديمة القيمة ولا حقيرة الثقافة، بل أن مرتادي هذه الأسواق كانوا على درجة عالية من الثقافة ولا سيما الشعرية منها.
- لو كان الأمر مجرد التسلية والإضحاك لما اجتهد الفرزدق وجرير كل هذا الاجتهاد في تكلف الشعر وفي المناظرة، وأن أشعار كل منهما كانت بلغة رصينة قصدا فيها إلى البلاغة قصدا، واتجها نحو البيان اتجاها، لهدف أعظم من كون النقائض مجرد حرفة تسلية.
- أن دعوى هؤلاء باطلة من جهة أخرى وهي أن شعراء النقائض لم يؤلفها لجني المال من الجماهير، ويراها فكرة سطحية لا تستحق المناقشة وأن سبيل المال هو المدح لا الهجاء، وقصيدة واحدة تقال في خليفة من الخلفاء أفضل من ألف قصيدة في النقائض –من الناحية المادية–.
- أن الدكتور شوقي ضيف قاس الأمر على ما يحدث في زمانه من زجل شعبي، حيث ينقسم الناس إلى قسمين، يشجع كل منهم شاعره الذي يقوم بهجاء صاحبه وإضحاك جمهوره على ما يصف به الشاعر الآخر وهذا المقياس لا يتناسب مع النقائض ويجده تعسفي يدل على عجز صاحبه عن الإتيان بسبب منطقي للنقائض.

ويصل هذا الباحث من خلال هذه المناقشة إلى أن النقائض هي محاولة لإظهار التفوق اللغوي والمهارة الأدبية مع ما يتطلبه هذا الفن من التزام بوحدة البحر الشعري والقافية «والأهم من ذلك أن النقائض ما هي إلا طريقة فنية لامتحان فحولة شعراء المثلث الأموي، جرير، الفرزدق، الأخطل».[1]

[1] – خالد محمود عزام، جرير شاعر النقائض الأموية والنزعة الدينية، ص: 53.

لكل باحث اجتهاداته التي يتوصل إليها، والأدب دائما خاضع لمعيار النسبية ونحن نرى أن هذه الإشكالية تحتاج إلى دراسة أعمق وأوسع، ومصطلح التسلية لا يجب أن يفهم في معناه السطحي البسيط، وإنما المقصود التسلية الفكرية والمتعة الأدبية، كما أن المقصود بالهزل وليس الجد أنها لا تتعدى المبارزة الكلامية ولو كانت جدا لشهرت معها السيوف.

**ج-الأسباب العقلية:**

ومرجعها التطور الفكري الذي حدث في عصر بني مية وسهم في ازدهار الحياة العقلية وهذا من خلال توفر ثلاثة[1]، عناصر أساسية:

- الفكر العربي الأصيل الذي تتجلى فيه الآداب الجاهلية لغة شعرا وخطابة وقصصا وأمثالا.
- الفكر الإسلامي الذي هو ثمار العقيدة الإسلامية وقد شمل القرآن الكريم والحديث والفقه والتفسير وعلم القراءات وما نشأ من العلوم الإنسانية، كاللغة والنحو والبيان وعلم الحركات والمعاجم والتي كانت في البداية أداة لفهم أغراض الدين وتعاليمه.
- الفكر الدّخيل: وهو هذه العلوم العقلية التي كانت معروفة في الأمصار المفتوحة والتي أخذت تغزو الفكر العربي سواء عن طريق المجاورة والاختلاط أو بسبب حركة الترجمة والنقل وفي مقدمتها الطب والكيمياء والفلك.

فقد ساهم هذا المناخ الفكري الخصب في ازدهار قصيدة النقائض واستفاد شعراؤها من مختلف التيارات الفكرية المتواجدة واستثمروها في أشعارهم فكانوا يبحثون في ماض القبائل العربية ومفاخرها وأيام الانتصار والهزيمة، كما كانوا يتدبرون في معاني القرآن الكريم وأساليبه واستطاعوا أن يوظفوها بطريقة وبأخرى في أشعارهم كما لا يخفى مظهر تأثرهم بجو الجدول والحوار في النحل السياسية أو بين الفرق الكلامية آنذاك ليجعلوا من النقائض مناظرة وجدال على المستوى الأدبي "وكل منهم يدرس موضوعه دراسة دقيقة ويبحث في

[1] - عمر فاروق الطباع، موقف في الأدب الأموي، ص ص: 28-29.

أدلته ليوثقها وفي أدلة خصمه لينقضها دليلا دليلا وكأننا أصبحنا بإزاء مناظرات شعرية، وهي مناظرات كانت تتخذ سوق المربد مسرحا لها.[1]

**رابعا: خصائص شعر النقائص**

لقصيدة النقائض مجموعة من الخصائص والمميزات التي أعطتها لونا خاصا، وجعلتها تختلف عن سائر الفنون الشعرية ولا سيما فن الهجاء، ويمكننا تعدادها كما يلي:

**1-طول النقيضة:**

أن أول ميزة يكن لدارس شعر النقائض أن يلحظها هي طول القصيدة، يعود سبب ذلك إلى تعدد الموضوعات التي يخوض فيها الشعراء، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لامتزاج العصبية القبلية فيها بالسياسة، ولذلك فهي تحتوي على مادة تاريخية ثرية، إذ يتسلح كل شاعر بدراسة ماضي وتاريخ قبيلة خصمه، والوقوف على أيام الهزيمة والانتصار ليستعملها كحجة يدحض بها خصمه فكانت نقائض جرير والأخطل من أهم الوثائق التاريخية لمن يريد معرفة تاريخ قيس وتغلب، وتضمنت أخبارا عن سياسة الدولة الأموية وما كان يجري بها من أحداث «ومعنى ذلك أن كلا منهما كان يحاول أن يلائم في نقيضه بين هذا التاريخ الذي يرويه عن القبائل الجاهلية وبين الظروف السياسية الحديثة».[2]

وهذا الامتزاج بين العصبية القبلية وبين السياسة جعل موضوعات قصيدة النقائض تتنوع، فهي لا تقتصر على الهجاء والفخر، بل تخوض في المديح والسياسة والغزل بعد أن يمهد الشاعر لكل ذلك بالوقوف والبكاء على الأطفال ثم وصف الرحلة والسفر وقد يزيد بعض الشعراء غرضا آخر استدعته الظروف كقصيدة جرير الرائية* التي بدأها برثاء زوجته كما نجد وصف الخمر عند الأخطل، وبهذا قد تشتمل بعض النقائض على جل فنون الشعر

---

[1] – شوقي ضيف، العصر الإسلامي، ص: 242.

[2] – شوقي ضيف، التطور والتجديد، ص: 172.

* – الرائية: قصيدة طويلة أكثر من ثمانين بيتا بدأها برثاء زوجته حيث يقول:

لولا الحياء لعادني استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار

ثم ينتقل بعد ذلك إلى وصف المطر، ثم يخوض في هجاء الفرزدق والبعيب، ينظر: مهدي محمد ناصر، ديوان جرير، ص ص: 152، 182.

العربي، فالقضية في النقائض لم تعد لمجرد هجاء بسيط عاجل وانتهى، بل أصبح هجاء بالغ التعقيد خاضع لظروف الحياة السياسية والاجتماعية والعقلية وهذا ما يوضحه لنا الدكتور شوقي ضيف بقوله: «لم يعد الهجاء بيتين أو أبيات قليلة تسب بها قبيلة أخرى، بل أصبح قصائد طويلة تعتمد في طولها على درس عميق للحياة الجاهلية وما كان بين القبائل العربية فيها من خصومات كما تعتمد على درس الحياة الإسلامية الحديثة وما طرأ عليها من ظروف سياسية وكل ذلك يتناول تناول المتناظرين في المسائل العلمية، فكل يحاول أن يقدم حججه وأدلته من التاريخ مستلهما الحياة السياسية في عصره».[1]

ولهذا جمعت النقائض إلى جانب ثرائها الأدبي ثراء تاريخيا وسياسية وعقليا مهما في تاريخنا العربي وأصبحت ديوانا علميا يرجع إليه الباحثون في اللغة والنحو والتاريخ والسياسة والأدب، كما كانت المعلقات ديوان قوم لم يكن لهم علم غيره.

**2-التأثر بمعاني وألفاظ القرآن الكريم:**

عاش شعراء النقائض في بيئة إسلامية، فكانوا من حفظة كتاب الله عز وجل باستثناء الأخطل الذي كان نصرانيا وقد ظهر تأثرهم بهذا الدين جليا فيما أبدعوه من نقائض شعرية واتخذ صورا وأشكالا متعددة، فكانوا يوظفون ألفاظ القرآن الكريم أو بعضا من معانيه أو أحكامه وشعرائه، وأحيانا بعض صوره وهذا ما يبدو في نقيضه الفرزدق التي يهجوا بها جريرا ويفخر بقومه فيقول (الكامل): [2]

إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعز وأطول

وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاء بَنَاهَا {27} رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا﴾.[3]

فيجيبه جرير محاولا قلب هذا المعنى لصالحه:[4]

[1] – شوقي ضيف، التطور والتجديد، ص ص: 172-173.

[2] – علي فاغور، ديوان الفرزدق، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، (د.ط، د.ت)، ص: 489.

[3] – سورة النازعات، الآيتين 27-28.

[4] – مهدي محمد ناصر، ديوان جرير، ص: 337.

إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتا علاك فماله من منقل

كما كان جرير في هجاءه للأخطل كثير الافتخار بالدين الإسلامي منكرا ما عاداه، وكانت هذه أهم وثيقة استغلها جرير ليحط من قيمة الأخطل وقومه على شاكلة قوله:[1] (بحر الكامل):

فعليك جزية معشر لم يشهـــــدوا الله إن محمدا لرســـــولا

تبعوا الضلالة ناكثين عن الهـدى والتغلبي عن القرآن ضلول

يقضي الكتاب على الصليب وأهله ولكل منزل آية تأويـــــل

**3-استعمل الهجاء الفاحش والمقذع:**

بالرغم من أن شعراء النقائض عاشوا في بيئة إسلامية، وتربوا تربية بدوية محافظة، فإن ذلك لم يمنعهم من أن يذهبوا في هجائهم مذهبا خطيرا، حيث هتكوا أعراض بعضهم البعض، وأباحوا الحرمات وتبادلوا السب والشتم بعبارات صريحة مباشرة، وهذا الهجاء غير محبب أخلاقيا ولا مشروع دينيا، ونجد هذا النوع من السباب يكثر خاصة في نقائض جرير والفرزدق، أما الأخطل بالرغم من نصرانيته فقد كان أكثر احتشاما منهما، وقد كد هذه الحقيقة كثير من الباحثين-خروج الهجاء في النقائض إلى الفحش والإقذاع- وعلى رأسهم إيليا الحاوي «هو شعر قوم لا زالت تأخذ نفوسهم بمعاني العار والكرامة والشهامة، بالرغم من قيامهم في أحضان الدولة الإسلامية».[2]

كما يلح الباحث خالد محمود عزام على ذلك بتأكيده أن أشعار النقائض لا تشتمل إلا على التفحش، ولا تتضمن غير البذاء في معظمها، لأنها تقوم على أحد الأمرين؛ إما ذم الخصم وتجريحه وشمته والنيل منه ومن قومه، وكل الذي ذكر مداعات الفاحش من القول والبذيء من الكلم والموجع من التشبيه والمؤلم من الوصف، وإما مدح الذات ونعتها بمال

[1] - المرجع السابق، ص: 386.

[2] - إيليا الحاوي، فن الهجاء وتطوره عند العرب، دار الثقافة، بيروت-لبنان، د.ط، د.ت، ص: 188.

ليس فيها من فضائل ووصفها بشيء من المبالغة في محامد الأمور نسب كل شرف إليها ولصق كل منقصة بالخصم.[1]

**4-التكرار:**

من بين ما يمكن لدراس شعر النقائض ملاحظته هو ميل الشعراء إلى التكرار في لمعاني والألفاظ، وهو نتيجة طبيعية لطويل النقيض، فبعد أن يستنفذ الشاعر معاني الهجاء يلجأ إلى تكرارها مرة أخرى، فنجد الأخطل يكرر أيام قومه على قيس، ويفعل ذلك الفرزدق بالأيام والرجال، فيفتخر في كل مرة بمجاشع وأيامهم، أما جرير فقد رأى النقاد إلحاحه على الفرزدق وتعيره له بمعان معينة هي: قتل الزبير/الفسق/اليقين.

وتعيره الأخطل بـ: الخمر/النصرانية/الجزية.

كما نجد الشعراء يكررون المقاطع ذاتها:

كقول الفرزدق:[2]

أحلامنا تزن الجبال رزانة وتخالنا جنا إذا ما نجهل

فيكرره جرير:[3]

أحلامنا تزن الجبال رزانة ويفوق جاهلنا فعال الجهل

**5-اعتماد السخرية:**

لجأ شعراء النقائض إلى هذا الأسلوب لأنه فيه إطاحة وتشنيعا بالخصم وجعل الناس يضحكون ويسخرون منه، وفي نقائض جرير والفرزدق أمثلة كثيرة كقول جرير ساخرا من الفرزدق[4]: (بحر الكامل)

أمسى الفرزدق للبعيث جنيبة كابن اللبون قرينه المشتال

فانفخ بكيرك يا فرزدق محليا ما زاد قومك ذاك غير خبال

---

[1] – خالد محمود عزام، جرير شاعر النقائض الأموية والنزعة الدينية، ص: 03.

[2] – علي فاغور، ديوان الفرزدق، ص: 491.

[3] – مهدي محمد ناصر، ديوان جرير، ص: 336.

[4] – المرجع نفسه، ص ص: 350-353.

ولد الفرزدق والصعاصع كلهم علج كأن وجوهن مقالـــــى

أو قول الفرزدق لجرير[1]: (المتقارب)

وكان جرير على قومه كبكر ثمود لها الأنكـــد

رغا رغوة بمناياهـــــم فصاروا رمادا مع الرمدد

وتربق باللؤم أعنقـــها بأرباق لؤمهم الأتلـــــد

**6-توليد المعاني والصور:**

تميز شعراء النقائض بخيال خصب، فكانوا يبتكرون الصور ويبالغون ويخترعون الوقائع والحوادث، فاشتغل جرير بفكرة القيم والحدادة عند الفرزدق، وولد منها الكثير من المعاني والصور، فحينما يصفه بانه قين ابن قين، فهذه فكرة استخرج منها معاني متعددة على شاكلة قوله:[2]

تصف السوف وغيركم يعصي بها يا ابن القيون وذاك فعل الصيقل

وقوله:[3]

قين ابن قين ألا يسرّ نساءنـــــا بذى نجب أنّا ادعينا لـــــــدارم

هو القين وابن القين لا قين مثله لفطح المساحي أو لجدل الأداهم

**7-استخدام أسلوب الموازنة والمقارنة:**

وهذه خاصية بارزة أيضا في شعر النقائض خاصة بين جرير والفرزدق، وذلك من أجل الاحتجاج والتحدي، «وهو أسلوب من الأساليب التي يلجأ إليها الشعراء أو الكتاب لتوضيح الفكرة وتجليتها وإظهارها حتى تزداد قوة وتثبت في ذهن المستمع أو القارئ، كما يلجأ الشعراء إلى هذا الأسلوب للاحتجاج والدقة في التحدي».[4]

[1] – علي فاغور، ديوان الفرزدق، ص: 158.

[2] – مهدي محمد ناصر، ديوان جرير، ص: 337.

[3] – المرجع نفسه، ص: 422.

[4] – مصطفى أبو شوارب، أدب العصر الأموي، دراسات ونصوص، ص: 141.

يقول الفرزدق:[1]

أتعدل أحسابا لئاما أدقه بأحسابنا؟ إني إلى الله راجع

موازنا قول جرير:[2]

أتعدل أحساب كراما حماتها بأحسابكم؟ إني إلى الله راجع

**خامسا: طبيعة التكوين الفني لقصيدة النقائض**

تتفق قصيدة النقائض مع القصيدة العربية القديمة في كونها تشتمل على موضوعات متعددة، فهي دائما تفتتح بمقدمة طللية يمارس فيها الشعراء طقوسهم التقليدية في البكاء على الديار الخالية والآثار البالية، ثم يمضي إلى وصف الراحلة في الصحراء، أو وصف بعض الظواهر الطبيعية كالمطر والسحاب، ثم ينتقل إلى الفخر والهجاء، وقد يضيف الشاعر مدح الخليفة أو أحد رجال الدولة مثل الحجاج وغيره، وقد نجد وصف الخمر كما هو الحال عند الأخطل، أو الرثاء كما هو الحال عند جرير، وبذلك تكون قصيدة النقائض قد احتوت جل أغراض الشعر العربي المعروفة قديما.

غير أن الغرضين الأساسيين من بين هذه الأغراض التي كانت عليها النقيضة والذين استنفذا وقت الشعراء وعنوا بهما عناية فائقة، وكانت معاني وأفكار الغرضين هي التي يخصها الشاعر بالدراسة فيضعها نصب عينه ليتولى الرد عليها وينقضها ويهدمها هما: غرض الفخر والهجاء، واعتمدت النقائض في هذين الغرضين على عناصر أساسية منها:

**النسب:** الذي أصبح في بعض الظروف وعند بعض الناس من المغامز التي يهاجم بها الشعراء خصومهم، حيث يتركون أصولهم إلى غيرها أو يدعون نسبا ليس لهم، وقد كانت المناقضة تتخذ من النسب مادة للتحقير والتشكيك أو نفي الشاعر عن قومه ووضعه في رتبة وضيعة، وكذلك شكل الفخر بالنسب والأنساب ومكانة الشاعر عند قومه ساسا من الأسس التي تدور حوله النقائض سلبا أو إيجابا فاعتمد الشعراء على مادة النسب وجعلوها إحدى

[1] – علي فاغور، ديوان الفرزدق، ص: 362.

[2] – مهدي محمد ناصر، ديوان جرير، ص: 279.

ركائز هجائهم على أعدائهم وفخرهم بأنفسهم، ولعل السبب في الاهتمام بالنسب والأنساب هو حضور وعودة العصبية القبلية بصورة مكثفة في هذا العصر، بعد أن كان الإسلام قد أخمدها وأحل محلها العصبية الدينية.

ومنها أيضا **أيام العرب** فكان الشعراء يتخذون منها موضوعا للهجاء والفخر ويتحاورون فيه فكانوا يبحثون في السجلات التاريخية للقبائل ويقفون على أيام الهزيمة متخذين منها وثيقة أساسية للرفع من شان أنفسهم وقبائلهم والحط من خصومهم وقبائلهم.

كذلك شكلت **العادات والتقاليد** أساسا من الأسس التي قام عليها فن النقائض إذ صور لنا الحياة الاجتماعية أحسن تصوير ووصف لنا ما جرت عليه أوضاع الناس ومنها العادات المتبعة، والأعراف والتقاليد التي يحافظ عليها العربي أشد المحافظة، فكانت السيادة والنجدة والكرم، وكان الحلم والوفاء والحزم من الفضائل التي يتجاذبها المتناقضون فيدعي الشاعر لنفسه ولقومه الفضل في ذلك، وكان من نتائج ذلك أن أصبحت النقائض سجلا تاريخيا أحصيت فيه أيام العرب ومآثرها وعاداتها وتقاليدها في الجاهلية والإسلام.

وهي من الناحية الشكلية تتألف من قصيدتين، ومعنى ذلك أن الوحدة في ديوان النقائض سواء بين الأخطل وجرير، أو بين الفرزدق وجرير قصيدتان «وفي العادة ينظم أحد الشاعرين المتناقضين قصيدة من وزن خاص، وقافية خاصة، ثم يأتي زميله فينقض القصيدة بقصيدة أخرى من نفس الوزن والقافية وكأنه يريد أن يثبت تفوقه عليه من حيث الفخر والهجاء، ونراه في أثناء صنيعه لنقيضه يتعرض لمعاني زميله فيردها أو يرد عليها معنى معنى يحاول أن ينقضها وأن يجعلها أنكاثا من بعد قوة».[1]

كما تدل الروايات على أنها من الناحية الشكلية كانت مكتوبة، وهذا ما يبرر طريقة نظمها حيث نجد الشاعر يرد على معاني النقيضة الأولى معنى معنى «ولا يأتي ذلك من الوجهة العلمية إلا إذا وضعت النقيضة الأولى تحت بصره، ونظر في أفكارها فكرة فكرة،

[1] – شوقي ضيف، التطور والتجديد، ص: 169.

ولعل هذا يحل أشكال اتفاق الأسلوب أحيانا، فبعض الأبيات يكاد يكرر مع اختلاف بسيط».[1]

ومعنى ذلك أن لكل شاعر كاتب يملي عليه القصيدة، ثم تحمل مكتوبة إلى الخصم ليقرأها وينظر فيها، فيتمكن من نقضها بهذه الصورة الدقيقة-كما أسفلنا- وقد ورد في الطبقات والشعر والشعراء ما يثبت ذلك، فيروي ابن سلام أن جريرا لما فرغ من هذه النقيضة وأصبح بالمربد قال: «يا بني تميم قيّدوا، قيّدوا أي اكتبوا...».[2]

كما ورد في الشعر والشعراء أن «أبا عمرو ابن العلاء، كان في حلقة جرير وهو يملي نقيضته في الأخطل...ولا ريب في أن الفرزدق كان يتخذ نفس الطريقة».[3]

[1] – المرجع نفسه، ص: 197.

[2] – ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج2، ص: 104.

[3] – ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص: 276.

# المحاضرة السابعة: الشعر العذري والشعر العُمري

**تمهيد:**

يعد الغزل من أغراض العشر العربي القديم الأكثر اتصالا بوجدان الشاعر وبمشاعره وبتصرفاته الظاهرة والباطنة نحو حبية والصادرة منه تصريحا أو تلميحا، وذلك منذ العصر الجاهلي، وقد برز هذا اللون من العشر وانتشر في العصر الأموي وانقسم إلى نوعين: الغزل العذري، نسبة إلى قبيلة "عذرة" والغزل العمري بالنسبة إلى عمر بن أبي ربيعة.

**أولا: مفهوم الغزل**

وردت لفظة الغزل في معجم لسان العرب: «حديث الفتيان والفتيات، ومغازلتهن، أي محادثتهن ومراودتهن، وقد غازلها، والتغزّل: التكلف لذلك...غازلتها وغازلتن، وتغزّل، أي تكلف الغزل...».[1]

وجاء في كتاب العمدة لابن رشيق: «...والنسيب والتغزل والتشبيب كلها بمعنى واحد، وأما الغزل فهو إلْفُ النساء والتخلق بما يوافقهن، وليس مما ذكرته في شيء، فمن جعله بمعنى التغزل فقد أخطأ، وقد نبه على ذلك قدامة وأضحه في كتابه نقد الشعر».[2]

ويعد الغزل من الأغراض الشعرية التي ظهرت منذ العصر الجاهلي، والذي يصور مشاعر وأشواق المحبين، وقد تطور الغزل في «الشعر العربي تطورا كبيرا منذ الجاهلية حتى القرن الثاني، إذ طرأت عليه عوامل مختلفة خاصة في الحجاز حولته عن صورته الجاهلية القديمة إلى صورة جديدة تتضح فيها التأثيرات الحضارية المختلفة».[3]

**ثانيا: أنواع الغزل**

اشتهر شعر الغزل بشكل كبير بداية من الشعر الجاهلي، واستمر طوال العصور اللاحقة له بما فيهم الغزل في العصر الأندلسي، وهو لم يكن على نوع واحد بل كان له أكثر

---

[1] – ابن منظور، لسان العرب، طبعة جديدة محققة، دار صادر، بيروت–لبنان، ط:04، 2005، مج:، مادة (غَزَلَ).

[2] – ابن رشيق، العمدة، 137/2.

[3] – محمد مصطفى هدارة، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، دار المعارف، القاهرة–مصر، ط 1963م، ص: 500.

من نوع، كما كانت تنقسم حسب طبيعة الشاعر وقصائده، وكذلك كانت جرأته أحد العوامل التي تحكمت في الأمور، وأنواعه هي:

**1-الغزل العذري:**

ينسب الغزل العذري إلى بني عذرة، وهو غزل عفيف يحقل بتصوير مشاعر الأشواق وألم الفراق، والرغبة في وصال المحبوبة، ولا يهتم بوصف جمال المرأة الحسن، فهو غزل: «نقي طاهر ممهن في النقاء والطهارة، وقد نسب إلى بني عذرة، إحدى قبائل قضاعة التي كانت تنزل في وادي القرى شمالي الحجاز؛ لأن شعراءها أكثروا من التّغني به ونظمه».[1]

وهذا النوع من الغزل يقوم فيه الشاعر بوصف الخصائص الجمالية المعنوية فقط لحبيبته، وببعد تماما عن وصف جمال جسدها، حيث يذكر فيه أحاسيسه ناحيتها، وعن شوقه لها بعد الفراق، وصعوبة أن يجدها ويلتقي بها، إذ يعد هذا الغزل «ذلك المظهر الفني للعواطف المتعففة والملتهبة في آن معا، والتي وجدت أن هذا التعويض الغني هو خير ما تطفئ به لهبها وتتسامى له غرائزها».[2]

وقصيدة الغزل العفيف تمثل الشعر النفي، وأن شعراؤها مجبولون على الوفاء، متشبعون بالروح الإسلامية التي تتخذ من الحياء سبيلا للحياة، فأكثر الشعراء العذريون في شعرهم ما يدل على تأصيل الثقافة الإسلامية، كما في قول جميل بن معمر* وقد شبه حبيبته بالبدر في ليلة القدر.[3]

هي البدر حسنا والنساء كواكـــب وشتّان ما بين الكواكب والبـــدر

لقد فضّلت على الناس حسنا مثلما على ألف شهر فضلت ليله القدر

---

[1] – شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، ص: 359.

[2] – شكري فيصل، تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، من امرؤ القيس إلى ابن أبي ربيعة، دار الملايين، بيروت–لبنان، ط:5، 1996م، ص: 237.

* – وتنسب هذه الأبيات أيضا إلى قيس بن الملوح، روائع الشعر العربي والعالمي (مقال في الإنترنيت).

[3] – ديوان جميل بن معمر، دار صادر، بيروت–لبنان، (د.ط، د.ت)، ص: 580.

وقول مجنون ليلى:[1]

تـــــداويت من ليلـــــــى بليلى كما يتداوى شارب الخمر بالخمر
ألا زعمت ليلى بأن لا أحبها بلى والليال العشر والشفر والوتـــــر
بلى والذي لا يعلم الغيب غيـــره بقدرته تجري السفائن في البحـر
إذا ذكرت ليلى أُسرّ بذكرها كما انتفض العصفور من بلل القطر

فالشاعر قيس بن الملوح يتغزل بحبيبة واحدة كانت لَيْلاَهُ في كل شيء فهي الحبيبة والرفيقة والمؤنسة له «فقيس بن الملوح وحبيبته ليلى العامرية*، فهما مثال متصور من أمثلة الحب العذري، وأشعار مجنون ليلى من أرقى أنواع الغزل العذري، الذي انتشر في العصر الأموي ومنه انتقلت خصائص الجب العذري»[2]، فيصف الشاعر أحاسيسه العفيفة اتجاه حبيبته.

## 1-2-خصائص الغزل العذري:

يتميز الغزل العذري بمجموعة من الخصائص، منها[3]:

**أ-العفّة والنّقاء:** يعبر شعر الغزل العذري عن مشاعر الحب النقي والعفيف؛ فالشاعر «لا يني يتغنى بمعشوقته، متذللا متضرعا متوسلا، فهي ملاكه السماوي، وكأنها فعلا وراء السحاب، وهو لا يزال يناجيها مناجا شجية، يصور فيها وجده الذي ليس بعده وجد، وعذابه الذي لا يشبهه عذاب».[4]

---

[1] – ديوان قيس بن الملوح مجنون ليلى، شرح: زكي درويش، دار الثقافة، بيروت-لبنان، ط:01، 1971م، ص: 120.

* – للاستزادة ينظر: صلاح عيد، الغزل العذري، حقيقته الظاهرة وخصائص الفن، مكتبة الآداب، القاهرة-مصر، ط:1، 1414هـ/1993م، ص ص: 14-15.

[2] – عبد الرحمن عبد الحميد علي، الأدب العربي، العصر الإسلامي والأموي، دار الكتاب الحديث، ط:1، 2005م، ص: 254.

[3] – راضية لرقم، محاضرات في النص الأدبي القديم، ص ص: 87-88.

[4] – شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، ص ص: 359-360.

**ب-سهولة الألفاظ والأسلوب:** يتميز شعر الغزل العذري بسهولة اللغة والأسلوب، وعلم ذلك طبيعة ذلك الشعر الذي يتصل بالمشاعر والأحاسيس، وأدى بالشعراء العذريين إلى الابتعاد عن الألفاظ الغريبة.

**ج-الوفاء لمحبوبة واحدة:** يتغزل الشعراء العذريون بحبيبة واحدة، وهذا من باب الوفاء لها، وصدق المشاعر، إذ أن الغزل العذري مرتبط بفكرة «الحب للحب، آمن بها هؤلاء العذريون إيمانا تغلغل في أعماق قلوبهم فتحوّل الحب عندهم إلى وسيلة وغاية معا، أو قل تحول إلى حب مثالي مجردا من الغايات والأعراض».[1]

**د-الإفصاح عن لوعة فراق المحبوبة والغربة في لقائها:** يصور الشعراء العذريون معاناتهم وحزنهم نتيجة فراق محبوباتهم، وسقمهم المضني بسبب حرمانهم من لقاء المحبوبة، فالغزل العذري، هو ذلك «الضرب من الغزل الذي تشيع فيه حرارة العاطفة، وتشيع منه الأشواق، ويصور خلجات النفس وفرحات اللقاء وآلام الفراق، ولا يحفل بجمال المحبوبة الجسدي بقدر ما يحفل بجاذبيتها وسمر نظراتها وقوة وسرها، ثم يقتصر فيه الشاعر على محبوبة واحدة طيلة حياته أو ردحا طويلا من حياته».[2]

**2-الغزل العُمري:**

ينسب الغزل العمري إلى الشاعر عمر بن أبي ربيعة*، وقد ظهر هذا الغزل نتيجة ما طرأ من تحصر وتطور في الحجاز في العصر الأموي، ومهدت له عدة عوامل اجتماعية وسياسية ونفسية، ولقد كان غزل عمر بن أبي ربيعة يتسم «بالجرأة والانفلات والانطلاق إلى

---

[1] - ناهد أحمد السيد الشعراوي، شعراء بين عامر الأمويون، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية-مصر، ط2005م، ص: 202.

[2] - أحمد محمد الحوفي، الغزل في العصر الجاهلي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة-مصر، ط:3، (د.ت)، ص: 165.

* - عمر بن ربيعة، هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ولد سنة 23هـ-644م، وتوفي في سنة 93هـ-711م، وهو شاعر مخزومي قرشي، وهو كثير الغزل والنوادر والوقائع والمجون، ولقب بالعاشق، ويعد من زعماء فن التغزل في زمانه، ينظر: محمد محي الدين عبد الحميد، شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي، مطبعة السعادة، مصر، ط:1، 1952م، ص: 19.

أبعد من الحدود التي يرسمها منطق أو يقبلها ذوق، بل إنه مال إلى الإباحية حين رسم صورا غزلية عارية لم تكن لتسجم مع مجتمع إسلامي له من قداسة عقيدته ما يقيّد الشهوات ويعصم من الانحرافات، وبمعنى آخر نستطيع أن نقول: إن شعر مدرسة عمر كان وشيك الصلة بمدرسة الحس واللذة، إن صح التعبير»، فقد كان عمر بن أبي ربيعة يروي مغامرات مع النساء، ناقلا مدار الغزل من المرأة إلى الرجل، فصار الشاعر هو مركز الغزل، إذ كان يجري الحديث على لسان المرأة مصورا أحاسيسها ورغباتها.

**2-2-خصائص الغزل العمري:**

يتميز الغزل العمري بمميزات منها:

**أ-القصصية والحوار:** تعد هذه الميزة من أبرز الخصائص التي تميز بها الشعر العمري، إذ يتجلى للمتلقي في متن قصائد عن بن أبي ربيعة أشبه بالقصة التي اكتملت عناصرها، كما ساهم الحوار في بناء الحدث، وربما علة ذلك «طبيعة الحياة وما فيها من حرية ومجالس لهو وغناء في مكة وخارجها وما يشيع بين هذه المجالس من مغامرات عاطفية وقصص غرامية بين المحبين، كما ساعد على ذلك خياله الخصب ومعرفته الواسعة والعميقة بأحاديث النساء وتفكيرهن ومشاعرهنّ».[1]

**ب-سهولة الألفاظ والأسلوب:** مرتبطة هذه الخاصية بطبيعة الغزل الذي يتصل بعواطف الإنسان، مما يدعو الشاعر إلى انتقاء الألفاظ العذبة، والتي تناسب المعاني المقصودة، مبتعدا عن الألفاظ الغريبة والصعبة.

**ج-توظيف البحور القصيرة والأوزان الخفيفة:** لقد وظف عمر بن أبي ربيعة في قصائده الغزلية البحور القصيرة والأوزان الخفيفة مثل الخفيف، والرمل والمتقارب[2]، لتكون سهلة عند ترديدها وتلحينها[3]، فقد اعتمد شعر عمر بن أبي ربيعة «على الغناء اعتمادا

[1] – محمد حسن أمرائي، شهريار همتي، قراءة فنية وأسلوبية في قصيدة "الرائية الكبرى" لعمر بن أبي ربيعة وميزاتها العاطفية، مجلة بحوث في اللغة العربية، تصدر عن كلية اللغات الأجنبية بجامعة أصفهان، ع:12، 1436هـ، ص: 06.

[2] – شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، ص: 348.

[3] – المرجع نفسه، ص: 348.

رئيسيا وكأن عمر لم يقل شعرا إلا ليغني، فقد كان يؤلف مع الغريض وابن سريج جوقة موسيقية، وفرقة غنائية متنقلة بين أنحاء مكة والمدينة، مما يجعل الجميع يُعجب بشعره أيما إعجاب».[1]

**د-تعدد الحبيبات:** يذكر عمر بن أبي ربيعة في ديوانه أسماء لعدة نساء، منهن: نُعِمْ، هند، فاطمة، عائشة... وغيرهن فلا يثبت على محبوبة واحدة، ويظهرن بصورة العاشقات للشاعر وليس المعشوقات، فهو لا يشكو الغرام والعشق، بل محبوبته هي التي تشكو من ذلك، فهي التي تحيط بشباك التضرع والاستعطاف[2]، غير أن عمر بن أبي ربيعة أحيانا «يلهج بصبابته وحبه وما يذوق من وجد وألم، متلطفا لصاحبته، ملجا على أن تواصله بودها، مستعطفا متضرعا».[3]

**هـ-الوصف الحسي للمرأة، ومغامراته معها:** يعد وصف المرأة وصفا حسيا أمرا طبيعيا في غزله، حيث «قضى عمر بن أبي ربيعة أكثر أيامه في معاشرة النساء، ونظم أكثر شعره في وصف محاسين النساء، فمن الطبيعي أن يقع في الخاطر أنهن كان صاحب دوق مأثور في جمال المرأة، يسأل عنه من يكتب تاريخه وينقد شعره، يورده إلى مزاجه وشعوره».[4]

**و-الجمع بين الحداثة والتقليد:** عمر بن أبي ربيعة وإن جهر بحبه للنساء وتجرأ على الشريفات من المسلمات وجعلهن موضوعا لغزله، بقي وفيا في كثير من قصائده للقصيدة الغزلية العربية كما هو الحال في قوله[5]: (بحر الطويل).

أمن آل نعم أنت غاد فمبكـــــر غداة غد أم رائح فمجـــــــــــــر

بحاجة نفس لم تقل في جوابــها فتبلـــغ عــذرا والمقالة تعـــــــذر

---

[1] –

[2] – شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي، ص: 351.

[3] – المرجع نفسه، ص: 351.

[4] – عباس محمود العقاد، شاعر الغزل عمر بن أبي ربيعة، مؤسسة هنداي للتعليم والثقافة، ط:2، 2001، ص: 47.

[5] – ديوان عمر بن أبي ربيعة، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: محمد فايز، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط:02، 1996م، ص: 122.

تهيم إلى نعم فلا الشمل جامــع ولا الحبل موصول ولا القلب مقصر
ولا قرب نعم إذ دنت لك نافــع ولا نأيها يسلي ولا أنــت تصبـــر
وأخرى أت من دون نعم ومثلها نهى ذا النّهى لو ترعـــوي أو تفكر

فملامح الغزل الجاهلي واضحة في هذا المقطع، لكن فيما يتبع من أبيات يلحظ عودة الشاعر لروح العصر المتحرر من القيود التي كبلت المتغزلين من رقابة ووشاية ونأي وهجر، فيبدأ جانب التجديد كما يدل عليه قوله:[1]

إذا زرعت نعما لم يزل ذو قرابــة لها كلما لاقيـــــت يتنمـــــر
غزيـــر عليـــه أن ألم ببيتـــها يسر لي الشحناء والبغض يظهر
ألكني إليها بالســـــلام فإنـــه يشهر إلمامـــي بها وبنكـــــر
بآية ما قالـــت غداة لقيتـــها بمدفع أكان أهـــذا المشهـــر؟
قفي فانظري أسماء هل تعرفينه؟ أهذا المغيري الذي كان يذكـــر؟
أهذا الذي أطريت نعتا فلم أكــن وعيشك أنساه إلى يوم أقبـــــر؟
فقالت نعم لا شك غيـــر لونـــه سرى الليل يحي نصه والتهجـــر

يستهل عمر بن أبي ربيعة قصيدته بمطلع غزلي، يصفح من خلاله عن حنينه وشوقه لمحبوبته، فأرسل رسوله إلى "آلف نعم" كي يخبرها بشوقه وحنينه، وأنه لم يخبر أحدا عنها فيعذرونه، فهم يهيم "بنعم" لكن لا صلة بينه وبينها، فرغم قربه من قبيلتها إلا أن هذا القرب غير نافع، لأنه لا يمكنه من لقاء محبوبته، ورغم ذلك لا يستطيع أن ينساها.

**3-صور أخرى لقصيدة الغزل:**

في القرن الثاني الهجري ظهرت موضوعات شعرية جديدة نتيجة ظهور تيارات واتجاهات ثقافية ودينية وسياسية جديدة، أغنت تجارب الشعراء بسبب فسح المجال للعشوب غير العربية للتعبير عن أهوائها وميولها، وأمام ذلك ظهرت قصيدة الغزل بأثواب عدة منها:[2]

[1] – ديوان بن أبي ربيعة المخزومي، ص: 123.

[2] – سعاد ترشاق، محاضرات في النصر الأدبي القديم، ص ص: 97-99.

### 3-1-الغزل الفاحش:

يشيد هذا النوع من الغزل بالمتعة التي تتحقق بلقاء المرأة، وإن كان امتدادا للغزل الجاهلي الفاحش، فقد عرف أنواعا جديدة كالغزل بالمذكر الذي تغذى بالمجون خاصة بعد ازدهار تجارة الرقيق.[1]

ويدل هذا النوع من الشعر على درجة من الترف والفراغ والمجون والخلاعة، التي شاعت بين فئات معينة من طبقات المجتمع العباسي، ومن أخطر أنواعه الغزل بالمذكر، ويصف عادة بالغزل الشاذ، ومهما حاول بعض الدارسين تبريره بتعليلات نفسية، لأن هذا النوع من المعاني قائم -كما ذهب محمد مصطفى هدارة- على مغالطة صريحة ولا يمثل إلا قمة الفساد المادي والسقوط والانحدار.

وقد شاع هذا الغرض مرتبطا بأبي نواس وله فيه شهر وفير وكثير، حيث يقول[2]:

من كان تعجبه الأنثى ويعجبها  من الرجال فإني شفني ذكـــــــــر
فوق الخماسي لما طرّ شاربــه  من رخص البنان خلا من خده الشعر
لم يجف من كير عما يراه بـه  من الأمور ولا أزرى به صغـــــــر

قال عبد الحميد جيرة: «هذا الغزل بالمذكر لم يضف إلى قصيدة الغزل العربية عاطفة جديدة أو رؤيا جمالية جديدة، إنه شعر يحبر الصورة التقليدية القديمة في وصف المرأة، والذي يقرأ هذا الشعر في المذكر لا يحس إلا بالعاطفة تجاه المرأة تنساب في هذه الأوصاف».[3]

ولم يبق هذا النوع من الغزل كثيرا فرسعان ما اندثر لأنه لم يجد من يشجع عليه أو يقبلون على تذوقه.

---

[1] – شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي، الأول، ص: 370.

[2] – ديوان أبي نواس، برواية الصولي، تحق: بهجت عبد الغفور الحديثي، دار الكتب الوطنية، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، ط:1، 1431هـ-2010م، ص: 525.

[3] – عبد الحميد جيرة، مقدمة لقصيدة الغزل العربية، دار العلوم العربية، بيروت-لبنان، ط:01، 1412هـ-1992م، ص: 180.

### 3-2-الغزل في الغلاميات:

ويقصد به الغزل بمن تشبه بالغلمان في زيّهنّ، وقد ظهر أيام المأمون[1]، منها ما قاله أبي نواس:[2]

غلا وإلا بالغلام شبيـــــهها وريحان دنيا لذة للمعانـــــق

تجمع فيها الشكل والزي كله فليس يوفي وصفها قول ناطق

### 3-3-الغزل بالجواري والقيان:

شغل هذا الموضوع حيزا كبيرا عند شعراء الغزل في القرن الثاني لتوفر كثير منهن على جانب من الجمال والعلم ما شجع على التعلق بهن.

وقد ظهر هذا الغزل الذي ارتبط بالجواري بطابعيه العفيف والماجن، ومن أمثلته قول بشار بن برد في جارية واسمها عبدة:[3]

أعددت لي عتبا بحبكم يا عبد طال بحبكم عتبـــي

ولقد تعرض لي خيالكم في القرط والخلخال والقلب

وقوله:[4]

ما كنت أول مشغوف بجاريـــــة يلقى بلقيانها روحا وريحانـــــا

قالوا بمن لا ترى تهذي فقلت لهم الأذن كالعين توفي القل ما كانا

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة والعين تعشق قبل العين أحيانا

فأبلغها الغلام الأبيات، فهشت لها وكانت تزوره مع نسوة يصحبنها فيأكلن عنده ويشربن وينصرفن بعد أن يحدثها وينشدها ولا تطمعه في نسفها، فقال فيها:[5]

قالت عقيل بن كعب إذا تعلقها قلبي فأضحى به من حبها أثـــر

---

[1] – المرجع نفسه، ص: 181.

[2] – ديوان أبي نواس، ص: 620.

[3] – ديوان بشار بن برد، شرح وتحقيق: محمد الطاهر بن عاشور، مر: محمد شوقي أمين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة-مصر، 1386هـ-1966م، 10/4.

[4] – ديوان بشار بن برد، 194/4.

[5] – الديوان، 71/4.

أنى ولم ترها تهذي فقلت لهـــم لم يقض وردا ولا يرجى له صدر

فصار بعض الأصدقاء يلومونه في حبها، فأنشد يقول:[1]

يزهدني فب حب عبدة معشـــــــر قلوبهم فيها مخالفة قلبـــــــــي

فقلت: دعوا قلبي وما اختار وارتضى فبالقلب لا بالعين يبصر ذو الحبّ

فما تبصر العينان في موضع الهوى ولا تسمع الأذنان إلا من القلـــب

وما الحسن إلا كل حسن دعا الصّبا وألف بين العشق والعاشق الصّـب

يعتبر الغزل من أهم الفنون وأبرز الموضوعات وأعلقها بالقلب، وأقربها إلى طبيعة الإنسان هو فن الغزل، وقد لقي الغزل عناية كبيرة من الشعراء، سجلوا فيه عواطفهم وخواطرهم، حيث تناولوا المرأة فذكروا محاسنها وصفاتها الحسية والمعنوية، وسحرها وجمالها، وما يفعل الشوق والحنين فيهم، ولم يحفل العرب بشيء كاحتفالهم بغرض الغزل، سواء أكان صادرا عن القلب تفرّد له القصائد وتحبّر له الأشعار أم كان تقليدا مستحبا تفتتح به المطولات ويستراح إليه بعد رحلة الشعر، فيوصل به الحديث ويعقد عليه الحوار.[2]

ومنه انبرى الشعراء في هذا الغرض وأكثروا فيه القول وانقسموا إلى قسمين أولهما غزل عفيف يتميز بالحشمة والوفاء للحبيبة، وتوظيف المعاني الإسلامية، كالاقتباس من القرآن الكريم، وسهولة اللفظ وبساطته لصدق العاطفة، وصدق المشاعر والأحاسيس، فكانت انفعالاتهم مترجمة لأحوالهم، وثانيهما: الغزل الصريح أو الفاحش أو الماجن الذي ولع بالمتعة الحسية، والتصوير الصريح والمباشر لجسد المرأة وينادي بالحرية التامة في الوصف من غير حياء أو تستر أو حشمة.

[1] – الديوان، 12/4.

[2] – يحي الجبوري، الشعر الجاهلي، خصائصه وفنونه، ص: 279.

# المحاضرة الثامنة: الزهد والتصوف

**تمهيد:**

يعد شعر الزهد والتصوف من الأغراض الشعرية الأكثر قربا للنفوس البشرية ولائط بالقلوب لما فيه من التعابير الإسلامية الجزلة التي تصدت لموجة المجون والخلاعة التي مست الأقوام العربية، وانتشرت في الدولة العباسية واختلاط العرب بغيهم من الأعاجم، وفساد اللسان العربي، وابتعادهم عن التعاليم الإسلامية، فظهرت فئة من الشعراء الزهاء والمتصوفة تصدت لهؤلاء المبتعدين عن الدين الإسلامي من أمثال: سفيان الثوري، رابعة العدوية، عبد الله بن المبارك، محمود الوراق، أبو العتاهية وابن الفارض ابن عربي وغيرهم.

**أولا: شعر الزهد**

**1-مفهوم الزهد:**

**أ-لغة:** ورد الزّهد في معجم لسان العرب لابن منظور بمعنى انصراف الرغبة عن الشيء، إذ يقول: «الزّهْدُ والزّهَادةُ في الدنيا، ولا يقال: الزّهْدُ إلا في الدين خاصة، والزّهْدُ: ضد الرغبة والحرص على الدّنيا، والزهادة في الأشياء كلها ضد الرغبة، وزَهِدَ وزَهَدَ، يَزْهَدُ فيهما زَهْدًا وَزَهَدًا وَزَهَادَةً من قوم زهاد».[1]

**ب-اصطلاحا:** هو حنين الروح إلى مصدرها الأول لمعرفة الخالف عن طريق الزهد في الدنيا ومتاعها والرّغبة عن نعيمها وتفضيل نعيم الآخرة عليها[2]، فهو التّخلي عن متاع الدنيا ومباهجها والانقطاع إلى العبادة طمعا في نعيم الآخرة ورضاء الله عز وجلّ، فمع ما كان في المجتمع العباسي من مجون وزندقة ومظاهر ترف مختلفة، فإن ذلك كله لم يكن إلا عند طوائف محدودة من المجتمع.

وأما عامة الناس فإنهم لم يكونوا يعرفون ترفا ولا زندقة، فإن المساجد وحلقات العلم قد امتلأت بالعبّاد والنسّاك والزّهاد الذين آثروا الحياة الآخرة على الحياة الدنيا، وانتشرت في

[1] – ابن منظور، لسان العرب، طبعة جديدة محققة، دار صادر، بيروت–لبنان، ط:4، 2005، مج:7، مادة (زهد).

[2] – سراج الدين محمد، الزهد والتصوف والتصوف في الشعر العربي، دار راتب الجامعية، بيروت–لبنان، ص: 05.

المجتمع حلقات الوعظ التي تذكر الناس بالله واليوم الآخر وتحذرهم من الانغماس في الملذات والجري وراء متاع الحياة الزّائل، وتذكرهم بالنعيم المقيم الذي ينتظر عباد الله الصالحين.[1]

**2-أهم أعلام شعر الزّهد:**

لقد اشتهر عدد كبير من الزهاد والنسّاك الذين كانوا يحيون حياة كلها تقشف وتبتل وانقطاع إلى الله عز وجل، ومن هؤلاء إبراهيم بن أدهم المتوفى سنة 160هـ، وسفيان الثوري (ت161هـ)، وداود الطائي (ت165هـ)، ورابعة العدوية (ت180هـ)، والفضيل بن عياض (ت187هـ)، وشقيق البلخي (ت194هـ) وسفيان بن عيينة (ت198هـ)، ومعروف الكرخي (ت200هـ) وهؤلاء الزهاد جعلوا الدنيا وراء ظهورهم وتخلوا عن متاعها ورفضوا الجاه والسلطان، ولما يخافوا خليفة ولا حاكما.[2]

ومن أهم الأعلام سنقف قليلا عند الشاعر أبي العتاهية:

**أ-أبو العتاهية:** هو أبو إسحاق بن القاسم بن سويد بن كيسان العنزي من قبيلة عنزة، أمه بنت زياد المحتاربي من موالي بني زهرة، ولد عام 130هـ بالقرب من الكوفة، ببلدة عين التمر من أسرة فقيرة، وتوفي يوم الاثنين لسنة 213 أو 211هـ ببغداد، ولقب بالعتاهية؛ لأنه كان يحب التعتة، وكان يعمل في الجرار وأهله، ومرة سئل عن الجرار فأجاب: "أنا جرار القوافي وأخي جار التجارة".[3]

كما عرف أبو العتاهية بتقلب المزاج وعدم استقراره على رأي واحد، كثير التردد في أمر الدين، فتقلب على أطوار شتى شأن الذين يحلبون أنفسهم.

ومن زهده الداعي إلى فضيلة التطابق بين الفعل والعمل قوله:[4]

---

[1] - علي جميل مهنا، الأدب في ظل الخلافة العباسية، ص: 64.

[2] - المرجع نفسه، ص: 64.

[3] - أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، تصحيح: أحمد الشنقيطي، مطبعة التقدم بشارع محمد علي بمصر، (د.ت)، 3/121-123.

[4] - الديوان، ص: 328.

من ذا الذي يقرأ في كتبـــه ما أمر الله ولا يعمل

قد بين الرحمان مقت الذي يأمر بالحق ولا يفـل

من كان لا يشبع أفعالـــه أقواله فصمته أجمل

لـم تتضـمن مدونـة زهـد أبـي العتاهيـة، أكثـر مـن أربعـة زهـديات، وهـي فـي غايـة الاحتشام، كما يلاحظ ضآلة المادة المدحية والعتابية والفخرية في شعره، وغابت المقدمات التقليدية من الزهديات، وذلك يتصل بالمنزع الزهدي الغالب عليه.[1]

**3-خصائص شعر الزهد:**

لقد أجملتها الباحثة سعاد ترشاق في:[2]

أ- كـل لشـعر الزهـد لا يخلـو مـن حـديث عـن المـوت والتـذكير بهـا، وبـالجزاء والعقاب، وبمصير الناس وبعبثية الدنيا وفنائها.

ب- يسيطر المعجم القرآني على شعر الزهد سيطرة واضحة، لأنه يتغذى بالأساس على ما جاء في القرآن الكريم من حديث عن الدنيا وعن الآخر.

ج- شعر الزهد شعر العامة يدعوهم لترك المعاصي وتتبع الصالح من الأعمال لذلك تجد لغته سهلة قريبة المأخذ لا يوجد فيها تلميح ولا رمز يرهق القارئ أو يبعد عنه المعنى.

د- تغلب على قصائد الزّهد الأسلوب الإنشائي من خلال توظيف الاستفهام والأمر والنهي والنّداء والتّعجب.

[1] - سعاد ترشاق، محاضرات في النص الأدبي القديم، ص: 115.

[2] - الطاهر الهمامي، الشعر على الشعر، بحث في الشعرية من منظور شعر الشعراء على شعرهم إلى القرن 5هـ/11م، تق: محمود درابسة، عالم الكتب الحديث، عمان-الأردن، ط: 01، 1431هـ/2010م، ص ص: 145-146.

**ثانيا: شعر التصوف**

يعتبر التصوف جزءً أساسيا في تراثنا العربي الإسلامي حيث تبوّأ مكانة هامة في الفكر العربي الإسلامي، والاهتمام بالتصوف قديم، تناوله المؤرخون والعلماء العرب والمسلمون كالطوسي، والكلاباذي والقشيري...وغيرهم.

كما ألف فيه الفلاسفة كابن سينا والغزالي وابن خلدون، تجادل فيه الفقهاء وعلماء الكلام، إضافة إلى جهود المستشرقين أمثال ما سينيون ونيكلسون من قيود الدين، وينظرون فيه نظر الناقد.[1]

عاش الشاعر حياة متواضعة يميزها الشعر الذي برع فيه وتميز به، فكان من الشعراء العباسيين المشهورين، وكان للأسرة التي نشأ فيها سبب في توجهه نحو المجون والشرب، فعرف بكثرة الغزل إلى أن أعلن التوبة وأتاب إلى الله، وقال الزهد واتخذه مذهبا له في الشعر وفي الحياة تاركا المنادمة واللّهو.[2]

**ب-أسباب زهده وشعره الزهدي:** يرجح الدارسون أن أبا العتاهية أحب فتاة اسمها (عتبة)، وكانت جارية الرّشيد، لكنها رفضت الزواج منه فزهد وكره الدنيا، فلابد أن الرجل وقف متأملا حياته فوجدها عابثة خالية من الصرامة والجديّة، ووجد ما قام به لا يدعوا إلى فخر[3]، «فتكشفت له الدنيا عن عبث مطلق وتفاهة ففكر في تلك العزلة المنشودة يغنى فيها أحلى ما تاق إليه من معاني الزهد والاعتبار فتهدأ تلك النفس اللهيفة».[4]

ويبدو أن الدافع العام لزهده دينيا أكثر منه دنيويا، فقد طعن في دينه بعد اتهامه بالزندقة والمجون، لكن المتتبع لشعره يجده مليئا بمعاني التوحيد الخالص:

ومن زهدياته قوله في الدعوة إلى ترك الدنيا الزائلة:[5]

---

[1] – أبو الفرج، الأغاني، 127/3.

[2] – ديوان أبي العتاهية، در بيروت للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، 1406هـ-1986م، ص: 05.

[3] – سعاد ترشاق، محاضرات في النص الأدبي القديم، ص: 113.

[4] – زاهر سعيدي، حول حقيقة زهديات أبي العتاهية، مجلة التراث الأدبي، السنة2، ع:8، ص: 60.

[5] – ديوان أبي العتاهية، ص: 55.

من تراب خلقت لا شك فيـــه وغدا أنت سائر للتـــــــراب
كيف تلهو وأنت في حمأة الطيـ ـن، وتمشي وأنت ذو إعجـــاب
تسأل الله زلفة واعتصابـــــا وخلاصا من مؤلمات العـــذاب
فخف الله واترك الزهو واذكـــر موقف الخاطئ في يوم الحساب

وفي تذكيره للموت يقول:[1]

اذكر معادك أفضل الذكـــــر لا تنس يوم صبيحة الحشـــر
يوم الكرامة للألى صبـــروا والخير عند عواقب الصّبـــر

اللذان درسا شعر وتصوف الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي بشيء من التفصيل والتحليل.

وقد عرف التصوف في باقي الأديان كالمسيحية مثلا، لكن الذي يعنينا هنا هو التصوف الإسلامي، ويتصل معنى التصوف بالاتباع والحب، والحب الإلهي، وحب النبي صلى الله عليه وسلم، واتباع منهجه التشريعي والعقائدي والخُلقي.

كما عرف التصوف تطورات وتحولات عبر الزمن، حيث بدأ سلوكا وانتهى علما ومنهجا وفلسفة في الحياة على أيدي كبار التصوف أمثال ابن عربي، فصار علما للأخلاق الدينية، يهدف إلى رقي النفس الإنسانية حتى تبلغ كمالها ولتفنى في الحقيقة المطلقة، أول درجاته مجاهدة النفس والتدرج في مراحل الأحوال والمقامات، وآخرها المعرفة بالله، وهي غاية السالك ومن ثمة الإيمان بوحدة الله.[2]

**1-مفهوم التصوف:**

إن لفظ التصوف مشتق من صوفي، وهي مشتقة من الصفاء، فجعلوا مه (صوفي) فعلا مبنيا للمجهول من صافي، وقلب صوفي تجنبا للثقل.[3]

---

[1] – الديوان، ص: 197.

[2] – سعاد ترشاق، المرجع السابق، ص: 117.

[3] – السراج الطوسي، اللمع في التصوف، تح: رينولد نيكلسون، مطبعة بريل، 1914م، ص ص: 26-27.

ويذهب بعض المستشرقين أن كلمته (صوفي) مأخوذة من (صوفيا) اليونانية بمعنى الحكمة وعندما فلسفت العرب عبادتهم حرفوا الكلمة وأطلقوا على رجال التعبد والفلسفة الروحية أو مأخوذ من (ثيوصوفيا) بمعنى الإشراق أو محب الحكمة الإلهية.[1]

وهناك من نسب الكلمة إلى الصوف، للبسهم الصوفي، أو نسبة أهل الصفة صحابة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو لأن المتصوفة كانوا في الصف الأول بين يدي الله تعالى؛ إذ يعتبر الجاحظ أول من استعمل لفظ صوفي عندما تكلم عن النساك وأن باهاشم الكوفي أول من لبس الصوف وأطلق عليه متصوفا لزهده في الدنيا.[2]

ويعرفه الجنيد بأنه «أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام»[3]، إذن فالصوفية هم أهل الباطن، وأمناء لله في الأرض يرون بنور الله.

ولعل تباشير التصوف قد ظهرت في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري عند كبار الزاهدين، أمثال: إبراهيم بن أدهم، ورابعة العدوية، وسفيان ابن عيينه، ومعروف الكرخي، وابن عربي، وابن الفارض وغيرهم.[4]

**2-نماذج من المتصوفة:**

**أ-رابعة العدوية:** هي أم الخير رابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية القيسية ولدة بالبصرة، وتوفيت سنة 185هـ، أقبت على الزهد والعباد، وكتب عنها مؤرخون كثر في الشرق والغرب[5]، ومن أشهر ما قالت في موضوع الحب الإلهي:[6]

أحبك حبين حب الهـــــوى وحب لأنك أهـل لـــــــذاك

فأما الذي هو حب الهـــوى فشغلي بذكرك عمن ســـواك

---

[1] – محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب في التراث الصوفي، دار غريب، القاهرة-مصر، 1998م، ص ص: 23-24.

[2] – الكلاباذي، التعرف على مذهب أهل التصوف، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1993م، ص: 09.

[3] – السّراج الطوسي، اللمع، ص: 25.

[4] – علي جميل مهنا، الأدب في ظل الخلافة العباسية، ص: 67.

[5] – ديوان عفيف الدين التلمساني، دراسة وتحقيق، يوسف زيدان، دار الشروق، (د.ط، د.ت)، 119/1.

[6] – المرجع نفسه، ص: 120.

وأما الذي أنت أهل لـــــــه فكشفك الحجب لي حتى أراك

فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد فـــي ذا وذاك

ومن أقوال رابعة العدوية أول الليل ثم في آخره: «إلهي أنارت النجوم ونامت العيون، وغلقت الملوك أبوابها وخلا كل حبيب حبيبته، وهذا مقامي بين يديك: إلهي! هذا الليل قد أدبر، وهذا النار قد أسفر، فليت شعري أقبلت ليلتي فأهنأ، أم رددتها عليّ فأعزى؟ فوعزتك هذا أدبي ما أحييتني وأعنتني».[1]

**ب-سفيان بن عيينة:** ابن أبي عمران ميمون مولى محمد بن مزاحم، ولد بالكوفة سنة 107هـ وطلب الحديث، ولقي الكبار، وحمل عنهم علما جما، وأتقن وجود، وجمع وصنف، وعمر دهرا، وازدحم الخلق عليه، وانتهى إليه علو الإسناد، ورحل إليه من البلاد، وألحق الأحفاد بالأجداد.

وقال الإمام الشافعي فيه: لولا مالك وسفيان بن عيينة لذهب علم الحجاز.[2]

ومن مأثور كلام سفيان بن عيينة قوله: «بكرك في ررق غد يكتب عليك خطيئة».[3]

وقوله: «لا يمنع أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فإن الله قد استجاب دعاء شر الخلق هو إبليس ﴿ قَالَ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ، قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾[4]، وقال يستحب أن يقال في الدعاء: اللهم استرني بسترك الجميل».[5]

ج-ومن مأثور كلام معرف الكرخي قوله: «من كابر الله صرعه، ومن نازعه قمعه، ومن ماكره خدعه، ومن توكل عليه منعه، ومن تواضع له رفعه».[6]

---

[1] – علي جميل مهنا، الأدب في ظل الخلافة العباسية، ص: 67.

[2] – ينظر: سير أعلام النبلاء، المكتبة الإسلامية، الجزء الثامن، ص: 455، مقال في الإنترنيت: www.islamweb.net.

[3] – ابن قتيبة، عيون الأخبار، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، 1963م، (د.ط)، 315/2.

[4] – سورة الأعراف، الآية: 14-15.

[5] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، 1936م، (د.ط)، ص158/2.

[6] – علي جميل مهنا، المرجع السابق، ص: 67.

**د-ابن الفارض:** هو أبو حفص عمر بن علي المعروف بابن الفارض، أصله آبائه من حماه، ولد بالقاهرة سنة 576هـ أو 579هـ، تفقه في الدين واللغة الأدب، قصد مكة المكرمة وبها مكث زمنا طويلا، ثم رجع إلى مصر وبها توفي سنة 632هـ الموافق لـ 1234م.[1]

كان جميل الهيئة، حسن المظهر، شديد الورع، ظاهر التدين، أكثر شعره في الغزل، كما قال في الخمر الذي وظفه لرموز دينية صوفية على عادة أهل التصوف، وقال في الحب إلهي[2]:

لا تلك صبوتي فمن حب يصبو إنما يرحم المحب المحـــب
كيف لا يوقد النسيم غرامـــي وله في خيام ليلي مهـــب
ما اعتذاري إذا حبت لي نـــار وحبيبي أنواره ليس تخبـــو
هذه الحلة التي حـــــل فيها عقد صبري وحلها لي حب
ملأ الكون حسنه فلهـــــــذا كل قلب إلى معانيه يصبـــو

ونسج على منواله لشاعر عفيف الدين التلمساني قوله:[3]

زدني بفرط الحب فيك تحيـــرا وارحم حشى بلظي هواك تسعـــرا
وإذا سألتك أن أراك حقيقـــة فاسمح، ولا تجعل جوابي لن تـــزى
يا قلب أنت وعدتني في حبهم صبرا فحاذر أن تضيق وتضجـــرا
إن الغرام هو الحياة همت به صبا، فحقك أن تموت، وتعـــذرا
قل للذين تقدموا قلبي، ومـــن بعدي، ومن أضحى لأشجاني يرى

عني خذوا وبي اقتدوا ولي اسمعوا وتحدثوا بصبابتي بين الورى.

---

[1] – ديوان ابن الفارض، شرح مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط:1، 2011م، ص ص: 3–15 (حياته مفصلة).

[2] – ديوان ابن الفارض، ص: 83.

[3] – ديوان عفيف الدين التلمساني، ص: 83.

فهذه القصيدة التي قالها ابن الفارض غزلية، يخيل إلى قارئها أنها تخاطب إنسانا حقيقيا لا إلها خالقا، فمن يقرأها من أول مرة دون أن يطلع على حياة الشاعر وتفكيره ومذهبه الذي يعتنقه لظن أن ابن الفارض يتغزل في أحد محبوباته –سمي لأجلهن بسلطان العاشقين– ولكنه في هذه القصيدة يخاطب الله تعالى كأحد الأشخاص المقربين إلى قلبه طالبا منه التجلي إليه لرؤيته، وبرؤية وجهه الكريم، ففي هذه الأبيات يصور الشاعر الحب الإلهي وما يصحب من حيرة ودهشة وانبهار ونزوع إلى الموت.

كما قال ابن الفارض في الخمر الصوفي، ويعتبر موجد الرمزية في الشعر الصوفي، ومن قوله فيه:[1]

شربنا على ذكر الحبيب مدامـــة سركنا بها من قبل أن تخلق الكرم
لها البدر كأس وهي شمس يديرها هلال ولم يبدو وإذا طلعت نجـــم
ولولا شذاها ما اهتديت لجانـــها ولولا سناها تصـــورها الـــــوهم
يقولون لي: صفها فأنت بوصفها خبير، أجل عندي بأوصافها علم
صفاء ولا ماء، ولطف ولا هواء ونور ولا نـــار، وروح ولا جســـم

كما قال في الحب الإلهي وبالمواضيع المرتبطة بالحنين:[2]

عيون الحيا جودي لتربة يثرب بدمع هتون ودقـــة متصـــــوب
عودي بطيب من سلامي طيبه نسيم الصبا النجدي يا خير طيب
بلاد بها اللوحي مربا ومربـــع ومنتجع الفغران عن كل مذنـــب

**هـ–الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي:** هو محمد بن عليس بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي، المشهور بـ "سلطان العارفين" ويعرفه بالحاتمي، وبابن عربي لدى أهل المشرق تفريقا بينه وبين القاضي أبي بكر بن العربي، وبابن العربي لدى المغاربة، وكما

[1] – ديوان ابن الفارض، ص: 142.

[2] – الديوان، ص: 111.

سمي هو نفسه في كتبه، ويعرف في الأندلس بابن سراقة، ويصعد به نسب خئولته إلى الأنصار.[1]

نشأ الشيخ بن عربي في جو مليء بأنغام الحب والإيمان، فأمه اسمها "نور" يرتفع نسبها إلى الأنصار، وكان بارا بها، كما انتقل والده به إلى إشبيلية وعمره ثمان سنين، وقد كان بمحيطه الذي نشأ فيه أكبر الأثر في حياة الشيخ، فقد كان والده من الصلاح بجانب عظيم.[2]

لقد مر الشيخ منذ بدايته وسلوكه الطريق الصوفي بمراحل شاقة، ورحلته الطويلة التي وصل فيها إلى أماكن بعيدة، حيث صال وجال في الكثير من بقاع الأرض مشارقها ومغاربها، وهو بصحبة نفر من الصوفية، ومضى في رحلاته حتى بلغ إلى أبرد الأماكن الأرمينية، حيث يجمد نهر الفرات في الشتاء.

**و-آثاره:** من بين ما أبدع فيه الشيخ وما قدمه للقارئ الكثير من المصنفات منها ما هو نثري ومنها ما هو شعري، وتستغل جلها في الخطاب الصوفي، ويعتبر إنتاجه في حد ذاته معجزة أدبية وفكرية من ناحية الكم أو الكسف، بجميع العلوم والمباحث النظرية والعلمية، الإسلامية وغير الإسلامي، كما يتطرق لمختلف المنازل والمقامات والأحوال الصوفية، ويخوض في تحليل مراتب الملائكة، وطبائع الجن، ورمزية الحروف، وحقيقة عالم البرزخ الذي يفصل بين عالمي الموت والحشر، وطبيعة وزمن ومجريات عالم الجنة والناس...الخ.[3]

كتاب تفسير ابن عربي ويضم تفسيره للقرآن الكريم.

---

[1] – طه عبد الباقي سرور، محي الدين بن عربي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة–مصر، 26 أوت 2012م، (د.ط)، ص: 15.

[2] – محمد رياض المالح، الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي، سلطان العارفين وإمام المحققين وبقية المجتهدين، المجمع الثقافي، الإمارات العربية، أبو ظبي، ط:1، 2007م، ص ص: 19-27.

[3] – محمد المصباحي، نعم ولا، الفكر المنفتح عند ابن العربي، مقاربات فكرية، منشورات الاختلاف، دار الأمان، الرباط-المغرب، ط:1، 1433هـ-2012م، ص: 17.

كتاب الفتوحات الملكية، المكون من 37 سفر 560 باب الذي وصف بأنه من النصوص الصوفية الموغلة في التعمق، وأن لغته رمزية وبها إشارات إلهية، حيث طاف في كتابه هذا–الفتوحات الوجودية– وذلك من خلال عرضه للأنباء المذكورين في القرآن الكريم، باعتبارهم يمقلون لحظات عرفانية معينة أو مقامات ميتافيزيقية متميزة، ومركز هذه الصيغة أو النظرية الجديدة التي جاء بها الشيخ هي "الحقيقية المحمدية" التي تتجلى في ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: تكون الحقيقة المحمدية مجالا لتجلي كل الكمال الإلهي على مستوى الوجود المطلق كعقل ومعقول وعاقل، وكمحب ومحبوب وحب.

المرتبة الثانية: تكون الحقيقة المحمدية هي علة وجود، وحفظ العالم الخارجي، ومبدأ نظامه ومعقوليته وتطوره.

المرتبة الثالثة: تصبح الحقيقة المحمدية الأداة الفعالة التي يحقق القرب منها تطور العارف الروحي والسير به في طريق سعادته، وذلك عن طريق النبوة والولاية، فبواسطة النبوة يعلن الله عز وجل عن إرادته أمام الوعي البشري في صورة شريعة سماوية ذات نظام إلهي، وبواسطة الولاية يظهر إرادته في شخص الولي، قمة الإنسان طالما أن الهدف الأسمى لحياته هو توحيد إرادة الله، وأن يكون جسما ونفسا مكانا للتجلي الإلهي.[1]

**–فصول الحكم:**

عرض فيه أغرب نظرياته في وحدة الوجود على هيئة إلهامات ذكر أنه ألفه بأمر من الرسول صلى الله عليه وسلم كما تراه في المنام.

**–ديوان ترجمان الأشواق:**

ذو طابع غزلي، وفيه مدح الفتاة التي أحبها وهي نظام بنت الشيخ أبي شجاع بن رستم الأصفهاني التي عرفها في مكة سنة 598هـ، عندما قدم إليها لأول مرة قادما من

[1] – المرجع نفسه، ص: 21.

المغرب، وكانت آية في الجمال وتكنى بعين الشمس، ومن خلالها عرف جمال الخالق، لذلك تحدث عن الحب الإلهي.

يقول ابن عربي من شعره الصوفي[1]:

أيا مهجتي قلبي بذكراك يثمـــــل ونفسي بأنفاس المحبين تجـــزل

ولي سكرة من خمرة الموصل تعزل ولا تقاة النفسي حين تعطلـــــوا

لكل رقيب منك في القلب منـــزل وكل جميل منك حال منـــــزل

وأنت بقلبي دائما كيف ترحـــــل ولو سرت من قلبي فقل أين تنزل

والشعر الصوفي يمثل أصدق تمثيل أحوال الصوفية ومبادئهم التي كانوا يأخذون أنفسهم، وللصوفية أحوال ومقامات ومجاهدات للنفس يصلون في نهايتها إلى معرفة الإلهية وهي غاية الغايات عندهم.[2]

في هذا وذاك–وكل ما ذكر– نرى أن لهؤلاء الزهاد أقوال مأثورة تمتلئ بها وبأخبارهم كتب الأدب وكتب التراجم، وقد نشأ عن الزهد نزعة التصوف فالزهد هو السلم الطبيعي للتصوف، والتصوف مرحلة تالية من مراحل الزهد في الدنيا، وقد أصبح التصوف طريقا واضحا قد سلكه عدد كبير من المتصوفين الذين ملأت قلوبهم محبة الله وتشوقوا إلى ذاته العلية فأقبلوا عليه بكل جد وإخلاص.

[1] – ابن عربي، رسائل ابن عربي، شرح مبتدأ الطوفان ورسائل أخرى، شرح: محمد عباس، وحسين محمد عجيل، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط:1، 1998م، ص ص: 343–344.

[2] – علي جميل مهنا، الأدب في ظل الخلافة العباسية، ص: 172.

# المحاضرة التاسعة: شعر الحماسة

## أولا: مفهوم شعر الحماسة

### 1-الحماسة لغة:

جاء في لسان العرب: «رجل أحمس شجاع، والأحمس: الشديد الصلب في الدين والقتال، وعام أحمس وسنة حمساء أي شديدة، والحماسة المنع والمحاربة والتحمس التشدد».[1]

### 2-شعر الحماسة:

موضوع الحماسة من الموضوعات الواصفة لحياة القبائل العربية وأيامها ومعاركها، وما يتبعها أو يسبقها من أحداث وهي مدار معانيهم، ونظرا لطابع الحياة العربية في شبه الجزيرة، فقد كانت في طليعة الفنون الشعرية التي انتشرت بين الجاهليين وأقربها إلى نفوسهم، فلا تكاد تخلو منها قصيدة لهم وخاصة المعلقات وشعر الصعاليك والشعر الذي نظم أيام المعارك الجاهلية، كما عرفت في العصر الأموي بسبب الصراع الذي نشأ بين معاوية وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه[2]، وفي هذا يقول الباحث يحي الجبوري: «وحين قامت الحرب بين علي ومعاوية، كان الشعر من أسلحة الحرب، تهاجى به الفريقان المتقاتلان، وأثار الشعراء همم الجنود، وجادلوا فيه خصومهم، وإن القبائل المتحاربة كانت تجد في إحياء تراثها من الشعر الجاهلي، تروية وتذيعه، لأن فيه محامد القبيلة وأمجاد آلائها، كما أنها كانت تقف على مثالب خصومها وما قبل فيهم من هجاء في الجاهلية والإسلام».[3]

ومن أنواع شعر الحماسة لون سمي: المصنفات، وهو مجمل القصائد التي يذكر فيها الشاعر إنصاف شجاعة الخم، وقوته وصبره وبلائه، لذلك عرف هذا الشعر بشعر الإنصاف، وهذا النوع ذكره عبد القادر البغدادي في خزانة في الأدب، حيث يقول: «وللعرب

---

[1] – ابن منظور، لسان العرب، طبعة جديدة محققة، دار صادر، بيروت–لبنان، ط:4، 2005م، مج: 4، مادة (حمس).

[2] – سعاد ترشاق، محاضرات في النص الأدبي القديم، ص: 127.

[3] – يحي الجبوري، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، مؤسسة الرسالة، بيروت–لبنان، ط:5، 1407هـ–1986م، ص: 142.

قصائد قد أنصف قائلوها أعداءهم وصدقوا عنهم وعن أنفسهم فيما اصطلوه من حر اللقاء وفيما وصفوه من أحوالهم في أمحاض الإخاء قد سموها المنصفات»[1]، كما جمعها عبد المعين الملوحي في كتاب سماه (شعر الإنصاف) طبع بدمشق سنة 1967م.

ولما جاء الإسلام ترسم العرب مثلا عليا مختلفة في التشريع، وتوجهوا إلى سبل مغايرة في الحياة، ومعاني جديدة للبطولة، إذ صارت لها بواعث غير بواعث السلب والنهب والإغارة، وإنما في سبيل نشر الدين، كما تشهد عليه أشعار المجاهدين في المعارك، «فالحماسة الإسلامية هادفة تريد خدمة الدين الحنيف الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ومن هنا ترى أن الإسلام صحح مسيرة الحماسة وجعلها في سبيل الله».[2]

وفي العصر العباسي صار للحماسة حضور قوي إذا اقترنت بأسماء شاعرين من كبار شعراء العرب كابي تمام والمتنبي اللذان عاصرا فترة الصراع العربي الروماني، والمعارك التي قادها سيف الدولة الحمداني، ومن نماذجه قول المتنبي مفتخرا بما حققه بطله من انتصار مذكرا بشجاعته.[3]

وقفت وما في الموت شك لواقـــف كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمـــــة ووجهك صاح وثغرك باســـم
بصرب أتى الهامات والنصر غائب وصار إلى اللبات والنصر قادم
نثرتهم فوق الأحيـــدب نثـــــرة كما نثرت فوق العروس الدراهم

وقول أبو تمام في فتح عمورية:[4]

يا يوم وقعة عمورية انصرفـــت عنك المنى حفلا مسعولة الحلـب
غادرت فيها بهيم الليل وهو ضحى يشله وسطها صبح من اللهـــب

[1] – ينظر: عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة–مصر، ط:4، 1418هـ–1997م، 517/3.

[2] – السيد عبد الحليم محمد حسين، الفخر والحماسة في الشعر العربي، شبكة الألوكة، تاريخ النشر: 2012/02/27م، 1433/04/04هـ، مقال في الإنترنيت: www.alukah.net.

[3] – ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت–لبنان، 1403هـ–1983م، ص: 387.

[4] – ديوان أبي تمام، شرح الخطيب التبريزي، تق: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت–لبنان، 35/1–36.

حتى كأن جلابيب الدجى رغبـــت عن لونها، أو كأن الشمس لم تغب

**ثانيا: معاني وموضوعات شعر الحماسة**

من المعاني التي تتردد فيها:[1]

**1-تسبي النساء:**

حيث يقوم الشاعر بالفخر بسبي نساء العدو أو بتحرير نسائهم من السبي لمكانة المرأة في المجتمع العربي، ومن ذلك قول طفيل العتوي:[2]

فنحن منعنا يوم حرس نساءكم غداة دعاناة عامر غير مؤثلي

رددنا السّبايا من نفيل وجعفـر وهن حبالى من مضف ومثقل

كما قد يأتي الحديث عن المرأة كطرف في المعركة إذ تشارك فيها مشجعة أو محرضة كقول عمرو بن معد يكرب الزبيدي متحدثا عن نساء قومه:[3]

**2-الفخر:**

ويعد من أكثر المواضيع قربا من الحماسة، ومنه قول عمرو بن كلثوم:[4]

نطاعن من تراخى الناس عنا ونصرب بالسيوف إذا غشينا

بسمر من قنى الخط لـــــدن ذوابل أو يبيض يعتلينـــــــا

نشف بها رؤوس العدو شقـا ونخليها الراقب فيختلينـــــا

كما يتم الفخر بوصف المعارك والجيوش، فيكثر الشاعر من ذلك تأكيد على شجاعته أو شجاعة الجماعة التي ينتمي إليها، ودليل ذلك كثير في معلقات الجاهليين خاصة معلقة عنترة، ومثال ذلك قوله: [5]

ومدجج كره الكماة نزالـــــه لا ممعن هربا ولا مستسلـــم

---

[1] – سعاد ترشاق، محاضرات في النص الأدبي القديم، ص ص: 130-131.

[2] – ديوان طفيل الغنوي، شرح الأصمعي، تحق: حسان فلاح أوغلي، دار صادر، بيروت-لبنان، ط:1، 1997م، ص: 92.

[3] – يحي الجبوري، الشعر الجاهلي، ص: 297.

[4] – أبو زكرياء يحي بن علي التبريزي، شرح المعلقات العشر، ص: 229.

[5] – المرجع نفسه، ص ص: 220-221.

جات يداي له بعاجل طعنة يمثقف صدق الكعوب مقـوم

فشككت بالرمح الأصم ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم

**ثالثا: تدوين جمع شعر الحماسة**

وممن ألف في الحماسة نجد:[1]

**1-حماسة أبو تمام*:**

صاحبها من أشهر الشعراء في الصعر العباسي، وهو حبيب بن أوس الطائي، عرف برواية الأدب وبملازمة العلماء، فتعددت جوانب ثقافته بين عربية ويونانية وفارسية، وقد انعكس ذلك على حماسته.

فالحماسة جزء من مؤلفاته وباب من أبوابه، وقد تميز جمعه بما يلي:

أ- اعتماده على الذوق في الاختيار، فقلما يثبت قصيدة كاملة، بل يختار معظمها أو أقلها محتكما في ذلك إلى ذوقه الشخصي.

ب- أباح لنفسه التصرف أحيانا في الشعر، كأن يستبدل لقطا بآخر، أو عبارة بأخرى.

ج- جمع أبو تمام المختارات الشعرية في عشرة أبواب، هي: باب الحماسة، باب المراثي، الأدب النسيب، الهجاء، المديح، السير، الملح، مذمة النساء.

ويدعم هذا التقسيم ذوق أبي تمام فكان: «أقرب إلى حال الشعر العربي، ولا غرو في ذلك، فأبي تمام شاعر في طليعة شعراء المعاني، وقد غدا في كتابه رائد من ألفوا وصنفوا

[1] - سعاد ترشاق، محاضرات في الأدب القديم، ص ص: 131-132.

* - أبو تمام: هو تبيب بن أوس الطائي، ولد بقرية جاسم بقرب دمشق على الطريق منها إلى طبرية، قيل أنه ولد سنة 172هـ آأو 182هـ أو 192هـ، نشأ بدمشق وأن أباه كان عطارا فيها، اتجه إلى بعض اليمنيين والطائيين في بلدته، ثم اتجه إلى مصر يقوم على شرطتها وخراجها، وشعره زاخر بما يدل على أنه انقض على معارف عصره انقضاضا حتى تمثلها تمثلا دقيقا، وخاصة التاريخ وعلم الكلام، وما يتصل به من الفلسفة والمنطق، ينظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة-مصر (د.ط، د.ت)، ص ص: 268، 276.

في المختارات على حسب المعاني الشعرية»[1]، ويبلغ مجموع هذه الحماسات ثمانمائة وواحد وثمانون حماسة.[2]

ومن نماذج حماسته في باب الحماسة قول الشاعر:[3]

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي بنوا اللقيطة من ذهل بن شيبانا

إذا لقام بنصري معشر خشـــن عند الحفيظة إن ذو لوثة لانـا

قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهـم طاروا إليه زرافات ووجدانـــا

لا يسألوا أخاهم حين يندبهـــم في النائبات على ما قال برهانا

**2-حماسة البحتري*:**

ألفها أبو عبادة الوليد بن عبيد البحتري، وتعد «مصرا مهما من مصادر التراث الأدبي عند العرب، لما اشتملت عليه من مادة شعرية نادرة لم تتوفر إلا فيها، وما حشد فيها من أسماء شعراء لم نعرف كثيرا منهم، إلا من خلالها، وبالمنهج الذي اتبعه البحري في الاختيار والتبويب الذي انفرد به بين أصحاب الاختيارات الشعرية».[4]

وهي من الكتب التي صنفت على أساس معاني الشعر فوصل عدد أبوابه مائة وأربعة وسبعين بابا، وتعد دليل تأثر صاحبه بحماسة أبي تمام وشهرتها واستحسانها.

---

[1] – عمر الدقاق، مصادر التراث العربي في اللغة والمعاجم والأدب والتراجم، منشورات كلية الآداب، جامعة حلب-سوريا، ط:5، 1977م، ص: 54.

[2] – المرجع نفسه، ص: 55.

[3] – أبو تمام، ديوان الحماسة، شرح الخطيب التبريزي، كتب حواشيه وفهارسه غريد الشيخ أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط:1، 1421هـ-2000م، 1/15-19.

* – البحتري: هو أبو عبادة الوليد بن عبيد البحتري الطائي، ولد سنة 206هـ بمدينة منبج شرق حلب، لأبوين فقيرين ينحدران من بحتر إحدى بطون قبيلة طيئ المشهورة، عاش طفولته في منبج وفي باديتها، وكان يتردد على حلب كثيرا حيث مظاهر الحضارة والمدينة، فطلف حسه وتهذب طبعه، فكان عربي اللهجة رقيق القول، ولم يعرف عنه أنه جلس إلى العلماء، ودرس الفلسفة أو المنطق أو غيرهما من العلوم، قال فيه الآمدي: «البحتري أعرابي الشعر، مطبوع، وعلى مذهب الأوائل ما فارقه، عمود الشعر قط، وكان يتجنب التعقيد ومستكره الألفاظ ووحشي الكلام»، ينظر: علي جميل مهنا، الأدب في ظل الخلافة العباسية، جامعة القاضي عياض، مراكش-المغرب، ط:1، 1981م، ص ص: 281-283.

[4] – أبو عبادة الوليد بن عبيد البحتري، الحماسة، تحق: محمد إبراهيم حور، وأحمد محمد عبيد، هيئة أبو ظي، المصدر للثقافة والتراث المجمع التراث المجمع الثقافي، 1428هـ-2007م، ص: 05.

وقد اقتصر فيها على الشعر القديم ما عدا مقطوعات لشعراء محدثين أمثال بشار ابن برد، ومطيع بن إياس، وصالح بن عبد القدوس، ممن أدركوا العصر العباسي[1]، وتتميز بالتفصيل الشديد، ومن أبوابه: باب فيما قيل في حمل النفس على المكروه، باب فيما قيل في الفتك، باب في ركوب الموت خشية العار، باب في ذم الفرار والتعبير به، باب في نبو السيف، باب في إغاثة الملهوف[2]، ومن ذلك يقول ضابئ بن الحارث البرجميّ:[3]

هممت ولم أفعل وكدت وليتنـــي فعلت فكان المعولات حلائله

وما القتل ما شاورت فيه ولا الذي تخبّر من لاقيت أنك فاعلــه

**أ-بين البحتري وأبي تمام:** لما ظهر أبو تمام وكان صاحب مذهب جديد في الشعر، انقسم النقاد بين متعصب له ومتعصب عليه، ولما جاء البحتري تعصب له قوم وفضلوه على أبي تمام، ومنهم من تعصب لأبي تمام وفضله على البحتري، ومنذ ذلك الوقت والنقاد منقسمون بين هذا وذاك، فقد شغل الشاعران النقاد قديما وحديثا، فكانت الموازنة بينهما، والدفاع عن أحدهما مجالا رحبا لمؤلفات كثيرة على مصر العصور.[4]

وأول كتاب نقدي قديم تضمن موازنة منهجية بين شعره وشعر أبي تمام، مستهدفة الكشف عن أخطاء تضمنها شعرهما، وبيان خصائص فنية دالة على جودة بعض أبياتهما الشعرية، هو الموازنة بين أبي تمام والبحتري لأبي القاسم الحسن بن بشر بن يحي الآمدي.[5]

وأهم ما قيل في الموازنة بين هذين الشاعرين:[6]

أ- أبو تمام شاعر معان، والبحري شاعر ألفاظ وأساليب.

---

[1] – المصدر نفسه، ص: 07.

[2] – عمر الدقاق، مصادر التراث العربي في اللغة والمعاجم والأدب والتراجم، ص ص: 62-64.

[3] –

[4] – علي جميل مهنا، الأدب في ظل الخلافة العباسية، ص: 285.

[5] – ينظر: بوجمعة جمي، ظاهرة الحذف في شعر البحري، دراسة بلاغية إيقاعية، كلية الآداب، جامعة ابن زهر، أكادير، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء-المغرب، ط:1، 1424هـ-2003م، ص: 114.

[6] – علي جميل مهنا، المرجع السابق، ص: 286.

ب- معاني أبي تمام المبتكرة كثيرة متعمقة، ومعظم معاني البحتري قديمة مصوغة في ثياب جديدة، وهي قريبة التناول مكررة في أغلب قصائده.

ج- في أسلوب أبي تمام غموض وتعقيد وكنايات خفية غالبا، والبحتري واضح كل الوضوح.

د- أبو تمام يفرط في اصطناع البديع، والبحتري يتناول منه القليل اللائق.

هـ- أبو تمام شاعر الخاصة الذين يعنون بالمعاني المركزة، والأفكار المعقدة المولدة، والبحتري شاعر العامة ومطرب الخاصة.

و- أبو تمام حكيم يصطنع الفلسفة، والبحتري شاعر مطبوع.

كما ذكر الآمدي في الموازنة أنه: «ليس الشعر عند أهل العمل به إلا حسن التأتي وقرب المأخذ واختيار الكلام ووضع الألفاظ في مواضعها، وأن يورد المعنى باللفظ المعتاد فيه المستعمل في مثله، وأن تكون الاستعارات والتمثيلات لائقة بما استعيرت له وغير منافرة لمعناه، فإن الكلام لا يكتسي البهاء والرونق إلا إذا كان بهذا الوصف، وتلك طريقة البحتري»[1]، فالبحتري هو البليغ، لأن: البلاغة إنما هي إصابة المعنى وإدراك الغرض بألفاظ سهلة عذبة مستعملة سليمة من التكلف، وتلك هي طريقة العرب.

### 3-حماسة ابن الشجري:

هو الشريف الدين، أبو السعادات، هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة بن علي بن عبد الله بن أبي الحسن بن عبد الله الأمين بن عبد الله بن الحسن ابن جعفر بن الحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ولد سنة 450هـ وتوفي سنة 542هـ، عرف بالنحو واللغة والأدب.[2]

[1] - الطاهر الهمامي، الشعر على الشعر-بحث في الشعرية من منظور شعر الشعراء على شعرهم، إلى القرن 5هـ-11م، تق: محمود درابسة، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، 2009-2010م، (د.ط)، ص: 239.

[2] - هبة الله بن علي بن حمزة العلوي الحسني ابن الشجري، الحماسة الشجرية، تنسيق وفهرسة: الشويحي، تحق: عبد المعين الملوحي وأسماء الحمصي، مكتبة الدكتور مروان العطية، دمشق-سوريا، 1970م، القسم الأول، ص ص: أ-ب.

والحماسة الشجرية كغيرها من الحماسات تتكون من أبواب تسعة وهي:[1]

أ- باب الشدة والشجاعة.

ب- باب اللوم والعتاب.

ج- باب المراثي.

د- باب المديح.

هـ- باب الهجاء.

و- باب الأدب.

ز- باب النسيب في الارتياح عند هبوب الرياح، في الاشتياق عند لمعان البروق في النزاع عند نوح الحمام، في الطيف والخيال.

ح- باب الصفات والتشبيهات:

- صفات النساء: فصل في طيب النكهة وعذوبة الريق.
- فصل في طيب الريح.
- فصل في وصف العين والنظر.
- فصل في حسن الحديث وطيبه.
- في وصف المضاجعة وشدة الالتزام.
- وصف النار.
- وصف الوحش والإبل والركب وأخبية السّفر.
- في وصف الليلة والنجوم والمجرّة والهلال والصبح.
- في وصف الرّياض والمياه والنبات.
- في وصف السّحاب والغيث والبرق.
- صفات آلة الحرب وتشبيهاتها.
- صفات الكتب والخط وآلته.

[1] - المصدر نفسه، ص: ي د- ي هـ.

- صفات الشعر.
- الصفات في الشيب والشباب والخضاب.
- الصفات والتشبيهات الخمرية.
- التشبيهات الغزلية.
- تشبيهات المدح.
- تشبيهات الهجاء.
- تشبيهات وصفات في معان مختلفة.

ط- باب الملح وهو آخر أبواب الكتاب.

**4-الحماسة البصرية:**

ظهرت هذه الحماسة حوالي منتصف القرن السابع الهجري، صنفها صدر الدين ابن أبي الفرج البصري، مصادره هي حماسات أبي تمام والبحتري والخالديين وابن الشجري، وجمع فيها بين القديم والحديث، صنفها على حسب الأغراض منها باب الحماسة وهو أول أبوابها ثم المديح والتقريظ والتأبين والزهد، وتضم نحو ستة آلاف بيت لحوالي خمسمائة شاعر قدم لها بمقدمة موجزة[1]، قال فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين...الحمد لله حمدا يكون لقائله ذخرا والصلاة على نبيه محمد القائل إن من البيان لسحرا، صلاة دائمة على ممر الأيام تترا وعلى آله وأصحابه الذين أخفى بهم نجم الشرك قهرا وقسرا، وأدام الله أيام سيدنا ومولانا الإمام المفترض الطاعة على جميع الأنام أبي أحمد المستعصم بالله أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين:

خليفة يخلف الأنواء نائلـــه إذ تهلل قلت: العارض الهطل

رباعه في جوار الله واسطة وحبله برسول الله متصـــــل

[1] - ينظر: عمر الدقاق، مصادر التراث العربي، ص ص: 70-71، للاستزادة ينظر: صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري، كتاب الحماسة البصرية، مكتبة الخانجي، مصر (د.ط)، (د.ت)، ص: 03.

رضوان الله على آبائه الراشدين والأئمة المهديين»[1]، ثم تحدث عن الشعر على اختلاف معانيه، وأصوله ومبانيه وينقسم إلى نعوت وأوصاف: «فما وصف به الإنسان من الشجاعة والشدة في الحرب والصبر في مواطنها سمي حماسة وبسالة، وما وصف به من حسب وكرم وطيب محتدٍ* سمي مدحا وتقريظا وفخرا، وما أثني عليه بشيء من ذلك ميتا سمي رثاء وتأبينا، وما وصف به أخلاقه المحمودة من حياء وعفة وإغضاء عن الفحشاء ومسامحة زلات الأخلاء سمي أدبا، وما وصف به النساء من حسن وجمال وغرام بهن سمي غزلا ونسيبا، وما وصف به من إيقاد النيران ونباح الكلاب سمي قرى وضيافه، وما وصف به من بخل وجبن وسوء خلق ونميمة سمي هجاء، وما وصف به الأشياء على اختلاف أجناسها خلق ونميمة سمي هجاء، وما وصفت به الأشياء على اختلاف أجناسها وأنواعها سمي نعتا ووصفا وملحا، وما ذكر من الإنابة إلى الله، ورفض الدنيا، سمي زهدا وعظة والله أعلم»[2]، فقد حدد أبو الحسن البصري أغراض الشعر من خلال ما اتصفت به الأشخاص من صفات لذواتهم وما تعلق بهم.

**5-الحماسة المغربية:**

مؤلفها أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي التادليّ وهو شاعر أديب من أشهر أدباء زمانه وأكثرهم صلة برجال الدولة، وبعلماء زمانه، هو من أهل عدوة المغرب، ولكنه استكمل علومه، في الأندلس، وعاش مدة ن عمره فيها، وبإشبيلية كانت وفاته سنة 609هـ، وهو جمع إلى الشاعرية المتمكنة المرعيّة من الدولة آنذاك، القدرة على النفاذ في الحياة الاجتماعية والفكرية والثقافية، وترك علامة مهمة في المكتبة العربية حين ألف كتابه (صفوة

[1] – للاستزادة ينظر: أبو الحسن البصري، كتاب الحماسة البصرية، ص: 03.

* – محتد: المحتد: الأصل والطبع، ورجع إلى محتدي إذا فعل شيئا من المعروف ثم رجع عنه، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، طبعة جديدة محققة، دار صادر، بيروت–لبنان، ط:4، 2005م، مادة (حتد).

[2] – أبو الحسن البصرية، الحماسة البصرية، ص: 05.

الأدب ونخبة ديوان العرب) الذي اشتهر بـ (حماسة الجراوي) و(الحماسة المغربية)[1]، وقد أظهر فيه قدرته على الحفظ والتدقيق، فقد انتقى الكثير من قصائد الشعراء بعناية فائقة لأنها قطعة جديدة أو قصيدة مستقلة، إضافة إلى تنوع مادتها وهذا بسبب إعجاب الدارسين والمؤرخين بها، رغم ما ألف في الحماسة.[2]

يعد الكتاب من جملة كتب الاختيارات الشعرية التي نهضت بمهمة الحفاظ على الموروث الشعري، وأبوابه هي: المدح: وهو في قسمين، قسم منه في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، والثاني: سائر المدح، الفخر، المراثي، النسيب، الأوصاف، الأمثال والحكم الملح، ذم النقائض، والزهد والمواعظ.

واستقر الكاتب أن يلتزم الترتيب الزمني في اختبارات أبوابه، وأن يبدأها بشعراء المشرق ثم شعراء المغرب والأندلس، ومما جاء فيه من أشعار قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم:[3]

ألم تر أن الله أبلى رسوله ... بلاء عزيز ذي اقتدار وذي فصل
بما أنزل الكفار دار مذلة ... فلاقوا هوانا من إسار ومن قتل
فأمسى رسول الله قد عز نصره ... وكان رسول الله أرسل بالعدل
فجاء بفرقان من الله منزل ... مبينة آياته لذوي العقل
فآمن أقوام بذاك وأيقنوا ... فأسموا بحمد الله مجتمعي الشمل
وأنكر أقوام فزاغت قلوبهم ... فزادهم ذو العرش خبلا على خبل
وأمكن منهم يوم بدر رسوله ... وقوما غضابا فعلهم أحسن الفعل

وفي مدحه عليه الصلاة والسلام يقول الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه[1]:

---

[1] – أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجُراويّ التّادليّ، الحماسة المغربية، مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب، تحق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت–لبنان، دار الفكر، دمشق–سوريا، ط:1، 1411هـ–1991م، ص ص: 5–6.

[2] – أبو العباس الجراوي، الحماسة المغربية، ص: 7.

[3] – المصدر نفسه، ص ص: 41–42.

ألم تر أن الله أظهر دينـــــــه على كل دين قبـــل ذلك حائـــد
وأمكنه من أهل مكة بعدمـــــا تداعوا إلى أمر من الغني فاســد
غداة أجال الخيل في عرصاتها مسومة بين الزبير وخالـــــــــد
فأمسى رسول الله قد عزّ نصره وأمسى عداه: من قتيل وشـــارد

لقد حمل شعر الحماسة في طياته الكثير من أخبار العرب وأيامهم وحروبهم كان محط اهتمام عندهم إبداعا وتدوينا ورواية ونقدا.

[1] – المصدر نفسه، ص: 43.

# المحاضرة العاشرة: الشعر السياسي في المشرق والمغرب

## أولا: الشعر السياسي في المشرق والمغرب

لقد لعبت الطوائف والفرق الدينية والمذهبية وكذا الأحزاب السياسية وما دار بينها من جدل إلى بروز هذا اللون من الشعر، وانبرى الكثير من الشعراء متحزبين ومناصرين أحزابهم ومذاهبهم وفرقهم ومؤدين أمراءها، فهم بحاجة إلى هؤلاء الشعراء كي ينصرونهم ويجمعوا حولهم الأنصار.

فجاء الشعر ترجمة لمواقفهم من كل تغيروا اضطراب يظهر على الساحة السياسية من ذلك الأشعار التي ظهرت زمن الصحابة رضي الله عنهم مصاحبة لما ظهر من انشقاق بين المسلمين بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، كالفتنة التي ظهرت زمن الخليفة أبي بكر الصديق عند اختياره خليفة للرسول صلى الله عليه وسلم.

وهذه الطوائف تركت أثرا واضحا في الحياة الأدبية في هذه الحقبة من تاريخ أدبنا العربي.

وبدأ نشاط هذا اللون الشعري في العصر الأموي واشتد في العصر العباسي، تعاظم في ظل الصراعات التي صاحبت قيام دولتهم وانشقاق الناس بين مشجع على قيام دولة ملكية عاصمتها دمشق، وبين مشجع لعودة الخلافة إلى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقام العباسيون خلافتاهم على أنهم أحق الناس بإرث الرسول صلى الله عليه وسلم، ومضوا يحيطون أنفسهم بهالة حتى عند الفقهاء، كانوا يعارضون بني أمية ويعدّونهم ذنيوبين ظالمين ينصاعون انصياعا أعمى للعباسيين ويعدونهم رؤساء شرعيين للأمة من الناحيتين الزمنية والروحية[1]، وأخذت الخصومة تشتد وشكلت فرق كالشيعة والخوارج.

### 1-شعر العلويين والعباسيين:

احتم الصراع بين هذين البيتين الهامشيين العلوي والعباسي، وقد ساهم الشعر بنصيب كبير في إذكاء جذوة هذه الخصومة، فكان صورة صادقة انعكست عليها خلافات هذين

[1] – شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر العباسي الأول، دار المعارف، القاهرة–مصر، ص: 20.

الحزبين، فقد كان لكل حزب فريق من الشعراء يحتجون له، ويدافعون عنه، ويدعون إليه ويسلكون في ذلك كل المبررات التي تؤكد أحقية كل من الحزبين سواء من النواحي الدينية أو السياسية أو الاجتماعية، وشعراء العلويين يعتبرون امتدادا لشعراء الشيعة الذين كانوا يدعون إلى أحقية البيت الهاشمي في الخلافة وفي ميراث النبي صلى الله عليه وسلم.[1]

ومن كثر هؤلاء الشعراء ذكرا وأعظمهم أثرا في هذا العصر نذكر:[2]

أ-**السيد الحميري:** هو أبو هاشم إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ (ت173هـ)، شيعيا غاليا، وهو من مخضرمي الدولتين، كان أبواه إباضيين، وأنهما حينما علما بمذهبه هما بقتله وسئل عن التشيع من أين وقع له، قال: «غاصت علي" الرحمة غوصا...».

وكان كثير الشعر جيده، ولكن ضاع أكثر شعره، وحمل ذكره، وهجر الناس شعره لأنه أكثر فيه من سب أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

قال عنه أبو الفرج الأصفهاني: «كان شاعرا متقدما» وجعله في طبقة بشار وأبي العتاهية، وذهب إلى أنه: «لا يعلم أن أحدا قدر على تحصيل شعر أحد منهم أجمع».

وبالرغم من مكانته الكبيرة، إلا أن ذكره لما كان يفرط فيه من سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه في شعره ويستعمله من قذفهم والطعن عليهم فتحومي شعره من هذا الجنس.

وللسيد الحميري، قصائد طوال في فضائل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورثاء الحسين وذكر حادثة "ضُمْ" وهو غدير بين مكة والمدينة، وقد زعمت الشيعة أن النبي صلى الله علسه وسلم يوم غدير "ضم" أوصى لعلي بالولاية وأخذ بيده، وقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه».

وفي ذلك يقول السيد الحميري:

---

[1] - علي جميل مهنا، الأدب في ظل الخلافة العباسية، ص: 146.

[2] - ينظر: المرجع نفسه، ص ص: 146-148.

إذا أنا لم أحفظ وصاة محمـــــد ولا عهد يوم الغدير المؤكدا

فإني كمن شرى الضلالة بالهدى تنصر من بعد التقى وتهودا

ومما قاله في تفضيل علي كرم الله وجهه:

أقسم بالله وآلائـــــــــــــه والمرء عما قال مسؤول

أن علي بن أبي طالـــــــــب على التقى والبر محيول

ويروى أنه كان يأتي الأعمش وهو سلمان بن مهران الأسدي من التابعين العالمين بالقرآن والحديث حيث كان يروي نحو ألف وثلاثمائة حديث ت148هـ، فيكتب عنه فضائل علي رضي الله عنه وتخرج من عنده، ويقول في تلك المعاني شعرا.

ويروى أنه وقف يوما بالكوفة وقال: «ما أتاني بفضيلة لعلي بن أبي طالب ما قلت فيها شعرا فله دينارا».

قال في علي رضي الله عنه وفي أبنائه الحسن والحسين:

ألا إن الأئمة من قريـــش ولاة الحق أربعة ســـواء

علي والثلاثة من بنيـــــه هم أسباطه والأوصيـــاء

فسبط سبط إيمان وحلـــم وسبط غيبته كربـــلاء

وسبط لا يذوق الموت حتى يقود الخيل يقدمها اللواء

وتذكر المصادر أن السيد الحميري وإن كان شيعيا غاليا فإنه مدح آل بني العباس، ذلك لأنهم أخذوا بالثأثر من الأمويين ولأنهم فرع من البيت الهاشمي، وربما كان ذلك أيضا تخوفا وتوقيا، أو منم قبيل الرعية والرهبة «فإنه قد استطاع أن يكون علويا متطرفا وعباسيا معتدلا، واستطاع في وقت واحد، فكان من أشد الناس إخلاصا لآل علي يجهر بذلك ويعلنه ولا يتحرج منه، وكان في الوقت نفسه مسرورا بفوز بني العباس لا لأنهم فازوا على العلويين، بل لأنهم يمقلون بني هاشم الذين فازوا على الأمويين، كان يجمعه إلى أنصار بني العباس الفرح بسقوط الأمويين، وكان يعلن هذا الفرح وينتظر أن يأتي يوم آل علي، وهو لا ينتظر هادئا ولا صامتا وإنما كان يبث الدعوة لآل علي ويبذل في ذلك من الجهد والقوة ما استطاع،

ثم لم يكن فرحه بسقوط الأمويين وحده هو الذي يدنيه من بني العباس، وإنما كان هناك شيء آخر يدنيه منهم وهو الرغبة والرهبة، وكان يطمع في أموال بني العباس ويفيد منها غير قليل، وكان يخشى بطشهم فيتقيه بالقصيدة يمدح بها آل العباس بين القصائد الطوال الكثيرة يشيد فيها بآل علي»:

دونكموها يا بني هاشـــــم فجددوا من عهدنا الدارسا

دونكموها لا علا كعب من كان عليكم ملكها نافســـا

دونكموها فالبسوا تاجـــــها لا تعدموا منكم لها لا بسا

لو خير المنبر فرسانـــــه ما اختار إلا منكم فارسـا

قدساسها قبلكم ساســـــــة لم يتركوا رطبا ولا يابسـا

ولست من أن تملكوها إلى مهبك عيسى فيكم آيسـا

وللسيد الحميري طراز من الشعر ومذهب قلما يحلق به أو يقاربه، فهو شاعر مطبوع لا يتصنع ولا يتكلف في كلامه، وقد عده كثير من النقاد والأدباء من الشعراء القلائل الذين بلغوا الغاية في هذا العصر، حيث قال فيه الأصمعي: «قاتله الله ما أطبعته وأسلطه لسبيلا الشعراء، والله لولا ما في شعره من سب السلف لما تقدمه من طبقته أحد».

وسئل أبو عبيدة: من أشعر المولدين؟ قال: السيد وبشار ولم يكن السيد الحميري يستعمل الغريب من الكلام، ولا الحوشي من الألفاظ في شعره، كما أنه لم يستعمل الألفاظ العامية، ولا الكلمات المبتذلة، بل إنه كان ينتقي الألفاظ الواسطة بين هذين وتلك مع جزالتها وقوة تعبيرها، وسئل مرة: مالك لا تستعمل في شعرك في الغريب ما تسأل عنه، كما يفعل الشعراء؟ قال: لأن أقول شعرا قريبا من القلوب يلذه من سمعه خير من أقول شيئا معقدا تضل فيه الأوهام.[1]

**ب-دعيل الخزاعي:** هو دعيل بن علي بن رزين ولد في الكوفة سنة 148هـ، وأمضى شبابه في الكوفة، ثم رحل إلى بغداد وأقام بها، وهو تلميذ مسلم بن الوليد كان بذيء

[1] - علي جميل مهنا، الأدب في ظل الخلافة العباسية، ص: 150.

اللسان مولعا بالهجو، اتصل بالرشيد وأجرى عليه رزقا، وتقلد مناصب كثيرة، قتل سنة 246هـ بسبب هجائه مالك بن طوق الثعلبي، وكان شاعرا مجيدا، كانت وفاته بالطيب، وفي بلدة واسط العراق وكور الأهواز.[1]

وهو أحد أعلام شعراء الشيعة مدحوا آل البيت، فكان مستبسلا في الدفاع عن عقيدته المذهبية، وفي الولاء آل البيت، وفي الإيمان بحقهم في الخلافة، وكان شاعرا هجاء خبيث اللسان فقد أكثر من هجاء خلفاء بني العباس وغيرهم من رجال عصره.[2]

كما يذكر الباحث محمود علي مكي أن معظم شعره ضاع، وذلك لسببين: أولهما:

-أنه كان من غلاة الشيعة كثير الوقوع في الصحابة مما جعل الأوساط الأدبية تتجنب رواية شعره، والثاني: خبث لسانه وكثرة هجائه، ونيله في الأعراض.[3]

-**شعره:** ومن أشهر شعره هو تائيته الكبرى المشهورة في مدح آل البيت وبكاء مصارعهم وهي تقع في سبعة وخمسين بيتا، لكن مع تعاقب الأجيال جيلا بعد جيل زيد في عدد أبياتها حتى وصلت في بعض المصادر المتأخرة إلى مائة وأربعين بيتا، ومطلعها:[4]

مدارس وآيات خلت من تـــلاوة ومنزل وحي مقفز العرصات

لآل رسول الله بالخيف من منى وبالركن العريف والجمـــرات

هم أهل ميراث النبي إذا اعتزوا وهم خير قادات وخير حماة

وأهميته هذه القصيدة ترجع إلى ما فيها من التحزن والتفجع، وهي لذلك تعتبر من خير ما قيل في الانتصار لأهل البيت، وفيها فوق ذلك تصريح عن عقيدة الشيعة في الإمام المنتظر الذي يؤمن دعبل بأنه خارج لا محالة، وأنه يقوم على اسم الله والبركات.[1]

---

[1] – أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن علي بن خلكان، وفيات الأعيان وأبناء الزمان، تحق: يوسف علي طويل، مريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط:1، 1419هـ، 225/2–229.

[2] – حكيمة بوشلالق، استنساخ نص الميح النبوي من التأسيس إلى اكتمال النموذج، أطروحة دكتوراه علوم في الأدب العربي، جامعة محمد بوضياف، المسيلة–الجزائر، 2016–2017م، ص: 103.

[3] – محمود علي مكي، المدائح النبوية، الشركة المصرية العالمية، لونجمان، مصر، ط:1، 1991م، ص: 74.

[4] – شعر دعبل بن علي الخزاعي، صنفه، عبد الكريم الأشتر، دمشق–سوريا، ط:2، 1983م–1403هـ، ص ص: 78–79.

وفي نفس الشاعر شيء من الشر، إذ يهجو الأمة كلها فيتهمها بمعاداة الرسول وآله، انتقاصا لما وقع على المشركين من معارك بدرا، وخيبر، وحنين، وكأن أمة الإسلام مسؤولة عن مصارع من خرج من أئمة العلويين، وهو يرمز إلى هؤلاء المواضع التي قبروا فيها، ويحتم ذكرهم بسيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي قتيل كربلاء ويعبر عن تجنبه زيارتهم خوفا مما قد يتعرض له من عقوبة، فيقول:[2]

وما النـــــاس حاســد ومكـــــذب ومضطغن ذو إحنة وتـــراث
إذ ذكروا قتلـــــى ببدر وخيبـــــر وقد تركوا أحشاءهم وغـــرات
لقد لا ينوه في المقـــــال واضمـروا قلوبا من الأحقاد مطويـــات
قبور بكوفان وأخـــــرى بطيبـــــة وأخرى بفخ نالها صلواتـــي
وقبر بأرض الجـــــوزجان محلـــه وقبر بباخمرا لدى العرمـــات
وقبـــــر ببغداد لنفـس زكيـــــة تضمنها الرحمن في الغرفـات
وقبر بطـــــوس يا لها من مصيبـة تردد بين الصدور والحاجبات
إلى الحشـــــر حتى يبعث الله قائما يفرج منها الهم والكربـــات
نفوس لدى النهريين من أرض كربلاء معرسهم منها بشط قـــرات
أخاف بـــــأن أزدارهم ويشـــوقني معرسهم بالجذع من نخـلات
تقسمهـــــم ريب الزمـــان فما ترى لهم عقوة مغشية الحجـــرات

يبدو أن دعبلا قد وظف في هذه المقطوعة الكثير من الأماكن وذكر أسمائها وهي تدل على قبور العلويين منها: كوفان، اسم الكوفة، وبها قبر علي رضي الله عنه، وطيبة: اسم مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وبها قبور فاطمة رضي الله عنها بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، وابنها الحسين بن علي، وعلي زين العابدين بن الحسين، ومحمد بن عبد الله بن الحسن الملقب بالنفس الزكية، الجوزجان: من كور بلخ بخرسان، وبها قبر يحي بن زيد

[1] – زكي مبارك، المدائح النبوية، ص: 136.

[2] – ديوان دعبل الخزاعي، ص ص: 80-81.

بن علي زين العابدين باخمرا: موضع قريب من الكوفة، وبه قبر إبراهيم بن عبد الله بن الحسن، طوس: مدينة بخراسان دفن فيها الرشيد، وإلى جواره دفن الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم.[1]

وبالرجوع إلى شعر دعبل الخزاعي عموما لا تكاد ترى في قصائده الشيعية حديثا مطولا عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو عن غزواته، ذلك أنه هو ومعظم شعراء الشيعة لا يهتمون إلا بآل البيت من نسل علي رضي الله عنه وحديثهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم عارض فقط يأتي مقدمة وتمهيدا لكلام عن فضائل آل البيت.

**ج-الكميت الأسدي:** ولد الكميت بن زيد بالكوفة سنة ستين للهجرة وبعض من ترجموا له لا يعينون سنة مولده، وإنما يقولون ولد أيام مقتل الحسين، ليشيروا إلى أنه جاء إلى الدنيا في أيام الأحزان العلوية، وأنه جاء بقصائد الهاشميات يستشفي الأحزان التي حلت بالعالم الإسلامي يوم جاء إلى الوجود[2]، وهي تعد -الهاشميات- أقوى ما نظمه شاعر شيعي في عصر بني أمية، وتتميز بصدف العاطفة، وبراعة الاحتجاج لحق آل علي في الخلافة.[3]

أما حبه لآل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه يعبر عنه في حرارة وإخلاص، تشهد لها هذه الأبيات الأولى من بائيته المشهورة.[4]

طيت وما شوقا إلى البيت أطرب ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب

ولم يلهني دار ولا رسم منـــــزل ولم يتطرّبني بنان مخضـــــب

ولا الساحات البـــــارحات عشية أمر تسلم القرب أم مر أغضب

ولكن إلى أهل الفضائل والتقـــى وخير بني حواء والخير يطلب

إلى النفر البيض الذي بحبهـــم إلى الله فيما نابنـي أتقـــــرب

---

[1] - ينظر: محمود علي مكي، المدائح النبوية، ص: 76.

[2] - المرجع نفسه، ص: 78.

[3] - المرجع نفسه، ص: 61.

[4] - زكي مبارك، المدائح النبوية في الأب العربي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت-لبنان، (د.ط، د.ت)، ص: 81.

بني هاشم رهط النبـــي فإنـــني بهم ولهم أرضى مرارا وأغضب
خفضت لهم مني جناحي مــودة إلى كنف عطفاه أهل ومرحــب
وكنت لهم من هؤلاء وهـــؤلاء محنا على أني أذم وأقصـــب
وأرمي وأرمي بالعداوة في أهلـــها وإني لأوذي فيهـــم وأؤنـــب

فهو يجادل بني أمية في ادعائهم ميراث الرسول صلى الله عليه وسلم بحكم كونهم من قريش، فيقول: إذا كانت الخلافة حقا وراثيا، فالهاشميون نسبا إلى الرسول من بني أمية، أما من يحتجون بأن الخلافة لا تورث، فإنه لوضح ذلك-كما يقول محمود علي مكي- لكان من حق أي قبيلة عربية تطالب بها حتى تلك البعيدة عن نسب الرسول صلى الله عليه وسلم.

كما أن حبه للرسول صلى الله عليه وسلم وأهله أقوى ما عرف من عواطف الشعراء لذلك العهد، وهو في حبه هذا يمثل الروحانية أصدق تمثيل، حيث نراه يتغنى بحب الرسول وأهل بيته في أيام كان مدح الرسول فيما يعرض الشاعر لغضب بني أمية، لأنهم كانوا يرون في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم تزكية للهاشميين، وكان الكميت يصرح بأن الخلافة لا يصلح لها إلا أهله الأقربون.[1]

ملاحظة: هناك الكثير من الشعراء الشيعيين والعباسيين المنتصرين لأحزابهم ومذاهبهم المجاهرين بولائهم لأجل الحكم والخلافة مبثوثة في ثنايا الكتب ومصادر الأدب، لا يتسع المقام لذكر أمثال: الشاعر الشريف الرّضي، والشعر ديك الجن...ومهيار الديلمي...وغيرهم.[2]

**2-خصائص شعر العلويين والعباسيين:**

يتميز شعرهما بالخصائص التالية:[3]

[1] - زكي مبارك، المدائح النبوية، ص: 91.

[2] - للاستزادة ينظر: زكي مبارك، المدائح النبوية، ص: 150، ومحمود علي مكي، المدائح النبوية، ص: 74 وما بعدها، وعلي جميل مهنا، الأدب في ظل الخلافة العباسية، ص ص: 152-158.

[3] - علي جميل مهنا، الأدب في ظل الخلافة العباسية، ص: 158.

أ- أنه كثر فيه الدعاوي والاحتجاج واستخدام الأدلة والبراهين.

ب- أن هذا الشعر يمتاز بقوة الجدل، وجزالة الأسلوب، وصدق العاطفة وخاصة عند العلويين.

ج- أن الشعر الطالبي يعتبر امتدادا لشعر الشيعة في العصر الأموي، وإن تغيرت فيه أوضاع أصحابه، فصار داخل البيت الهاشمي بعدما كان بين الهاشميين والأمويين.

د- أن شعر الطالبيين تبدو فيه عاطفة الحزن والثورة، فلا تكاد قصيدة أو مقطعة تخلو من نبرة الحزن والبكاء على آل البيت، وما آل إليه مصيرهم.

هـ- أن حب علي وبنيه رضي الله عنهم، وحب آل البيت قد ظهر في هذا الشعر بصورة جلية على نحو ما نراه في مرثية دعبل لوالده أحمد حيث يتأسى فيها النبي صلى الله عليه وسلم، ويجعلهم أعز عليه من نفسه، حيث يقول:[1]

ولولا التأسي بالنبي وأهلـــه لأسبل من عيني عليه شؤون

هو النفس إلا أن آل محمد لهم دون نفسي في الفؤاد كمين

**3-شعر الخوارج:**

هذا اللون من الشعر زهدي ثوري جامح، يقدس الإنسان الخارجي تقديسا عميقا، لأن كل إنسان ذهب في سبيل العقيدة يعد شهيدا، فهو المثل الأعلى في نظر أصحابه بعد استشهاده، وهو الذي يستحق الرثاء والبكاء مثلما أن الجماعة الخارجية هي العصبة المثالية التي تمثل الحق، فهي إذن تستحق المدح والثناء، ومن ثم كان موضوع هذا الشعر هو الإنسان-الإنسان الخارجي على وجه التحديد- والمحرك الداخلي فيه هو روح التقوى المتطرقة، فهو لذلك أدب قوي يزيد من قوته شدة التلازم بين المذهب الأدبي والحياة العملية، ويقترن فيه الصدقان: الصدق الفني والصدق الاجتماعي.[2]

[1] - ديوان دعبل الخزاعي، ص: 151.

[2] - إحسان عباس، شعر الخوارج، دار الثقافة، بيروت-لبنان، أوت 1923م، (د.ط)، ص: 03.

وقد ترك فيه موضوع الموت لونا حزينا ونغمة حزينة، ولكنه لم يسلمه إلى يأس مطلق؛ لأنن هذا الموت نفسه كان عند أصحاب ذلك الشعر نوعا من الأمل، إذ لم يعد الموت إلا دخول الجنة أو لقاء الأخوان والأحباب الأبرار الأتقياء الذين تقدموا على الطريق.

ومن ثم سيطرت على هذا الشعر وحدات ثلاث: وحدة الغايات، ووحدة الخصائص، ووحدة التيارات النفسية.[1]

**أ-وحدة الغايات:** تمثل النقطة التي تلتقي عندها أحلام كل واحد من أولئك الشراة وهي الاستشهاد في سبيل الله، أو طلب الموت، ويمثلها قول الشاعر البَهُولُ:

من كان يكره أن يلقى منيتـــه فالموت أشهى إلى قلبي من العسل

فلا التقدم في الهيجاء يعجلني ولا الحذار ينجيني من الأجـــــل

**ب-وحدة الخصائص:** هي مجموعة من الصفات السامية التي يمكن أن تقال في كل خارجي صادق العقيدة، ولذلك تشابه هؤلاء في الصورة العامة الكبرى، وأصبح الشعر المقول في وصف الشاري لا يميز إلا باختلاف الأسماء؛ لأنه لا فرق بين الخوارج، فكل خارجي يمكن أن يقال فيه نفس ما يقال في الآخرين.

**ج-وحدة التيارات النفسية:** فتتمثل في الاتفاق على معاني التلوُّم النفسي عند أدنى شعور بالتقصير في جانب الوحدتين السابقتين: وحدة الغاية ووحدة الخصائص؛ يقول الشاعر الخارجي:

ولقد مضوا وأنا الحبيب لهم وهم لدي أحبة أبـــــــرار

قد يخلفني ويمضيهم بـــه يالهف لدي أحبة أبـــــرار

قدر يخلفني ويمضيهم بـه يالهف كيف يفوتني المقدار

فهذه الوحدات تركت طبعا من الصدق العميق في الشعر الخارجي فإنها أيضا عملت على خلق التشابه والتكرار فيه، وكان ضيق النطاق الذي فرضه الزهد على الشاعر يزيد من ذلك التكرار والتشابه.[1]

[1] - إحسان عباس، شعر الخوارج، ص ص: 3-6.

كما كان الخوارج كانوا في عهد الدولة العباسية بقية ضعيفة، توالت عليهم الحروب والهزائم فشتت جمعهم، وأخفقت صوتهم فقل نشاطهم ولم يعد لهم تأثير في الحياة السياسية، وبالتالي في الحياة الأدبية، فقلما نجد لهم شاعرا معروفا في هذا العصر[2]، ولا نكاد لهم على شعر إلا في القليل النادر، متفرقا هناك وهناك في مصادر الأدب العربي القديم.

في الأخير نرى أن القرن الثاني الهجري شهد صراعا على السلطة من عدة أطراف، حيث كان بين العباسيين والأمويين، وبين العباسيين والعلويين، ثم بين العباسيين وفلول الخوارج، كما شهد أخيرا صراعا بين العباسيين والموالي.

وقد استطاعت الأحزاب المتصارعة أن تضع أمام الرأي العام نظريات محددة في الخلافة، وخاضت على إثر ذلك صراعا مريرا في سبيل توطيد أركان نظرياتها السياسية سعيا للتغلب والسبق وإثبات أحقيتها، ومن ثمة إذاعة ذلك بين الناس، وفي هذا الصدد لابد من استقطاب الشعراء كي يوصلون تلك الحقبة ويكرسون حضورا دعائيا في أغلب الأحيان فضلا عن تأثيره في نفسية المتلقي.[3]

**ثانيا: شعر السجون**

عرفت الكتابة في موضوع السجون منذ القدم عربيا وعالميا، وإذا كان السجن لا يخرج في دلالته عن معاني سلب الحرية والاحتقار وتعطيل الحركة والتقييد[4]، فإن الشعر هو الآخر دار حول هذه المعاني التي ترددت في قصائد من تعرض للمحنة من الشعراء على غرار ما نظمه الحطيئة وأبو فراس الحمداني وابن زيدون، والمعتمد بن عباد.

ونذكر في هذا المقام شعرا لهؤلاء:

---

[1] – إحسان عباس، شعر الخوارج، ص: 06.

[2] – علي جميل مهنا، الأدب في ظل الخلافة العباسية، ص: 160.

[3] – إبراهيم شحادة، شعر الصراع السياسي في القرن 2هـ شركة كاظمية، الكويت، 1984م، ص ص: 7-8.

[4] – ينظر: محمود سليم محمد صباحنة، الخطاب الديني في الشعر العباسي، علم الكتب الحديث، عمان-الأردن، ط:1، 1430هـ-2008م، ص: 145؛ ينظر أيضا: رضوان السائحي، شعر السجون القصيدة كمعبر للحرية المعتمدين عباد أنموذجا، عن الموقع الإلكتروني: www.alakhbar.press.ma

أ- يقول الحطيئة لما سجنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد هجائه الزبرقان بن بدر بأبياته منها:[1]

دع المكارم لا ترحل لبغيتـــها واقد فإنك أنت الطاعم الكاســـي

فقال الحطيئة مستعطفا الخليفة عمر رضي الله عنه:

ماذا تقول لأفراخ بذي مـــــرخ زغب الحواصل لا ماء ولا شجر

ألقيت كاسيهم في قعر مظلمة فاغفر ســـلام الله يا عمـــــــر

فعفا عنه واشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم.[2]

ب- وشعر أبو فراس الحمداني غلب عليه عاطفة الحزن والبكاء والحنين، وتبلغ القلب بيسر، حيث يقول:[3]

يا ليــل ما أغفل عما بـــــي حبائبي فيك وأحبابـــــي

يا ليل، نام الناس عن موضع ناء، على مضجعه نابي

هبـــت له ريح شآميـــــــة متت إلى القلب بأسباب

أدت رســـــــالات حبيب لنا فهمتها من بين أصحابي

ج- وقول المعتمد بن عباد في سجنه بالمغرب لما أسره يوسف بن تاشفين زعيم المرابطين معبرا عن يأسه وتأسفه على حال أبنائه:[4]

دعا لي بالبقاء وكيف يهـــوى أسير أن يطول به البقـــاء

أليست الموت أروح من حيــاة يطول الشقي بها الشقـــــاء

فمن يك من هــواه حـــــــب فإن هواي من حتفي اللقــاء

أأرغب أن أعيش أرى بناتـــي عواري، قد أضر بها الحفاء

---

[1] - ديوان الحطيئة، شرح ابن السكيت، دراسة: مفيدة محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط:1، 1413هـ-1993م، ص ص: 107-108.

[2] - المصدر نفسه، ص: 11.

[3] - ديوان أبي فراس الحمداني، شرح خليل الدويهي، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، (د.ط، د.ت)، ص: 57.

[4] - ديوان المعتمد بن عباد ملك إشبيلية، تحق: حامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي، مر: طه حسين، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة-مصر، ط:2، 1421هـ-2000م، ص: 90.

سيسلي النفس عمن فت علمي بأن الكل يدركـــه الفنـــاء

د-واكب ابن زيدون نهاية العصر الأموي ومعظم عصر ملوك الطوائف (422-484هـ)، حيث كانت الحقبة الانتقالية ومدة ملوك الطوائف التي تلتها حقب اضطراب سياسي أدى ذلك إلى ضيق اقتصادي، وقلق اجتماعي، فضاقت الصدور، وأظلمت القلوب، وظن الناس ببعضهم الظنون، فأمست متباعدة، وقلوبهم متنافرة.

اعتقل ابن زيدون ولم تعرف أسباب سجنه، وتتفق الأقوال أنه سجن بتأثير الوشايات من أعدائه وحساده، وهناك من يرى أنه قام بالاستيلاء على عقار بعض مواليه بعد وفاته أدى إلى سجنه، وهناك من رأى أنه تعطش إلى المجد وتحريض الناس على الانقلاب ضد أبي الحزم الذي ساهم في صنعه وأسهم في رفعه.

ومن شعره في السجن يقول:[1]

ومثلي من تهفو به نشوة الصـــــبا ومثلك من يعفو ومالك من مثل

هي النعل زلّت بي فهل أنت مكذب لقيل الأعادي إنها زلة الحســل

وقال أيضا:[2]

لم تطو برد شبابي كبـــــرة وأرى برق المشيب اعتلى في عارض الشعر

قبل الثلاثين إذا عهد الصبا كثب وللشبيبة عصـــن غير مهتصـــــر

ولبث في السجن خمسمائة يوم، أشار إليها في بيتين، حيث يقول:

أفصبر مئين خمس من الأيا م ناهيك عن عذاب أليم

أي أن ابن زيدون مكث في سجنه نحوا من ستة عشر شهرا وعشرين يوما.

[1] - محمد جاسر أسعد، شعر السجن عند ابن زيدون الأندلسي، دراسة وصفية وتحليلية، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، عدد خاص، فبراير 2012م، ص ص: 141-142.

[2] - المرجع نفسه، ص ص: 142-143.

**ثالثا: رثاء المدن والممالك الزائلة**

يعد رثاء المدن غرضا شعريا قديما، ظهر «منذ العصر الجاهلي، إذ نجد الأسود بن يعفر يرثي دولة آل محرق في الحيرة وحضارتهم وما شادوا من قصور الخورنق والسدير وسنداد، حيث كانوا يعيشون في ظل ملك ثابت ونعيم رافه، فزال ذلك كله، وأصبح باليا مندثرا، وحين قضى العباسيون على الدولة الأموية بكاها الشاعر أبو العباس الأعمى المكي طويلا، وسينية البحتري في إيوان كسرى حين زار أطلاله مشهورة، إذ خلبت لبة نقوشه وما على حيطانه من تصاوير، فوصفه وصفا بديعا، وبكى في تضاعيف وصفه دولة الفرس ومجدها الحضاري»[1]، وعندما شهدت الأندلس سقوط مدنها عبّر الشعراء عن حزنهم وأسفهم لزوال دولتهم، فنظموا العديد من القصائد في رثاء مدنهم الأندلسية، فقد برز رثاء المدن في الأندلس نتيجة الأوضاع السياسية التي عاشتها مدنها، ومواجهتها للنصارى حين رغب الصليبيون في طرد المسلمين من الأندلس، فكان الشعراء الأندلسيون يرون مدنهم تتهاوى، فينظمون مرثياتهم التي تصور ضياع دولتهم وملكهم[2] كرثاء المعتمد بن عباد سقوط دولته على يد يوسف بن تاشفين الذي حاصرت جيوشه إشبيلية، وكان مصير المعتمد بن عباد السجن، فعبر عن أسفه على زوال ملكه ورفضه للسجن والأسر، قائلا:[3]

إن يسلب القوم العـــدى ملكي وتسلمني الجمـــــوع

قد رمت يوم بنزالهـــــم ألا تحصنني الـــــــدروع

وبرزت ليس سوى القميـ ص عن الحشى بشيء دفوع

وبذلت نفسي كـــي تسيـ ـل إذا يسيل بها النجيـــــع

أجلي تأخر لم يكـــــن بهواي ذلّي والخشـــــــوع

ما سرت قط إلى القتـــا ل وكان من أملي الرجـــوع

[1] – شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات الأندلس، ص: 338.

[2] – راضية لرقم، محاضرات في النص الأدبي القديم–شعر، مطبوعة جامعية موجهة لطلبة السنة الأولى ليسانس LMD، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة–الجزائر، السنة الجامعية: 2019–2020م، ص: 147.

[3] – ديوان المعتمد بن عباد، ص ص: 150–151.

يصف المعتمد بن عباد نفسه في ذلك اليوم الذي سلبه حريته وملكه وأسر فيه؛ إذ كان أعزل، ولم يكن يرتدي سوى قميصه، وقد تمنى لو وافته المنية، ولم ير نفسه أسيرا مجردا من ملكه وسلطانه، ومسلوب الإرادة والقوة، لذلك الرضوخ للعدو، وواجهه بشجاعة، مدافعا عن ملكه، لكنه فشل في ذلك، وكان مصيره للسجن.

**رابعا: رثاء أعدن والممالك الزائلة**

في الأخير نرى أن الشعر العربي القديم قد حفل بنماذج كثيرة من الشعر السياسي الذي واكب الحياة السياسية في الشرق والغرب، ودفعته أسباب كثيرة منها الخلافة والزعامة ومناصرة الأحزاب والنهوض بالمذاهب وغيرها، وبهذا سجلت لنا الدواوين الشعرية أو الأبيات المبثوثة في ثنايا أمهات المصادر الأدب العربي تاريخا شاملا لحياة العرب وظروفهم المختلفة التي رصدها لنا الشعر العربي القديم وما زال.

# المحاضرة الحادية عشرة: الشعر الفلسفي وشعر الحكمة

**تمهيد:**

إن الحديث عن علاقة الشعر بالفلسفة حديث متشعب، يأخذ مسارات ويعبر عن رؤى مختلفة بين مؤيد لأن تكون الفلسفة مصدرا ومرجعا للشاعر، وبين رافض معتبرا الشعر حديث النفس والقلب، لا المنقط والعقل[1]، وقد قال البحتري:[2]

والعقل ضربان، إن نظرت فمو هوب، وثان للمـــرء يكتسبـــــه

كلفتمونا حـــــدود منطقكـــــم في الشعر يلغي عند صدقه كذبه

بينما سرى فريق أن العلاقة بين الفلسفة والشعر عريقة، فالفلسفة أم العلوم، والشعر رؤية فلسفية للوجود والمشاعر والأحاسيس.

**أولا: الشعر الفلسفي**

**1-علاقة الشعر بالفلسفة:**

تتعدد الآراء حول إمكانية الجمع بين الشعر والفلسفة، بين مؤيد ومعارض له، باعتبار أن الشعر يخاطب الوجدان، في حين تخاطب الفلسفة العقل والمنطق، وتعتمد على التحليل والتفسير والتأمل، فهناك من يرى أن الفلسفة تفيد الأدب جماليته الأدبية، إذ أن «الأدب إنما يقدم لنا عملا فنيا نرتاح إليه ونستمتع به ونستغرق فيه وهو إذا حاول أن يحشد في عمله الفني أدلة عقلية أو براهين فلسفية أو مذهبا مجردا، فإنه قد يفسد عندئذ كل ما في عمله الفني من ذوق أدبي».[3]

وهناك من النقاد العرب القدامى من وطد العلاقة بين الشعر والفلسفة وتأثرهم بكتاب الخطابة وكتاب الشعر وما فيهما من فلسفة يونانية عامة **وأرسطا ليسية** خاصة، برزت

[1] – سعاد ترشاق، محاضرات في النص الأدبي القديم، ص:

[2] – ديوان البحتري، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، القاهرة–مصر، ط:3، 2009م، ص: 2482.

[3] – إبراهيم زكرياء، مشكلة الفلسفة، مكتبة مصر، (د.ط، د.ت)، ص: 126.

لدى نقاد العرب من أمثال ابن طباطبا العلوي وقدامة بن جعفر وابن وهب الذين تكشف أعمالهم عن الطابع المنطقي والفلسفي بشكل صريح.

**2-الشعر الفلسفي العرب:**

يكتشف المتأمل والمطلع على الشعر العربي القديم أن الشعراء العرب منذ العصر الجاهلي كانوا أقرب إلى توظيف الفكر الفلسفي في متونهم الشعرية.

ولعل شعراء العصر العباسي هم الأكثر اهتماما بتوظيف الفلسفة في شعرهم، نتيجة تطور الحركة العلمية والفكرية والثقافية ونشاط حركة الترجمة، مما ساهم ذلك في ظهور «فكر فلسفي أكثر تعقيدا بحكم تعدد مصادر مع العصر العباسي، وطول الجدل وكثرة الحوار، وتعدد أنماط المناظرات والمساجلات، وطرح طور من ترجمات الفكر اليوناني خاصة في الجوانب الفلسفية والمنطقية، وكانت نتيجة هذا الاحتكاك الحضاري ما انتشر من ضروب التحرر الفكري الذي شجع عليه الخليفة المأمون حتى أوقع المجتمع العباسي في محنة الاعتزال التي استمرت حتى عصر الخليفة المتوكل، ومن ثم بدا الكلام عن خلق القرآن عند الشعراء، وعرض طبائع انتماءاتهم الفكرية ضربا من المشاركة العقلية لرجال الكلام وأهل الفلسفة في مجالاتهم المعرفية».[1]

وقد استوعب الشعر العباسي ذلك الفكر الفلسفي ومن أهم سماته عمق الفكر والمعاني، وتحليل الأفكار وفق المنطق والفلسفة، من ذلك تصوير بشار بن برد لقضية فلسفية قائمة على مسألة هل الإنسان مخيّر في حياته أو مسيّرا؟، حيث يقول:[2]

خلقـــت على ما في غير مخيّـر هواي ولو خيّرت كنت المهذبـا

أريد قلا أعطـــي فلـــــــــم أرد وبقصر علمي أن أنل المغيّبـــا

وأصرف عن قصدي وعلمي ثاقــب فأرجع ما أعقبت إلا التجنبـــا

[1] – عبد الله التطاوي، حركة الشعر بين الفلسفة والتاريخ، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة–مصر، 1992م، (د.ط)، ص:

[2] – بشار بن برد، الديوان، تحقيق: محمد الطاهر بن عاشور، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة–مصر، 1954م، (د.ط)، ص: 269.

لعمري لقد غالبت نفسي على الهوى لتسلي فكانت شهوة النفس أغلبا
ومن عجب الأيـــــام أن اجتنابها رشاد وأني لا أطيـــق التجنبا

يؤكد بشارا أن الإنسان مجبر في حياته على أمور كثيرة، وأنه محكوم بالقضاء والقدر، ولم يكن مخيرا في ذلك، وعلمه قاصر على معرفة الغيب.

كما نجد من الشعراء المتفلسفين أبو العلاء المعري، الذي له تأملات فلسفية في الحياة والموت فهو: «ليس فيلسوفا بالمعنى اليوناني لهذه الكلمة إلا إذا توسعنا في معناها وجعلنا كل شخص يفكر تفكيرا حرا فيلسوفا أي محبا للحكمة، آخذا بقوانين العقل غير متقيد يعرف الناس ولا بما يعتنقون من آراء وأفكار، إذن يكون أبو العلاء فيلسوفا، ومن أهم ما يميزه ما نراه عنده من تشاؤم شديد، فالعالم مليء بالشر وأيضا ما نراه عنه من شكوك»[1]، فقد كان يعبر عن فلسفته في الحياة التي يلازمها التشاؤم والإحساس بالنفور منها، والرغبة في الاعتزال، إذ يقول:[2]

توحـــد فإن الله ربك واحـــــــد ولا ترغبن في عشره الرؤساء
يقل الأذى والعيب في ساحة الفتى وإن هو أكدى قلة الجلســـاء
وليت وليدا مات ساعة وضعـــه ولم يرتضع من أمه النفســاء
يقول لها من قبل نطـــق لسانـــه تفيدين بي أن تنكبي وتسائي

يعبر أبو العلاء المعري عن موقفه من الحياة وفق نظرته العقلية إليها، إذ يسرى أن مجالسته للرؤساء والحكام يجلب الأذى، ويرى أن الحياة والناس أيضا يجبلون الأذى بمجرد مخالطتهم، لذا يتمنى أنه لم يولد ما أن الحياة بهذه الصورة، لذلك يرى الموت راحة من الآلام، وظلم البشر[3]، إذ يقول:[4]

[1] – شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، القاهرة–مصر، ط:11، (د.ت)، ص: 390.
[2] – أبو العلاء المعري، اللزوميات، حقيقة جماعة من الأخصائيين، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 1989م، (د.ط)، 103/1.
[3] – راضية لرقم، محاضرات في النص الأدبي القديم، ص: 155.
[4] – أبو العلاء المعري، اللزوميات، 350/2.

أعفى المنازل قبر يستراح به وأفضل اللبس فيما أعلم الكفن

ويلخص المعري نظرته إلى الجسد والروح وقيمتهما قائلا:[1]

رويدك لو اكتشفت ما أنا مضمر من الأمر ما سميتن أبدا باسمي

أطهر جسمي شاتيا ومقيظـــــا وقلبي أولى بالطهارة من جسمي

يؤكد المعري حقيقة ضرورة اعتناء الإنسان بطهارة روحه أكثر من اهتمامه بطهارة جسده، لأن الجسم لا قيمة له، فصلاح الجسد متعلق بصلاح الروح.

كما كان في شعره النظرة المتشائمة بالدنيا، وجعل حياة الإنسان وما يعتريها أشبه بما يعتري ميزان الشعر من زحافات وعلل، وغدا هذا التشبيه العروضي (المقلوب) هاجسا مقيما عنده؛ إذا يقول:[2]

وكأنما هذا الزمان قصيدة ما اضطر شاعرها إلى إيطائها*

لقد عبّر أبو العلاء المعري في شعره عن فلسفته في الحياة، وأفكاره التي تميزه عن جل البشر، وتمقت الحياة، وتوعز كل شيء فيها إلى البشر الذي قرر اعتزالهم، لينفرد بحياته وفكره، وما تجلى في شعره تجلى في حياته أيضا، فقد كانت له أفكارا غريبة غير منتشرة في عصره.[3]

**ثانيا: شعر الحكمة عند العرب**

الحكمة فن من فنون الشعر العربي يرد أبياتا ضمن القصائد، كما يأتي في قصائد مستقلة بمعانيها، وقد عرف به منذ العصر الجاهلي، كلنه تميز بالوفرة والكثرة في العصر

[1] – أبو العلاء المعري، اللزوميات، 309/2.

[2] – الطاهر الهمامي، الشعر على الشعر، بحث في الشعرية من منظور شعر الشعراء على شعرهم، تق: محمود درايسة، عالم الكتب الحديث، إربد–الأردن، ط:1، 1431هـ–2010م، ص: 397.

* – الإيطاء: هو إعادة الكلمة بلفظها ومعناها في قافية البيت بين سبعة أبيات أو أقل، وهو من عيوب القافية والروي إلى جانب التضمين والإقواء والإصراف والإجازة والسناد، ينظر: إنعام نوال عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، مراجعة: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط:2، 1417هـ–1996م، ص: 610.

[3] – شوقي ضيف، الفن ومذاهبه، ص: 381.

العباسي، وأما الهدف منه فهو النصح والإرشاد والموعظة، ويصدر عادة بعد طول تأمل في الحياة وكثرة تجارب؛ لذلك فالحكمة صالحة لكل عصر ومصر.[1]

والحكمة لم تكن حكرا على من عرفوا بالزهد والورع فقط، لأن بعض الشعراء من الزنادقة والماجنين نطقوا بأبيات حكيمة في تضاعيف دواوينهم وقصائدهم.

وقد شهد العصر الجاهلي عدة شعراء حكماء مثل: زهير بن أبي سلمى، لبيد بن ربيعة، طرفة بن العبد، عبيد بن الأبرص، عدي بن أبي زيد العبادي، أمية بن أبي الصّلت، أوس بن حجر، ذو الأصبع العدواني، علقمة بن عبده، الأفوه الأزدي، حاتم الطائي وغيرهم.[2]

ومن أمثلة شعر الحكمة نجد زهير بن أبي سلمى في آخر معلقته:[3]

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا أبالك يسأم
رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم
ومن يغترب يحسب عدوا صديقه ومن لم يكرم نفسه لم يكرم
ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خلها تخفى على الناس تعلم
وكائن ترى من صامت لك معجب زيادته أو نقصه في التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم
وإن سفاه الشيخ لا حلم بعده وإن الفتى بعد السفاهة يحلم
سألنا فأعطيتم وعدنا فعدتم ومن أكثر التسآل يوما سيحرم

يلخص زهير بن أبي سلمى خلاصة تجاربه الواقعية، فالإنسان الذي يسافر ويغترب قد يظن أعداءه بأنهم أصدقاء له، فهو لا يعرفهم عن حقيقتهم، لكن تجارب الحياة أفصحت

[1] – سعاد طرشاق، محاضرات في النص الأدبي القديم، ص: 160.

[2] – يحي الجبوري، الشعر الجاهلي، ص: 404.

[3] – الزوزني، شحر المعلقات السّبع، ص: 84، وينظر: شعر زهير بن أبي سلمى، تحقيق: فخر الدين قباوة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت–لبنان، ط:3، 1400هـ–1980م، ص: 25.

له عن نواياهم اتجاهه، ومن لا يكره نفسه يتجنب كل ما هو دنيء لن يكرمه أحد، وأن الإنسان مهما أخفى أخلاقه وصفاته وحقيقته عن الناس، فحتما يأتي يوما وتتكشف السرائر بالتصرفات.

فالإنسان يدل عليه لسانه وقلبه، ثم يعيب بن زهير بن أبي سلمى على الشيخ إذا سفه؛ لأنه لا حال بعد الشيب إلا الموت، أما الفتى إذا كان سفيها يكسبه شيبه وقارا، ويختم زهير معلقته بحكمة أخيرة مفادها أن الإنسان الذي يكثر من سؤال الناس وطلب المعروف منهم سيحرمه الناس يوما ولا يلبون طلبه.

وأيضا نجد الشاعر طرفة بن العبد يضمن في معلقته حكمة بليغة عن الموت والحياة قائلا:

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشــدد

أرى العيش كنزا ناقصا كل ليلــة وما تنقص الأيام والدهر ينفد

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتــى لكالطول المرخى وتنياه باليد

ومعنى قوله أن الموت إذا أغفل بعض الناس فطال عمره لا يخرجون عن قدرته وسلطانه، فمثله كثمل من بيده طرفا حبل مربوط برأس فرس إذا شاء جذبه إليه فانقاد له، كذلك الإنسان لا محالة ميت وإن طال عمره، كما أن الموت يختار الكريم والبخيل، ومال البخيل الذي همه الوحيد جمع المال، وشبه حياة الإنسان بكنز كل يوم ينقص إلى أن يفنى الإنسان.

والمطلع على شعر الحكمة في العصر الجاهلي يجد أنها تمتاز بالوضوح والسهولة من حيث الألفاظ والمعاني، إذ تتضمن خلاصة تجارب الحياة التي عاشها هؤلاء الشعراء وترجموها على أشعارهم.

كما تطور شعر الحكمة بعد العصر الجاهلي: «بتأثير الترجمة عن الأمم الأجنبية واتساع آفاق الثقافة، وكان أول مظاهر هذا التطور أن شعر الحكمة لم يصبح خطرات متناثرة، كما كان في الجاهلية والقرن الأول، ولكنه أصبح موضوعا لقصائد خاصة به يقصد

إليها الشاعر قصدا، وبذلك أصبحت الحكمة من الموضوعات الثابتة في شعر القرن الثاني وفي الشعر العربي عامة فيما تلا ذلك من عصور».[1]

ومن الشعراء المخضرمين نجد لبيد بن ربيعة، حيث يقول بعد إسلامه:[2]

ألا تسألان المرء ماذا يحـــاول أنحب فيقضى أم ضلال وباطل

حبائله مبثـــوثة بسبيلـــــــــه ويفنى إذا ما أخطأته الحبائـــل

إذا المرء أسرى ليلة ظن أنـــه عملا والمرء ما عاش عامـــل

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محلة زائـــــــل

تعكس روح الإسلام وأثره ي الشاعر من خلال حكمه، وهي تصلح للإرشاد والوعظ، فهي تتمحور حول فناء الإنسان والدنيا، والبقاء لله فقط، وهو مصدر النّعم كلها التي لا تحصى ولا تعد على الإنسان وجميع خلقه.

ومما روي لابن عبد القدوس في الحكمة قوله:[3]

المرء يجمع والزمـــان يفـــرق ويظل يرفع والخطوب تمـــــــزق

ولأن يعادي عاقلا خير لـــــه من أن يكون له صديق أحمـــق

فارغب بنفسك لا تصادق أحمقا إن الصّديق على الصديق مصدق

وزن الكلام إذا نطقت فإنـــــما يبدي عيوب ذوي العقول المنطـق

والناس في طلب لمعاش وإنـما بالجد يرزق منهم من يـــــــرزق

وإذا الجنازة والعروس تـــــلاقيا أنفيت من تبع العرائس يطلـــق

ورأيت من تبع الجنازة بـــاكيا ورأيت دمع نوائح يترقـــــــــرق

كما نجد الشاعر المتنبي يبدع حكما في شعره متأثرا بمختلف الثقافات العربية والأجنبية، وخبرته بالنفس البشرية، إذ يقول:[4]

---

[1] – محمد مصطفى هدارة، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، دار المعارف، القاهرة–مصر، ص: 448.

[2] – شرح ديوان لبيد بن ربيعة، تحق: إحسان حباس، الكويت، 1962م، (د.ط)، ص ص: 85–86.

[3] – محمد مصطفى هدارة، المرجع السابق، ص: 450.

[4] – عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، دار الكتاب العربي، بيروت–لبنان، ط:2، 1986م، 93/3.

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توســـــم

وعادى محبيه بقول عداتـــــــه وأصبح في ليل من الشك مظلم

أصادق نفس المرء من قبل جسمه وأعرفها في فعله والتكلّـــــــم

ويقول أيضا:[1]

لا يدرك المجد إلا سيد فطـــــن لما يشق على الســـادات فعال

لولا المشقة ساد النـــــاس كلهم الجود يفقر والإقـــدام قتـــــال

إن حكم المتنبي بليغة المعاني، فهو يوجز خلاصته تجاربه التي أكدت له أن يتحمل الصّعاب ومشاق الحياة ويتغلب عليها.

إن الشعر الفلسفي وشعر الحكمة لونان شعريان يتسمان بالتعبير عن تجارب الإنسان الخاصة والعامة، ولم يخل منهما عصر من العصور منذ العصر الجاهلي ثم توسع شأنهما في العصر العباسي، بتوفر الدوافع والأسباب لازدهارهما والظروف الموجودة في هذا العصر من ذلك اختلاط العرب بغيرهم من الأعاجم وفساد اللسان العربي وكثر اللحن فيه، فظهرت الفلسفة آنذاك مما أدى إلى ظهور حركة الترجمة واختلاط الأجناس الأدبية، أدى إلى بروز شعر الحكمة والفلسفة والتأمل في شعر الشعراء الذين شهدوا هذا العصر وعاشوا أحداثه والذين ذكرنا بعضا منهم فقط على سبيل المثال لا الحصر.

[1] – المصدر نفسه، 406/3.

# المحاضرة الثانية عشرة: الموشحات والأزجال الأندلسية

**تمهيد:**

كانت بلاد الأندلس في القرون الوسطى من أرقى البلدان العربية الإسلامية، وقد تميزت بخصوصياتها الثقافية والأدبية والاجتماعية، وبرزت في جل معظم المجالات، وبرز فيها الكثير من الأدباء والشعراء والكتاب الذين خلّفوا ثروة أدبية غنية بقيت معلما لكل متعلم، ينهلون من أدبهم وخاصة ما ذكره المقري في كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، هذا الكتاب الذي حوى في طياته الحياة الأندلسية الأدبية والثقافية.

وكانت بلاد الأندلس أيضا حلقة وصل بين الشرق والغرب الإسلامي والغرب المسيحي، أدى ذلك إلى انتقال معظم معالم ثقافة العرب من أدب وفلسفة وعلوم إلى أوروبا.

ومن الفنون التي استحدثها الأندلسيون رغبة منهم في التجديد وملائمة حياتهم الاجتماعية نجد الموشحات والأزجال الأندلسية.

**أولا: تعريف الموشحات**

**1-لغة:**

جاء الموشح عند ابن منظور من «الوشاح حلي النساء، كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان مخلف بينهما معطوف أحدهما على الآخر، تتوشح المرأة به، ومنه اشتق توشح الرجل بثوبه، والجمع أوشحة».[1]

وجاء أيضا عند الفيروزآبادي بأنه: «كرسان من لؤلؤة وجوهر منظومان يخلف بينها معطوف أحدهما على الآخر، وهو أديم عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحها».[2]

[1] – ابن منظور، لسان العرب، طبعة جديدة محققة، دار صادر، بيروت–لبنان، ط: 4، 2005، مج: 15، مادة (وشح).

[2] – الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مطبعة السعادة، القاهرة–مصر، ط:2، 1332هـ، مج:1، 255/1.

كما ذكر صفي الدين الحلي أن: «الوشاح نوع من اللباس ترتديه المرأة للزينة وتوشحت المرأة أي لبست، ومنه اشتق توشح الرجل بثوبه»[1]، كما ذهب إليه ابن منظور في لسانه.

ومعنى التوشح هو أن يكون أول الكلام دالا على لفظ آخره، وصدره يشهد بعجزه[2]، ولعل هذه التسمية البديعية أقرب إلى التسمية الأندلسية، ففي بعض الموشحات البديعية يبدأ الوشاح بالغزل وينهي الموشحة بالغزل أيضا، وفيها جميعا تنبئ قوافي المطلع بقوافي الأقفال وعدد أشطر البيت الأول تنبئ بعدد أشطر الأبيات الأخرى.

**2-اصطلاحا:**

استعيرت لفظة الوشاح من وشاح المرأة التي ترتديه، لما فيه من رونق وزخرف وجمال، وسمي بذلك لأن أقفاله وأبياته وخرجته كالوشاح للموشحة، بخلاف الشعر التقليدي الذي يأتي على طراز واحد، أي على رتابة القافية والأوزان الخليلية المرعية، لأن هذا الشعر الجديد يجمع عدة ألوان، كل لون مخالف لما قبله وما بعده، وهذا يتجلى في أقسامه من أقفال وأبيات وأجزاء هذه الأقسام وقوافيها المتنوعة.[3]

كما عرفه القدامى بتعريفات عدة نذكر منها ما ذكرها محمد عباسة:[4]

**أ-عند ابن سناء الملك (ت608هـ-1211م):** يقول: «الموشح كلام منظوم على وزن مخصوص، وهو يتألف من ستة أقفال وخمسة أبيات ويقال له التام، وفي الأقل من خمسة أقفال وخمسة أبيات ويقال له الأقرع، فالتام ما ابتدئ فيه بالأقفال والأقرع ما ابتدئ فيه بالأبيات».

---

[1] - صفي الدين عبد العزيز بن سرايا الحلي، نتائج الألمعية في شرح الكافية البديعية، مؤسسة الرسالة، ط: 1، 1421هـ-2000م، ص: 102.

[2] - صفي الدين الحلي، الكافية البديعية، ص: 102.

[3] - محمد عباسة، الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع، مستغانم-الجزائر، ط: 1، 1433هـ-2012م، ص: 48.

[4] - المرجع نفسه، ص: 48-51.

**ب-عند ابن بسام (ت543هـ-1147م):** يقول عن صنعة التوشيح: «هي أوزان كثر استعمال أهل الأندلس لها في الغزل والنسيب، تشق على سماعها مصونات الجيوب بل القلوب».

**ج-عند ابن خلدون (ت808هـ-1405م):** يقول: «وأما أهل الأندلس فلما كثر الشعر في قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه، وبلغ التنميق فيه الغاية، استحدث منهم فنا منته سموه بالموشح، ينظمونه أسماطا أسماطا وأغصانا أغصانا، يكثرون منها ومن أعاريضها المختلفة، ويسمون المتعددة منها بيتا واحدا، ويلتزمون عدد قوافي تلك الأغصان وأوزانها متتاليا فيما بعد إلى آخر القطعة، وأكثر ما ينتهي عندهم إلى سبعة أبيات، ويشتمل كل بيت على أغصان، عددها بحسب الأغراض والمذاهب وينسبون فيها ويمدحون كما يفعل في القصائد».

إذن الموشح هو ضرب من ضروب الشعر العربي لا يختلف عن القصيدة التقليدية إلا في تعدد قوافيه وتنوع أوزانه أحيانا، وفي الخرجة التي يخرج بها الوشاح من الفصيح إلى العامي تارة وتارة أخرى إلى العجمي كما يختلف عنها أيضا في التسمية.

**2-أول من نظم الموشح:**

يرى ابن بسام أن أول من صنع أوزان الموشحات واخترع طريقتها -فيما بلغني- محمد بن محمود القري الضرير، وكان يصنعها على أشطار الأشعار غير أن أكثرها على الأعاريض المهملة غير المستعملة... وقيل: أن ابن عبد ربه صاحب كتاب "العقد الفريد" أول من سبق إلى هذا النوع من الموشحات، ثم نشأ يوسف بن هارون الرماري، فكان أول من أكثر فيها من التضمين في المراكيز...فاستمر على ذلك شعراء عصرنا كمكرم بن سعيد وابن أبي الحسن، ثم نشأ عبادة هذا (ابن ماء السماء) فأحدث التضفير.[1]

[1] - محمد عباسة، الموشحات والأزجال الأندلسية، ص: 51.

### 3-الجوانب الفنية في الموشح:

كانت الموشحات أكبر حركة من حركات التجديد في تاريخ الشعر العربي، كما كانت ثورة عاتية على التقاليد الموروثة في بناء القصيدة العربية التي ظلت تحتفظ بشكلها التقليدي سواء في التزام الأوزان العربية القديمة أو التزام القافية الموحدة ولم تتحرر من هذه القيود بالرغم من محاولات التجديد التي حمل لواءها الشعراء المحدثون منذ القرن الثاني الهجري، ثم جاءت الموشحة فثارت على هذه القيود، واتخذت لها شكلا جديدا في البناء والوزن، فأصبحت تركز على البيت الدوري الذي يتكون من "الدور" و"القفل"، وينظم كلاهما من أجزاء تسمى "أغصانا"، وفي القفل "أسماطا"، وأصبحت تختم بمركز أو قفل ختامي يسمى "الخرجة"، لم تلتزم فيه الموشحة باستخدام اللغة الفصحى، وإنما استخدمت فيه العامية، أحيانا والأعجمية أحيانا أخرى، وجدد الوشاحون في الأوزان، نوعوا في القوافي، ولكنهم لم يبدؤوا ثورتهم تلك من فراغ بل استلهموا المسمطات المشرقية الغنائية، واتخذوها متكأ ومنطلقا للتجديد.[1]

### 4-البناء الفني للموشحات:

ومما ذكر الباحث فوزي عيسى سابقا، نرى أن الموشح يتكون من الأقسام الآتية:[2]

**أ-القفل:** وهو أول ما يبتدئ به الموشح التام، ويسمى المطلع، ويتألف من جزأين إلى ثمانية حتى عشرة أجزاء أو إحدى عشر جزء.

**ب-الدور:** وهو القفل الذي يلي المطلع إن كان الموشح تاما، ويشترط أن يكون وزنه على وزن المطلع على أن تتغير قافيته، ولا يشترط فيها عدد معين.

**ج-البيت:** ويتكون في الموشح من القفل والدور الذي يليه، وعليه فهو خلافا للبيت الشعري العادي، يتكون من عدة أجزاء ويخضع لتبدل الرّوي.

---

[1] - فوزي عيسى، الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، دار الفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية-مصر، ط:1، 2007م، ص: 406.

[2] - المرجع نفسه، ص: 406 وما بعدها.

**د-الخرة:** وهي القفل الأخير من الموشح، وهي أهم جزء في الموشحة وتكون بالعربية الفصحى أو العامية، كما تكون بالأعجمية.

**هـ-السمط:** ويطلق على كل جزء من أجزاء الدور، ويشترط أن يكون على روي واحد.

**و-الغصن:** ويطلق على كل جزء من أجزاء القفل والمطلع والخرجة، وتتساوى معها من حيث عددها، ورويها وقافيتها.

**5-أوزان الموشحات:**

ظل الشعر العربي مقيدا بالأوزان الخليلية المعروفة، ومكبلا بقوافيه الموحدة الرتيبة، حتى ظهرت الموشحات فثارت على كثير من القيود التي كبلت القصيدة العربية واستحدثت أوزانا جديدة تناسب التطور الذي طرأ على الموسيقى والغناء.[1]

ويرى ابن بسام في ذخيرته أن ابن سيناء الملك قسم أوزان الموشحات إلى قسمين:

- أحدهما: ما جاء على أوزان أشعار العرب.
- الثاني: مالا وزن فيها، ولا إلمام له بها، وهذا النوع هو الكثير والجم الغفير.[2]

**6-نموذج توضيحي لأجزاء الموشح:**

من موشح "يازمان الوصل" للسان الدين ابن الخطيب، حيث قال هذا الموشح يمدح فيه أمير غرناطة أبا عبد الله محمد الغني بالله، معارضا ابن سهل الإشبيلي في موشحه "هل درى ظبي الحمي" وقد جمع ابن الخطيب في موشحه بين مدح وغزل ووصف، كما تحدث عن الهوى والشكوى ومجالس الأنس، حيث يقول:

[1] – فوزي عيسى، الشعر الأندلسي، ص: 406.

[2] – ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، 450/1.

غصن
جاءك الغيث إذا الغيث همى — غصن يا زمان الوصل بالأنـــــدلس
غصن
لم يكن وصلك إلا حلمـــــا — غصن في الكرى أو خلسة المختلسين
مطلع

إذ يقود الدهر أشتات المنى — تنقل الخطو على ما يرسم ← سمط
نفرا بين فرادى وثنـــــــى — مثلها يدعو الفود الموســم ← سمط
والحيا قد جلل الروض سنا — فثغور الزهر فيه تبســـم ← سمط
دور
غصن
حين لذ الأنس مع حلو اللمى — غصن هجم الصبح هجوم الحرس
غصن
غارت الشهب بنا أو ربمـــا — غصن أثرت فيها عيون النرجـس
قفل
بيت

أي شيء لا مرئ قد خلصا — فيكون الروض قد مكن فيه ← سمط
تنهب الأزهار فيه الفرصـا — أمنت من مكره ما تتقيـــه ← سمط
فإذا الماء تناجى والحصـى — وخلا كل خليل بأخيـــــه ← سمط
دور
غصن
الكريم المنتهى والمنتمـــى — غصن أسد السرح وبدر المجلـس
غصن
ينزل النصر عليه مثلمـــا — غصن ينزل الوحي بروح القـــدس
قفل
بيت

مصطفى الله سمي المصطـــفى — الغني بالله عن كل أحـــــد ← سمط
من إذا ما عقد العهد وفـــــى — وإذا ما فتح العطب عقـــــد ← سمط
من بني قيس بن سعـد وكفـــى — حيث بيت النصر مرفوع العمد ← سمط
دور
غصن
هل درى طبي الحمى أن قد حمى — غصن قلب صبّ حلّه عن مكنـــس
غصن
فهو في خفق وحر مثلـــــــما — غصن ريـــح الصّبا بالقبـــــس
خرجة
بيت

## ثانيا: الأزجال الأندلسية

### تمهيد:

الزجل عن أندلسي النشأة، نما وترعرع في الأندلس ثم انتقل بعد ذلك إلى المشرق شأنه في ذلك شأن الموشحات.

وقد أشار ابن خلدون في "مقدمته" إلى نشأة هذا الفن، فقال: «ولما شاع فن التوشيح في أهل الأندلس، واخذ به الجمهور لسلاسته وتنمق كلامه، وتصريع أجزائه نسجت العامة من أهل الأمصار على منواله، ونظموا على طريقته بلغتهم الحضرية، من غير أن يلتزموا فيه إعرابا، واستحدثوا فنا سموه الزجل».[1]

### 1-تعريف الزجل:

**أ-الزجل لغة:** جاء في لسان العرب: «الزّجل بالتحريك: اللّعب والحلبة ورفع الصوت، وخص به التطريب، والغناء».[2]

**ب-اصطلاحا:** هو ضرب من ضروب النظم يختلف عن القصيدة من حيث الإعراب والقافية، كما يختلف عن الموشح من حيث الإعراب، ولا يختلف عنه من جانب القافية إلا نادرا، ويعد الزجل هذه الصورة موشحتا ملحونا إلا أنه ليس من الشعر الملحون، وقد كتب بلغة لبس عامية بحته بل هي مهدبة وإن كان غير معرّبة.[3]

### 2-نشأة وعوامل ظهور الزجل:

يعتبر الزجل فن ولد عقب فن الموشح، ولكن الغموض يلف نشأته لعدم اهتمام المؤرخين به، غير أن الانطلاقة الحقيقية له كانت مع زمن ملوك الطوائف في القرن الخامس الهجري، وبلغ ذروة الشيوع والتطور الفني في القرن السادس لعدم إتقان ملوك المرابطين للغة الفصحى وعدم تشجيعهم الشعراء على النظم، رغم أن كثيرا من الانتقادات

---

[1] - عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص: 577.

[2] - ابن منظور، لسان العرب، طبعة جديدة محققة، دار صادر، بيروت-لبنان، ط: 4، 2005م، مج: 7، مادة (زجل).

[3] - محمد عباسة، الموشحات والأزجال الأندلسية، ص ص: 105-106.

يمكن توجيهها لهذا الرأي، ومنها أن المرابطين كالموحدين –رغم كونهم من البربر– فإن اللغة الرسمية التي كانوا يتكلمون بها ويستعملونها هي اللغة العربية الفصحى، فلم يعرف عنهم أنهم تلقوا أي كتاب غير اللغة العربية الفصحى.[1]

**3-أسباب ظهور الأزجال:**

يمكن أن نجمل أسباب ظهور الأزجال في النقاط الآتية:

أ- يأتي في الغناء في المقام الأول.

ب- تطور وشيوع فن الموشح بين العامة والخاصة وإقبال الناس عليه لسهولته وطواعيته للحن والحفظ

ج- اختلاطه بالعامة بعد خروجه من القصور والمجالس العلمية والحواضر خاصة وأن الأندلس منذ القرن السادس بدأت تسير نحو الانحلال والسقوط.

د- الاستيلاء على الحكم بالقوة والتحالف مع الفقهاء من أصحاب المصالح هو الذي أدى إلى تهميش المثقفين، واضطهاد العلماء والمفكرين، وهذا ما شجع الاتجاه الشعبي.[2]

**4-أشهر الزّجالون:**

ابن قزمان، ويوسف بن هارون الرمادي، وان غرله، ويخلف بن راشد، وأخطل بن نمارة، وأبو عبد الله أحمد ابن الحاج المعروف بمدغليس[3]، وفيه قال المقري في غضنه: «وكان مدغليس هذا مشهورا بالانطباع والصنعة في الأزجال، خليفة ابن قزمان في زمانه»، وكان أهل الأندلس يقولون: ابن قزمان في الزجالين بمنزلة المتنبي في الشعراء، ومدخليس ملتفت إلى اللفظ، وكان أديبا معربا كلامه ابن قزمان، ولكنه لما رأى نفسه في الزجل أنسب اقتصر عليه. [4]

---

[1] – محمد عباسة، الموشحات والأزجال الأندلسية، ص: 133.

[2] – المرجع نفسه، ص: 113.

[3] – فوزي عيسى، الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، ص ص: 441-442.

[4] – المقري، نفح الطيب، مج: 3، ص: 385.

وكان ابن قزمان ذو شهرة عالية، حلو الكلام، بارزا في نظم الزجل، وأن على الشاعر، وبلغ فيها ابن قزمان مبلغا كبيرا.[1]

**5-أغراض الزّجل:**

سيطر الشعر التقليدي على موضوعات الزجل، غير أن أكثرها كان في المدح والغزل والطبيعة والتصوف مع بعض الأزجال في الهجاء والرثاء[2]، لهذا سنركز على الأغراض الأكثر شهرة ونظما بين الزجالين:

**أ-الغزل:** أكثر الزجالون النظم في هذا الغرض فجاءت أزجالهم مستقلة بمعانيها، كما جاءت مختلطة مع الخمريات أو المدح أو شعر الطبيعة، ومنها قول ابن قزمان:[3]

يفضح العشق أشى يفيدني الجحود والدموع والنول عليا شهـــود
وشهـــود آخـــر على بـــــذا سهري الليل وقلمي الموقـــود
والمليحة تغلق لي باب الوصـــال ثم تفتح لي ألف باب للصدود

وقول مدغليس:[4]

قد رحلت أنا وقلبـــي إش يكون مني ومنـو
ولا يشفقـوا علـــيّ ذا لملاح ولا يحنـــو
قد قسمت أنا وقلبـــي الهوى بلا منـــاعس
فخرجت أنا للأفكـــار وخرج هو للوســاوس
فهو كل حد في راحه ونح في حرب داحس
نضربو أخمس في أسداس من حساب لم نظنو

**ب-وصف الطبيعة:** لا يخفى تعلق الأندلسيين بطبيعتهم وبجمال بلادهم الذي عبروا عنه شعرا ونثرا.

---

[1] – عبد المنعم الخفاجي، الأدب الأندلسي التطور والتجديد، دار الجيل، بيروت-لبنان، ط:1، 1990م، ص؟؟؟؟

[2] – سعاد ترشاق، محاضرات في النص الأدبي القديم، ص: 170.

[3] – ديوان ابن قزمان القرطبي،

[4] – محمد عباسة، الموشحات والأزجال الأندلسية، ص: 137.

واستحدثوا أسماء الأزهار والنبات والأشجار والطيور، وتغنى الشعراء مطولا بأزهار الرمان التي يسمونها الجلنار، ولعل أشهر وصف الطبيعة ومفاتنها ما قاله الشاعر مدغليس من زجل هذا أوله:[1]

ثلاث أشياء فالبساتين ليس تجد في كل موضع
النسيم والخضر والطير شـــــم وانتزه واسمــع
قم ترى النسيم يولــون والطيـــور عله تغــرد
والثمار تنثر جـــواهر في بســـاط من الزمــرد
وبوسط المرج الأخضر سقي كالسيف المجـــرد
شبهت بالسيـــف لما شفت الغدير مـــــدرع

وللزجالين شعر كثير في موضوع الطبيعة وقد يحضر موضوعا مستقلا كما قد يحضر ضمن الغزل أو موضوع الخمريات، وهو أكثر من أن يتقصى عن آخره لكثرة هذه الألوان عند الأندلسيين ولتداخلها مع بعضها البعض.

**ج-المدح:** وهو كباقي الأغراض يأتي منفردا كما يأتي ممتزجا بأغراض أخرى، ومن أمثلته قول ابن قزمان:[2]

عبد المنقطع إليك مذ كان
أكمل الله علاك ابن قزمان
أطال الله بقاء الوزير الأجل
الفقيه عاد الكاتب الأكمل
إذ يقول اعملوا كذا يعمل
مغن مكروم وجيه رفيع الشأن

**د-التصوف:** من الذين نظموا في هذا الموضوع أبي الحسن الششترى:[1]

[1] – محمد عباسة، الموشحات والأزجال الأندلسية، ص: 143.

[2] – ديوان ابن قزمان، ومحمد عباسة: المرجع نفسه، ص ص: 171-172.

الله الله هاموا الرجال في حب الحبيـــب

الله الله معي حاضر في قلبي قريـــــب

أدلل يـــــا قلبـــي وافرح حبيبك حضر

واتنعم بذكر مولاك وقصّي الأثر

وانهنى وعيش مدلل بين الشر

دعوني دعوني نذكر حبيبي بذكرو تطيـب

الله الله معـــي حاضـــر في قلبي قريب

فإذا كان الشعراء غالبا ما يشكون من بعد الحبيب وهجره، فإن الششتري في هذا الزجل يبدي سروره لحضور حبيبه وهو الحبيب الذي لا يغيب.

**هـ-الهجاء:** فرض الهجاء قليل جدا في الأزجال، ويغلب عليه الارتجال والعفوية، وهو في مضمونه ساخر يؤثر فيه الزجال أسلوب التهكم، ومما هجى في الزجل نجد الزجال الحسن بن أبي نصر الدّباغ إمام الهجو حيث هجى حكيما بقوله:[2]

إن ريت من عداك يشتكي من تلطيخ

وتريد أن يقبـــــر أجمل للمرّيـــــخ

قد حلف ملك الموت بجميع إيمان

ألا يبرح ساعة من جوار دكان

ويريح روح ويعظم شان

وفساد النيا تحت ذات التوبيخ

بقياس الفاسد وبدين الحمروج

يخذ الصفراوي ويرد مفلو

للصحيح ليس يسمح بمريقه فروج

[1] – محمد عباسة، المرجع نفسه، ص: 151.

[2] – محمد عباسة، الموشحات والأزجال الأندلسية، ص ص: 158-159.

ويحيل المحموم على أكل البطيخ

ولعننا نوافق الرأي –في الأخير– مع الباحث محمد عباسة في كون أن:

- الموشحات قد انفردت بأشكالها المتعددة، وأوزانها المتنوعة، ولغتها العذبة، ولم يقتصر نظمها على عصر أو مكان، بل لا يزال الشعراء إلى اليوم ينسجون على منوالها ويتبغى بها المطربون في المغرب والمشرق، وقد أخذت أشكالا مختلفة تختلف بها حسب المناطق التي تقترن بها.
- وقد جاءت الأزجال تقليدا للموشحات، ولم تختلف عنها إلا في اللغة، وأحيانا الشكل، ومازال الزجال إلى يومنا هذا ينظمونها ويتغنى بها أهل الفن في المغرب والمشرق، وقدما لك إلى المدائح الديني والتصوف منذ سقوط الأندلس.

# المحاضرة الثالثة عشرة: الشعر الأندلسي

**تمهيد:**

لقد تهيأت لأهل الأندلس أسباب الشعر، وتوافرت لديهم دواعيه فطبعوا على الشغف به، وانبسطت ألسنتهم بقوله، حتى قل أن تجد منهم من ألم بطرف من الآداب ولم يقل شعرا.

وقد كان لطبيعة الأندلس الزاخرة بالمفاتن أثر كبير في طبعهم حتى لم تخل مدينة من منها من شاعر حاذق، أو كاتب بليغ كما يقول ابن بسام في مقدمة كتابه الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة.[1]

**أولا: أغراض الشعر الأندلسي**

لقد تعدد القول في الأندلس شعرا، فتنوعت الفنون وأضرب الشعر، نذكر منها:

**1-المدح:**

لقد حافظ المدح على الأسلوب القديم، وكان الشعراء يعنون بالاستهلال وحسن التخلص، وربما جعلوا صدور مدائحهم وصفا للخمر أو للطبيعة أو للبلد الذي نشأ فيه الشاعر أو للمرأة التي أحبها، كما وصفوا الفلاة والناقة والجواد ووقفوا على الديار والأطلال، ولكنهم لم يطيلوا وصفهم هذا ويستفيضوا به.[2]

ومن شعرائهم ابن زيدون-سيكون فيه حديثا مستفيضا لاحقا- يصف ابن جهور بالكلام، فشببه بالبرق الساطع الذي يعقبه السحاب الممطر:[3]

كأن أياة الشمس بشر ابن جهور إذ بذل الموال وهي رغـــــاب

هو الشبر شمنا منه برق عمامة لها باللها في المتفين مصــاب

جواد متى استعجلت أولى هباته كفاك من البحر الخضم عباب

[1] – جودت الركابي، في الأدب الأندلسي، دار المعارف، القاهرة-مصر، ط:2، 1966م، ص: 63.

[2] – المرجع نفسه، ص: 114.

[3] – شوقي ضيف، تاريخ الأدب، عصر الدول والإمارات الأندلس، ص: 172.

**2-الرثاء:**

لم يختلف الأندلسيون عن المشارقة من حيث التفجع على الميت ووصف المصيبة وتعداد المناقب، فكانت معانيهم وأساليبهم متشابهة، وكانوا يستهلون مراثيهم بالحكم كالمشارقة، إلا أن حكمهم كانت ساذجة لا عمق فيها، ترتكز على الشكوى من الأيام.

وكان رثائهم للمدن والممالك الزائلة أكثر روعة أحيانا من رثاء شعراء المشرق، فقد أشجاهم أن يروا ديارهم تسقط بلدا إثر بلد في أيدي الغرباء من المكتسحين فبكوها بكاء من يبكي على فراق وطن أحبّه وفتن بجمال طبيعته ورخاء أيامه، فبكى ابن اللبابة دولة بني عباد، وابن عبدون دولة بني الأفطس، عندما أزالهما ابن تاشفين[1]، وبكى أبو البقاء الرندي الأندلس بأهلها بعد أن استردها النصارى، حيث يقول:[2]

لكل شيء إذا ما تم نقصـــــان فلا يغر بطيب العيـــش إنسان

هي المور كما شاهدتـــها دول من سره زن ساءتـــه أزمـــان

وهذه الدار لا تبقـــي على أحـد ولا يدوم على حال لـــها شـــان

وعالم الكون لا تبقـي محاسنـــه ولا يدوم على حـال لـها شـــان

أين الملوك ذوو التيجان من يمـن وابن منهـم أكاليل وتيـــــجان

وصار ما كان من ملك ومن ملك كما حكى عن خيال الطيف وسنان

دار الـــزمان على دارا وقـــاتله وأم كســـرى فما آواه إيـــوان

فجائـــع الـــدهر أنواع منوعـــة وللزمـــان مســـرات وأحـــزان

ويتصل بالرثاء الشكوى والاستعطاف، وقد امتاز بهذا الغرض الملوك والأمراء لكثرة ما نالهم من المحن والنّكبات فذلوا بعد عزّ وهبطوا بعد رفعة.[3]

[1] – جودت الركابي، في الأدب الأندلسي، ص: 115.

[2] – رثاء الأندلس لأبي البقاء الرندي، جمعه: عيسى بن محمد الشامي، كنوز الأندلس، (د.ط، د.ت)، ص: 34.

[3] – جودت الركابي، المرجع السابق، ص: 115.

**3-الهجاء:**

لم تقم لغرض الهجاء سوق رائجة في الأندلس، ولا سيما الهجاء السياسي لقلة الأحزاب السياسية، وقد ظهر في عهد الأمراء هجاء بين المضرية واليمانية، وقد قام بعض الشعراء بهجو الفرنجة أثناء الحروب معهم، وهجو البرابرة عندما استفحل أمرهم، وكانت الغاية من الهجاء التكسب والمجون، فلم يكن هناك هجاء سياسي بالمعنى المعروف عند المشارقة كالدفاع عن العرب وذم الشعوبية؛ لأن الشعوبية لم يكن لها شأن في الأندلس[1]، ومن أشهر الهجائيين الأندلسيين أبي عامر الأصلبي الذي اشتهر بكثرة الذم والهجاء للناس، حيث يقول:[2]

أرى الأوغاد يعتمرون دورا ومالي في بلاد الله دار

أجول فلا أرى إلا رعاعا كبارهم إذ اختبروا صغار

**4-الغزل:**

لقد انساب الغزل على شفاه الشعراء الأندلسيين، ويدعوا إليه كل ما في الأندلس من طبيعة جميلة وحياة حضرية ناعمة، ومجالس أنس ورخاء وخمر وغناء.

كما أن أسواق النخاسة التي كان يباع فيها الجواري والغلمان قد شجعت هذه الحياة اللاهية التي وجد الغزل فيها مرتعا سهلا، ومن الشعراء من أحب حبا صادقا ونهم من تمتع بوهم الحب ولهًا.

وقد استطاع الشاعر الأندلسي أن يرسم حبه ولهوه بأبيات تعد من الشعر الجيد، لأنها استطاعت أن ترسم الأجواء وتعبر عن خوالج النفوس، إلا أن أكثر غزلهم كان مقيدا بالتقاليد والتكلف.

[1] – جودت الركابي، المرجع السابق، ص: 115.

[2] – فوزي عيسى، فن الهجاء في الأدب الأندلسي، دار المعارف، القاهرة–مصر، (د.ط، د.ت)، ص: 164.

وكانت أوصافهم مادية تقليدية، فتحدثوا عن سهام الألحاظ وخمر الرضاب وليل الشعر ونرجس العيون وغير ذلك من الأوصاف المألوفة، فظهر تقليدهم ولم يجددوا المعاني، فالمحب ذليل والمعشوقة لا ترحم.

ومن هنا نشأ عندهم ما يسمى بالحب المعذب الذي تفنن الشعراء في وصفه فرحين بالتذلل للحبيب والخضوع له.[1]

كما تعددت أنواع الغزل وتتجلى في:

أ-**الغزل العفيف:** يصور الشاعر من خلاله مشاعر الحب الصادقة والعفيفة، ومعاناته من فراق المحبوبة أو صدها، وتعبيره عن الرغبة في لقائها، ومن شعرائه ابن زيدون الذي برع في كثير من أنواع الفنون والأغراض الشعري، والذي عبر عن ألم الفراق، والرغبة في لقاء المحبوبة، إذ يقول في نونيته:[2]

أضحى التنابيئ بديلا من تدانينـــا وناب عن طيب لقيانا تجافينـــا

ألا وقد جان صبح البيت صبحنـــا حين فقان بنا للحين داينـــــا

من مبلـــغ الملبسينا بانتزاحهـــــم حزنا مع الدهر لا يبلى ويبلينـــا

أن الزمان الذي مازال يضحكنـــا أنسا بقربهم قد عاد يبكينـــــا

غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا بأن نغص فقال الدهر آمينـــا

يا ليت شعري ولم نعتب أعاديكـــم هل نار حظا من العتبى أعادينا

يفصح ابن زيدون عن حزنه لفراق المحبوبة، فالدهر الذي أسعده بلقائها في الأمس، صار يبكيه في الحاضر ببعدها، وحتى أعداءه الذين لم يسعدهم وصاله مع محبوبته دعوا بفراقه لمحبوبته ولأدة بنت المستكفي، فاستجاب لهم الهدر.

[1] – جودت الركابي، المرجع السابق، ص: 121.

[2] – ابن زيدون، ديوانه ورسائله، شرح وتحقيق: علي عبد العظيم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، (د.ط، د.ت)، ص ص: 141-142.

**ب-الغزل الصريح:** يهتم الشعراء في هذا النوع من الغزل بوصف جمال المرأة المحبوبة وصفا حسيا، وإبراز مفاتنها، ومن ذلك قول الشاعر ابن عمار:[1]

فتاة عداها الحسن حتى كأنها في الحسن أو إلق عليه حبيب
فعين كما عين المهى ومقلد كما ارتاع ظبي بالفلاة غريب
وردف كما انهال القضيب وضمه وشاح كما عنى الحمام طروب
وثغر كمثل الأقحوان يشوبه لمى حسان الصبر عنه ذنوب
كسا الخجل المعتاد صفحة خدها رداء طرازه ندى ولهيب
ودبت من الأصداع فيه عقارب لها في فؤاد المستهام دبيب

نرى وصفا حسيا لمحبوبة الشاعر ابن عمار، فقد قام بوصف جمال عينيها بعيون المهى «وهو حيوان من جنس الظباء الصحراوية التي تقطن شبه الجزيرة العربية، وأجزاء مختلفة من قارة إفريقيا، بيضاء اللون وذات جسد متناسق وعينين كبيرتين جميلتين طالما تغزل الشعراء بحملها»[2]، كما شبهها ثغرها بالأقحوان، وأيضا وصف خجلها وحسنها.

**5-الفخر:**

تمحور شعر الفخر حول العديد من الفضائل، كالاعتزاز بالنفس، والشجاعة والكرم والفروسية، والقدرة على نظم الشعر وغيرها[3]، فنجد على سبيل المثال المعتمد بن عباد يفخر بمجده قائلا:[4]

من عزا المجد إلينا قد صدق لم يلم من قال: مهما قال حق

ويفتخر ابن عمار بقوته وخبرته بقيادة الجيوش رغم وصفه بأنه مدمن للخمر:[5]

نقمتم عليّ الراح أدمن شربها وقلتم فتى لهو وليس فتى جدّ

---

[1] – ابن عمار، الديوان، مطبعة الهدى، بغداد، 1975، (د.ط)، ص: 241.

[2] – موسوعة ويكيبيديا، www.wikipedia.org

[3] – راضية لرقم، محاضرات في النص الأدبي القديم، ص: 176.

[4] – المعتمد بن عباد، الديوان، تحقيق: حامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي، راجعه: طه حسين، مطبعة ودار الكتب المصرية، القاهرة–مصر، ط:2، 2000م، ص: 147.

[5] – ابن عمار، الديوان، ص: 296.

ومن ذا الذي قاد الجياد إلى الوغى سوايَ ومن أعطى الكثير ولم يكد

**6-الحكمة:**

تذكر المصادر أن الشعراء الأندلسيين لم ينصرفوا إلى حياة التأمل، لذلك بدت حكمتهم ساذجة بعيدة عن العمق، وكذلك الفلسفة لم تنتشر في تلك الربوع منذ دخول العرب إليها، بل تأخر ظهور الفلاسفة إلى أواخر القرن الخامس في عصر المرابطين والموحدين، فقد كان هذا العصر عصر نهضة في الفلسفة والتأليف، فيه ظهر ابن باجة وابن رشد وابن طفيل صاحب رسالة "حي بن يقظان"، وابن ميمون من الفلاسفة وابن خاقان وابن بشكوال والإدريسي وابن جبير وابن بسام من المؤلفين، ولولا ظهور ابن حزم قبل رجال هذه الطبقة لأصبح هذا العصر يحتكر العلم والفلسفة، وسبب تأخر نهضة الفلسفة في الأندلس، واقتصارها على فئة محدودة من المختصين ما كان للفقهاء من سلطان على ملوك الأندلس فإنهم ضيقوا حرية التفكير، وكفروا كل متفلسف وأفتوا بنفيه وإحراق كتبه، وكانت العامة تجاري أهواء الفقهاء فيضطر السلطان تجاه ثوراتهم إلى استرضائهم بإتلاف كتب الفلاسفة.[1]

ومن الشعراء الأندلسيين الذين برز اهتمامهم بالفلسفة والحكمة نجد الشاعر بن هاني الأندلسي، محاولا في شعره تقليد المتنبي وحكمته تدور حول شكوى الدهر والتحذير من الدنيا، فكانت حكمه مبتذلة بعيدة عن النضج.

من ذلك قوله قصيدة يرثي بها ابنا من أبناء إبراهيم بن جعفر بن علي:[2]

وهب الدهر نفيسا فاسترد ربما حاد بخيل فحسد

كلما أعطى فوفى حاجة بيد شيئا تلقاه بيد

خاب من يرجو زمانا دائما تعرف البأساء منه والنكد

فإذ ما كدّر العيش نما وإذا ما طيّب الزّاد نفد

فلقد أذكر من كان سها ولقد نبّه من كان وقد

[1] – جودت الركابي، في الأدب الأندلسي، ص: 116.

[2] – المرجع نفسه، ص: 117.

وقال في قصيدة الرثاء أيضا:[1]

إنا وفي آمال أنفســـــــنا طول وفي أعمارنا قصـــر
لنرى بأعيننا مصارعنـــــا لو كانت الألباب تعتبـــر
مما دهانا أن حاضرنـــــا أجفاننا والغائب الفكـــــر
وإذا تـــدبرنا جوارحنـــــا فأكلهن العين والبصـــــر
لو كان للألباب ممتحـــن ما عد منها السمع والبصر
أي الحياة ألذ عيشتـــــها من بعد علمي أنني بشـــر
خرست لعمر الله ألسنـــــا لما تكلم فـــوقنا القـــــدر

**7-الزهد:**

إذا كانت الحكمة ضئيلة جافة في الشعر الأندلسي، فإن الزهد لم يكن كذلك، وقد كان لسلطة الفقهاء تأثير في دفع الناس إلى التعصّب الديني والتظاهر بالعبادة العزوف عن الدنيا ومباهجها، حتى كثر المتزهدون وأصبحت صناعة الزهد شيئا مرغوبا، فكان الشعراء ينظمونه بدافع ديني أحيانا، وبدافع تقليدي أحيانا أخرى، على أن من الشعراء من نظمه وقد شعر بندمه وأدرك غرور الدنيا، فأخذ يذكر ذنوبه طالبا مرضاة الله وعفوه، وهذه ظاهرة طبيعية لكل إنسان انغمس في ملذات الدنيا وابتعد عن الدين.

كما أن كثرة الحروب والفتن أثرت في نفوس الشعراء فمالوا إلى الطعن بغدر الأيام وغروز الزمن، وقادهم هذا الموقف إلى لون من الشعر الشاكي الذي انتهى بهم إلى الزهد والتقشف وذكر الله، ومن شعرائهم ابن عبد ربّه يصف الدنيا بأنها دار للفجائع والمصائب، حيث يقول:[2]

ألا إنما الدنيا غضارة أيكـــــة إذا اخضر منها جانب جف جانب
هي الدار ما الآمال إلا فجائع عليها، ولا اللذات إلا مصائـــــب

[1] - المرجع نفسه، ص: 117.

[2] - جودت الركابي، في الأدب الأندلسي، ص: 118.

فكم سخنت بالأمس عينا قريرة وقرت عيونا، دمعها اليوم ساكـــب

فلا تكتحل عيناك منها بعبـرة على ذاهب منها، فإنك ذاهـــــب

**8-التصوف:**

يتصل التصوف بالزهد، وقد ظهر بين الشعراء الأندلسيين من نظموا شعرا صوفيا رائعا كابن عربي شيخ المتصوفين، وله قصائد وموشحات صوفية سائرة، وكان هناك اتصال بين متصوفة المشارقة ومتصوفة المغاربة من جراء تبدل الرحلات والتنقل بين الغرب والشرق.

وتيار الزهد والتصوف ظهر مناهضا لتيار المجنون واللهو والترف، ومن الشعراء المتصوفة نجده يرى أن الدنيا دار الفناء، لذا على الإنسان أن يسعى في حياته للفوز بنعيم الجنة في الآخرة، حيث يقول أبو محمد عبد الله بنى العسال:[1]

أنظر الدنيا فإن أبـــ ـصرتها شيئا يدوم

فاغد منها في أمـــان إن يساعدك النعيم

وإذا أثرتها منـــــك على كره تهيـــم

فاسل عنها واطرحـها وارتحل حيث تقيم

**9-الشعر الحماسي:**

إذا كان الشعر الزهدي قد عدت إليه ظروف الشعراء وواقعهم، فلم يكن الأمر كذلك فيما يختص بشعر الحماسة، فقد كان شعراء الأندلس بعيدين عن أن يعشوا عيشة الأطبال والفرسان، لذلك اقتصر شعرهم الحماسي على مدح الملوك ووصف معاركهم الحربية، وكانوا بذلك شعراء مصورين لا شعراء مغاوير يعبّرون عما يجيش في نفوسهم، ولهذا فقد كان المدح غاية الشعر الحماسي، ولم يرتفع من أجل هذ شأنه عندهم، وبقي الدافع إليه التقليد لا العاطفة.

[1] – شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، الأندلس، ص: 56.

كما فضّل الشعراء هنا إلى التوجه إلى شعر الضعف والشكوى والبكاء، ولعل نفسية الشاعر الأندلسي الواعدة المستسلمة لأحلام الطبيعة والرّخاء تلائم هذا النوع من الشعر أكثر من ملاءمتها للشعر الصّاخب القوي الذي امتاز به شعراء المشرق.

وللظروف الإقليمية الطبيعية أثر كبير في نفوس الشعراء، مما قلل من ورح الحماسة، أما صفات البطولة والشجاعة فكانت تأتي على شفاههم متكلفة مصطنعة لفقدان الشعور الصحيح بأنهم يتحلّون بها، كما في حماسات ابن وهبون (ت484هـ) من شعراء المعتمد بن عباد.

**10-الوصف:**

لقد أظهر الأندلسيون في فن الوصف عبقرية نادرة لا سيما عندما تعرضوا إلى وصف الطبيعة وجمال العمران مجالس الأنس والطرب، ولم يظهر الوصف كغرض مستقل وإنما من خلال المدح والغزل وغيرها من الأغراض.

وامتزاجه بالأغراض الأخرى ساعدهم في وصف مظاهر الحياة الحضرية الهانئة من وصف لمجالس اللهو والغناء والرقص والشراب وآليته والصيد وأدواته والنساء وأحوالهن، وهناك شعر وصفي للطبيعة ولمظاهر العمران والقصور، وهناك شعر وصفي للحروب والسلاح والسفن، وغير ذلك مما يتناول الحياة برخائها وحربها، بطبيعتها الجميلة، وبقصورها وساحاتها المرمرية التي زخرفتها يد الإنسان.[1]

**أ-وصف الطبيعة:** لقد وصف الشعراء الأندلسيون أشكال الطبيعة بنوعيها: الصامتة والحية، فوصفوا الحدائق والجبال والطيور والأنهار والزهور...وغيرها، ونمثل لهذا الغرض بوصف أبي الحسن الأستجي الأندلسي عاش في منتصف القرن الخامس الهجري، وهو من أهل قرطبة سكن إشبيلية.

[1] - جودت الركابي، في الأدب الأندلسي، ص: 120.

وقد اشتهر أبو الحسن كثيرا بوصف الرياض من ذلك يقول:[1]

كأنما زهرة النيلوفر اختلســـت قطعا من الليل قد حف الصباح به

فالنور منقطع عن جزم عنصره والليل ممتع منن حكم غيره بـــــه

وكذلك قوله:[2]

كأنما الروض لمـــا وشت يد المزن أرضه

بكل حمراء صرف وكل بيضاء بضـــــه

كواكب في سمـــاء من الزبرجد محضـــه

كأن ظل الأقاحـــي مدامع مرفضـــــــه

أو لؤلؤ فــوق أرض من المها مبيضـــــه

كأنما الورد صـــــدر أبقى به اللثم عضـه

أوخد أغيد قد أخـــ ـجلته حال ممضـــه

كأنما النهر نصـــل جلا الصياقل عرضه

كأنما غدر المـــــا ء في المروج الغضة

إذا التقين مـــــراء أو أكؤس من فضة

كأنما الشمس في الجو وحين يقطع عرضـــه

**ب-وصف الخمر:** وصف الشعراء نتيجة كثرة مجالس اللهو والخمر، فذكروا صفاتها، ومثال ذلك وصف ابن حص الإشبيلي الخمر بالصفراء التي يتوهج شعاعها في كف الفلاح الساقي:[3]

قم يا غلام فسقنيها واطـــرب واشرب عتبت عليك إن لم تشرب

---

[1] – فاضل بنيان محمد وهشام نهاد شعاب، تجليات الطبيعة في شعر أبي الحسن الأستجي الأندلسي، كلية الآداب، الجامعة العراقية، (د.ط، د.ت)، ص ص: 162-163.

[2] – فاضل بنيان، وهشام نهاد شهاب، تجليات الطبيعة في شعر أبي الحسن الأستجي الأندلسي، ص ص: 162-163.

[3] – ابن سعيد المغربي، المغرب في حلي المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة-مصر، ط:3، (د.ت)، ص: 251.

من قهوة صفراء ذات أســـرة في الكأس تأتلق ائتلاق الكوكــب

خضبت تنان مديرها بشعاعها فعل القرارة في شفاه الربـــــرب

كما وصف أبو الحسن الأستجي مجلس شرب في قوله:[1]

فوجه نهارهم بالظل ليل وليلهم بأنجمه نهار

لقد برع الشعراء الأندلسيون في نظمهم في العديد من الأغراض الشعرية، فكان الازدهار الأدبي في الأندلس بشقيه النثري والشعري، وكثرت الدواوين والمؤلفات، وتوجه الإبداع وظهرت فنون شعرية جديدة كالموشحات والأزجال الأندلسية إلى جانب الأغراض التقليدية التي عرفها العرب منذ العصر الجاهلي.

[1] – فاضل بنيان، وهشام نها شهاب، تجليات الطبيعة في شعر أبي الحسن الأستجي، ص: 161.

# المحاضرة الرابعة عشر: الأدب الجزائري القديم

## أولا: الجزائر: الجغرافيا والتاريخ

### 1-الجغرافيا:

تتوسط الجزاؤر في الشمال الإفريقي بين المغرب الأدنى. تونس شرقا، والمغرب الأقصى، ومراكش غرابا، ولذلك سماها جغرافيو العرب المغرب الأوسط، ويحدها شمالا البحر المتوسط، ويمتد عليها ساحلها نحو 1200 كلم[1]، كما تتميز بمناخها الطبيعي المتنوع، ومساحتها واسعة حتى أنها تمثل قارة لوحدها بتنوعها وشساعتها.

### 2-تاريخ الجزائر:

لقد تشرفت الجزائر بالديانة الإسلامية إثر الغزوات التي قادها الفاتحون اتجاه المغرب العربي بعد أن استكملوا فتح مصر، وتولى هذه المهمة-بتكليف من الخليفة معاوية بن أبي سفيان- القائد عقبة بن نافع سنة (50هـ671م) وكان قائدا حربيا ممتازا بعيد النظر، وقد تم له فتح تونس وبناء مدينة القيروان وجعلها منطلقا لباقي الفتوحات.

ولما عزل سنة 55هـ تولى مهامه القائد أبو المهاجر دينار، وصمم على فتح نوميديا أو القسم الشرقي من الجزائر، وتقدم بجيشه حتى بجاية، وواصل سيره إلى موريتانيا الشرقية حتى تلمسان وهو ينشر الإسلام، وسكان الجزائر يقلبون عليه.[2]

ومضى يتغلغل فيها، وكانت الزعامة بها حينئذ لقبيلة أوربة ورئيسها كسيلة، وكان قد جمع الجموع من البربر والروم، والتقى به أبو المهاجر في تلمسان ودارت بينهما معركة حامية الوطيس انهزم فيها جيش كسيلة، ووقع في الأسر، فعامله أبو المهاجر معاملة كريمة جعلته يعتنق الإسلام وأخذت أفواج من قبيلته الكبيرة تدخل فيه.

---

[1] - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، الجزائر، المغرب الأقصى، موريتانيا، السودان، دار المعارف، القاهرة-مصر، ط:1، 1995م، ص: 19.

[2] - المرجع نفسه، ص ص: 23-24.

وعزل أبو المهاجر سنة 62هـ-683م وتولى مكانه عقبة بن نافع، وكان قائدا حربيا باسلا، غير أنه لم يكن سيوسا فأسى إلى كسيلة مما جعله يصر على الانتقام منه.[1]

واستخلف عقبة على القيروان "زهير بن قيس البلوى" وخرج إلى الجهاد في سبيل الله، فاقتحم بلاد الزاب في وسط الجزائر يحالفه النصر، ومضى يفتح بقية الجزائر والمغرب الأقصى حتى طنجة قاعدته، وفتح السوس الأدنى والأقصى، واتجه إلى المحيط، ونادى ربه قائلا: «اللهم إني أشهدك أني وصلت براية الإسلام إلى آخر المعمورة حتى لا يعبد أحد سواك»[2]، ووصل -عقبة- بالجيش الفاتح إلى غاية المحيط الأطلسي، إلى أن توفي عام 63هـ في منطقة "تهودة" بالقرب من بسكرة على أيدي الزعيم البربري كسيلة، فاستكمل "حسان بن النعمان" سنة 71هـ الفتح وعزم "الكاهنة" سنة 80هـ.

وفي سنة 86هـ عين "موسى بن نصير" على المغرب، فعمل على استكمال نشر الإسلام في ربوع المغرب، وأرسل حملات إلى أنحاء كثيرة ثم قام بحملته الكبرى فاكتسح بلاد المغرب حتى طنجة وإقليم السوسو، وولي على طنجة "طارق بن زياد" مولاه البريري، وكان يترك في النواحي التي لم يتم إسلامها من يعلمون أهلها فرائض الصلاة ويحفظونهم القرآن الكريم، وأسلم كثير من البربر في أيامه.[3]

وتم تقسيم المغرب إلى مناطق إدارية أهمها: طنجة وتلمسان والقيروان، وبعدها نشأت بالجزائر قديما دويلات عززت العربية والإسلام وشيدت العمران والثقافة وهي:

أ- **الدولة الرستمية:** وأسسها عبد الرحمن بن رستم الإباضي عاصمتها تيهرت من سنة 160هـ إلى سنة 296هـ.[4]

---

[1] - شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات، ص: 24.

[2] - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] - شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات، ص ص: 25-26.

[4] - محمد زينهم محمد عزب، قيام الدولة الرستمية في المغرب، دار العالم العربي، القاهرة-مصر، ط: 1، 2013م، ص: 334، شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات، ص: 32.

ب- **الدولة العبيدية:** وأسسها عبيد الله الفاطمي الشيعي بين سنتي 296هـ و 361هـ.[1]

ج- **الدولة الصنهاجية:** مؤسسها بلكين بن زيري ابن مناد الصنهاجي بعد أن نقل المعز لدين الله الفاطمي ملكه إلى القاهرة بمصر سنة 361هـ.

د- **الدولة الحمادية:** أعلن قيامها حماد بن بلكين عام 405هـ عاصمتها القلعة ثم بجاية لكنها لم تصمد أمام الموحدين فسقطت سنة 547هـ.

هـ- **الدولة الزيانية:** (633-796هـ-1269-1393م)، وهي من الدول التي انشقت عن دولة الموحدين عاصمتها تلمسان.[2]

**ثانيا: أعلام من الشعر الجزائري القديم**

نستوقف بحثنا في هذا المقام على شخصية جزائرية مشهورة: وهو الشاعر والأديب بكر بن حماد التاهرتي الملقب بشاعر تيهرت.

**1-حياته:**

هو أبو عبد الرحمن بكر بن حماد بن سمك بن إسماعيل الزناتي أو التاهرتي، نشأة بتيهرت وأخذ عن علمائها، ولد سنة 200هـ، والتحق بالقيروان حوالي سنة 217م، فأخذ بها عن الإمام الجليل سحنون، وعوف بن يوسف، ثم انتقل إلى المشرف وطاف بحواضره العلمية الشهيرة لذلك العصر، وتزود بها ما يكفيه من علوم الدين والحديث واللغة والأدب، فأخذ بالبصرة الفقه والأدب واللغة عن جماعة من الشيوخ أمثال: عمرو بن مرزوق وابن الأعرابي والرياشي وبشر بن حجر وأبي حاتم السحبستاني وغيرهم، واتصل بشعرائه الفحول أمثال: دعبل بن علي الخزاعي، وأبي تمام، وحبيب بن أوس، وصريح الغواثي، مسلم بن الوليد، وعلي بن الجهم...وغيرهم، وكان لقاؤه لهؤلاء الفحول في الشعر العربي ذا تأثير على تفتيق موهبته الشعرية وصقل ذوقه الأدبي اللطيف.

[1] - رابح بونار، المغرب تاريخه وثقافته، دار الهدى، الجزائر، ط:3، 2000م، ص: 111.

[2] - ابن دحية الكلبي، المرب من أشعار أهل المغرب، تحق: إبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي، مر: طه حسين، دار العلم للمجتمع للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ص: 41.

كما تأثر بزهد أبي العتاهية، فكان له تأثير على ميله النفسي الزهدي فيما بعد[1]، وهو من أفاضل أهل المغرب[2]، كما سجل مكانة في ذاكرة الأمة الجزائرية، حيث يعد «الشاهد على أول مساهمة للشعب الجزائري في الحضارة العربية الإسلامية، فميلاده في مدينة تيهرت التي لم يمض على إنشائها سوى نصف قرن ونبوغه المبكر إذ استطاع أن يلم بالمعارف المتوفرة وقتها».[3]

ثم عاد بكر إلى القيروان بعد أن أمضى فترة طويلة من حياته في الدراسة والتلقي بالمشرق، وقد ذاع صيته هنالك ومدح الخليفة المعتصم (218-227هـ) وحرضه على قتل دعبل، فهنأه على ذلك أبو تمام ووصل بكر إلى القيروان وهو شيخ من شيوخ الأدب والحديث، وانتصب لإملاء الحديث على الطلاب، وحضر مجالس سحنون[4] للأخذ عنه، كما كان يملي قصائده الشعرية على ناشئة الأدب والزهاد فيسحرهم بأسلوبه وصدق عاطفته، ويثير إعجابهم بمعانيه الزهدية التي تتجاوب وميلوهم النفسية، وكان متواضعا يعترف بالخطأ إذا وقع منه.[5]

ودام بكر بن حماد بالقيروان في التدريس والرواية والتعبد إلى سنة 295هـ، ثم فارقها إلى بلده تيهرت.

وكان سبب صفارته للقيروان وإن كان سياسيا، وهو أنه لما سعى به إلى إبراهيم بن أحمد الأغلبي، خاف من مغبة ذلك وفر بحصبته ولده عبد الرحمن، وفي طريقه إلى بلده

---

[1] – رابح بونار، المغرب العربي، ص: 88.

[2] – خير الدين الزركلي، الأعلام تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت–لبنان، ط: 15، ماي 2002م، 73/2.

[3] – محمد الأخضر عبد القادر السائحي، بكر بن حماد شاعر الغرب العربي في القرن الثالث الهجري، وزارة الثقافة، الجزائر، (د.ط)، 2007م، ص: 09.

[4] – عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الأمة، الجزائر، 2010م، (د.ط)، 242/1.

[5] – مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتب، الجزائر، (د.ط، د.ت)، 70/2.

اعترضه اللصوص وحاولوا سلبه، فقاتلهم فغلبوه وقتلوا أولاده، وأصابوه بجروح مؤلمة مازال يعاني منها حتى توفي بها.[1]

**2-تأثير نكبة ولده عبد الرحمن في نفسه وفي إنتاجه:**

لقد كان قتل ولده عبد الرحمن شديد الأثر على نفسه، ومبعثا لكثير من تصوراته وآرائه في الموت فيما أنتجه من شعر، ومما زاد أنه افتقده وهو في شيوخه متهدمة، وفي طور عجز بالغ، يصف في قصائده حاله وصور آلامه، واستقر بكر بن حماد بتيهرت بعد هجرة طويلة عنها، وأخذ يندب حظه ويكبي شجوه، واتصل بالإمام الرستمي أبي حاتم يوسف (289-294هـ)، وهجاه ثم مدحه معتذرا، واتصل بخلفه الإمام أبي اليقضان (294-296هـ) ومدحه أيضا.[2]

**3-وفاته:**

توفي الشاعر الفذ بكر بن حماد التاهرتي بتيهرت متأثرا بجروحه بعد عمر طويل قضاه بين زهد وربة وإقبال على الدنيا وإعراض عنها سنة 296هـ.[3]

**4-موضوعاته الشعرية:**

طرق بكر بن حماد موضوعات الشعر التقليدية، كالرثاء والمدح والهجاء والزهد والوصف، والاعتذار وأجا فيها جميعا.

أ-**المدح:** يشيد الشاعر بكر بن حماد في المدح بكرم الممدوح وشجاعته ونسبه ومن مديحه، قوله يمدح أحمد بن القاسم إدريس صاحب مدنية "كرت" بالمغرب الأقصى وهو الأشراف الأدراسة.[4]

إن السماحة والمروءة والندى  جمعوا لأحمد من بني القاسم

---

[1] - رابح بونار، المغرب العربي، ص: 89.

[2] - المرجع نفسه، ص: 89.

[3] - ينظر: بكر بن حماد، الدر الوقاد بن شعر بن بكر بن حماد التاهرتي، تح: محود بن رمضان شاوش، المطبعة العلوية، مستغانم-الجزائر، ط: 1، 1385هـ-196م، ص: 52؛ ينظر: رابح بونار، المغرب العربي، ص: 91.

[4] - الديوان، ص: 71.

وإذا تفاخرت القبائل وانتمت فافخر بفضل محمد وبفاطـــم

حيث يمدح الشاعر الأمير ويذكره بمآثره ونسبه الذي يعود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

**ب-الوصف:** يصف جو تيهرت في الشتاء قائلا:[1]

ما أخش البدر وريعانـــــه وأطرف الشمس بتاهـــرت

تبدو من الغيم إذا ما بدت كأنه تنشر من تخـــــــت

نحن في بحر بلا لجـــة تجري بنا الريح على سمت

نفرح بالشمس إذا ما بـدت كفرحة الذمي بالسبـــــت

تتميز تاهرت موطن الشاعر الذي يتميز بالبرد الشديد، فهو يحدد خصائص هذه البلدة دون غيرها مستعينا ليجسد صورة تجمع بين الفرح بشمي تاهرت الذي يوازي فرح اليهودي بيوم السبت.

**ج-الرثاء:** نظم بكر بن حماد في هذا الغرض وله عدة مرثيات من بينها مرثيته الشهيرة التي رثى فيها فلذة كبده عبد الرحمن، فقال بكر بن حماد يرثيه:[2]

بكيت على الأحبة إذ تولـوا ولو أني هلكت بكوا عليـا

فيا نسيلي* بقاؤك كان ذخرا وفقدك قد كوى الأكباد كيـا

كفى حزنا بأنني منك خلـو وأنك ميت وبقيت حيـــا

ولم أك آيسا فيئســـت كما رميت الترب فوقك من يديا

فليت الخلق إذ خلقوا أطالوا وليتك لم تكن يا بكر شيـا

طغى الحزن والبكاء على نفسية بكر بن حماد من فقدان ابنه، وفي القصيدة تأملات حول بقاء الإنسان في الحياة، وترصد الموت له، وتحيف الأيام من عمره.

---

[1] – الديوان، ص: 60.

[2] – الديوان، ص: 86.

* – وفي رواية قوله: "فيا شبلي"، ينظر: رابح بونار، المغرب العربي، ص: 94.

**د-الهجاء:** يفرغ بكر بن حماد في هذا الغرض شحنة سالبة تحتوي ألفاظ السب والشتم، كما عرف الهجاء منذ القديم ولعل سبب ذيوعه يعود إلى أنه مرتبط كثيرا بالنفس.

وطرق بكر موضوع الهجاء المشوب بالمدح بأجاده، ونفت حمه فأصاب مقاتل خصومه، ولعل طبعه في الهجاء وما إليه كان أطوع منه في المديح وتعداد المحاسن ويقول الشاعر هاجيا عمران بن حطان الخارجي ويعارض قصيدته التي مدح بها عبد الرحمن بن ملجمك قاتل الإمام علي كرم الله وجهه رضي عنه.[1]

قل لابن ملحم والأقدار غاليـــة هدمت ويلك للإسلام أركـانا
قتلت أفضل من يمشي على قدم وأول الناس إسلاما وإيمـــانا
واعلم الناس بالقـــــرآن ثم بما سن الرسول لنا شرعا وتبيانا
صهر النبي ومـــولاه وناصـره أضحت مناقبه نورا وبـرهانا

وقد أورد محمد بن رمضان شاوس أن القصيدة تتكون من ستة عشر بيات موضوعها هجاءا قاتل ابن عم رسول الله صلى الله عليم وسلم، الذي صور الشاعر-علي بن أبي طالب رضي الله عنه- على أنه ركن من أركان الإسلام، حيث يتضح ذلك خاصة مع الأبيات الآتية في هجاءه:[2]

إني لأحسبه ما كان من بشـــر يخشى المعاد ولكن كان شيطانـا
أشقى مرّاذ* إذا عدت قبائلـــها وأخسر الناس إذا عند الله ميزانـا
كعاقر الناقة الأولى التي جلبت على ثمود بأرض الحجر خسرانا

يوجه الشاعر وابلا من الأوصاف والشتائم المنبوذة لابن ملحم، ويعتبره عارا على قبيلته، كمال صور الشاعر غضبه لعمله الشنيع الذي قام به قاتل علي كرّم الله وجهه.

[1] - الديوان، ص ص: 62-62.

[2] - الديوان، ص ص: 63-64.

* - مرّاذ: اسم القبيلة التي ينتمي إليها الشقي عبد الرحمن بن ملجم، ينظر: الديوان، ص: 63.

كما شبهه بعاقر الناقة النبي صالح عليه السلام الذي قطع يدا أمدته بالخيرات، وكذلك هو الحال بالنسبة لعلي رضي الله عنه من أحسن شباب المسلمين وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

**هـ-الاعتذار:** نظم بكر بن حماد في الاعتذار أيضا، حيث قال معتذرا إلى أبي حاتم الرستمي بعد أن رجع من العراق، وكان قد أوقع في فتنة اتهم فيها الشاعر في أنه شارك في فتنة أثارتها طائفة من تيهرت اجتمعت حول هذا الأمير، حيث قال:[1]

أبا حاتم ما كان بغصـــــة ولكن أنت بعد الأمور أمور

فأكرهني قوم خشيت عقابهم فدار يتهم والدائرات تـــدور

وأكرم عفو يؤثر الناس عفوه إذا ماعفا الإنسان وهو قدير

**و-الزهد والتأمل في شعره:** لقد تأثر الشاعر بكر بن حماد بالشاعر أبي العتاهية في رحلته إلى المشرق ودرس قصائده الزهدية، وللشاعر طابع خاص به في الزهد لا نجد عند أبي العتاهية وغيره، وهذا الطابع هو الزهد الوجداني الذاتي، فقصائده التي أنشأها في الزهد عبر فيها عن خوالجه ومشاعره، فكانت قصائده لذلك صورة حية لمشاعره الزهدية وعواطفه الخلقية، بخلاف قصائد أبي العتاهية التي أثقلها الأسلوب التقريري وأضعف قوتها العاطفية روح التفكير والتأمل.[2]

وقد نظم بكر بن حماد في الزهد حتى أصبح يتزعم الحركة الزهدية في الأدب المغربي يومئذ كما كان يتزعمها أبو العتاهية -كما قلنا- في الشرق[3] بنظمه قصائد ومقطوعات في الزهد وبين الشاعر حكمه ومواعظه في شعره ويصور السلوك الذي يرسم للإنسان الحياة الكريمة، حيث يقول الشاعر زاهدا:[4]

تبارك من ساس الأمور بعلمه وذل له أهل الســـــــماوات والأرض

---

[1] - الديوان، ص: 83.

[2] - رابح بونار، المغرب العربي، ص ص: 96-97.

[3] - محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط: 02، 2010م، ص: 81.

[4] - الديوان، ص: 96.

ومن قسم الأرزاق بين عبـــاده وفضل ببعض الناس فيها على بعض

من ظن أن الحرص فيها يـزيد فقولوا له يزداد في الطول والعـــــرض

حيث يبث الشاعر نزعته الزهدية فجمع بين الاقتناع والحكمة، ويذكر الإنسان بأن رزقه على الله تعالى، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[1]، ولا يمكن له أن يغير ما قسمه الله له، وبذلك يوصل غايته المتمثلة في تصوير هذه الحقيقية وإرشاد سلوك الإنسان نحو طريق صحيح.

ومن أجمل النصوص الزهدية:

**5-خصائص شعره:** يمتاز شعره بمميزات وخصائص عامة منها:[2]

**أ-إجارة الموضوع الزهدي:** أجاء الشاعر في هذا الموضوع إجادة ملحوظة وأعانه على ذلك مزاجه النفسي المتشائم، وميله الغيبي الموروث من عرقه البربري، وقد أنشأ قصائد فيه نالت إقبالا لدى الفقهاء والزهاد، وازدادت بهالة من الجلال الديني، وبعاطفة زهد متفلسف، وبخيال قوي كثير الصور والتلوين، ولوجدان متدفق حيوية، تغذيه الحرارة والدفء.

**ب-إجادة الرّثاء وشعر التأملات:** أجاد الرثاء لأنه أصيب بولده وأعز الناس إليه، فبكاه وصور لوعة فقده، وأجاء شعر التأملات في الحياة وأحداثها، لأن البيئة التي عاش فيها كانت بيئة فرق إباضية، ومعتزلة، وأصلية، وصفرية، وأهل سنة، وأهل هذه الفرق كانوا يخوضون في أبحاث تتصل بالفلسفة الكلامية اتصالا وثيقا، ومنها مشكلة الخير والشر والغني والفقير، والسعادة والشقاء، والقضاء والقدر، ومصير الإنسان وغيرها.

وقد عرف بكر بن حماد التيهرتي بشعره المتين، لتشربه من نبع الأدب بالمشرق وكثرة رحلاته، مما أكسبه طابعا أدبيا نلمسه في شعره وفي ديوان الضخم الذي يدل على عراقة الإبداع الجزائري القديم وأصالته، بل وواسع ثقافته وحلمه في كل الأمور الأدبية أو العامة.

---

[1] – سورة الذاريات، الآية 22.

[2] – رابح بونار، المغرب العربي، ص: 91.

ومن أجمل النصوص الزهدية هائيته الشهيرة والتي تسيل عذوبة لفظية، وتتبجس شعرية خصبة، ولكنها رقيقة في الآذن ذاته[1]، حيث يقول:[2]

لقد جمعت نفسي فصدت وأعرضت وقد مرقت نفسي فطال مـروقها
فيا أسفي من جنح ليل يقـــودها وضوء نهار لا يزال يســـوقها
إلى مشهد لابد لي من شهـــوده ومن جرع للموت سوف أذوقـها
نشأ كلها الديدان في باطن الثـــرى ويذهب عنها طيبها وخلـــوقها
مواطن للقصاص فيـها مظالـــم تؤدى إلى أهلب الحقوق حقوقها
سحاب المنايا كل يـــوم مظلة فقد هطلت حـــولي ولاح بروقها
وللنفس حاجات تروح وتغتـــدى ولكن أحاديث الزمان يعـــوفها
تجهمت خمسا بعد سبعين* حجة ودام غروب الشمس لي وطلوعها
وأيدي المنايا كل يـــوم وليلـــة إذ افتقـــت لا يستطاع رتـــوقها
يصبح أقواما على حـــين غفلـــة ويأتيك في حيـــن البيات طروقها

[1] – محمد مرتاض، الشعر الوجداني في المغرب العربي، من القرن الثاني الهجري إلى نهاية القرن الخامس الهجري، قراءة جمالية وفنية، دار هومه–الجزائر، 2012م، (د.ط)، ص: 72.

[2] –الديوان، ص ص: 78–79.

* – يوضح هذا البيت أن الشاعر نظم هذه القصيدة وهو في الخامسة والسبعين من عمره، وقد عاش ستا وتسعين سنة، ينظر: محمد مرتاض، الشعور الوجداني، ص: 73.

# الخاتمة

**الخاتمة:**

يزخر الأدب العربي القديم –شعرا ونثرا– بكنوز نفيسة كثيرة، ما تزال بحاجة إلى الدراسات الفاحصة الممتنعة، لإعادة مقاربتها ودراستها، والبحث فيها وفق منهجية حديثة، وذلك بتسليط الضوء عليها للإفادة منها واستلهامها ومعالجتها، ومحاولة النهوض برؤية تفصيلية لجوانب الحياة المختلفة فيه.

وقد وردت نصوص الشعر العربي القديم لتسهم في ترسيخ مذهب أو تأكيد اتجاه أو إثارة فكرة أو قضية أو مناقشة مشكلة حول طبيعة الحياة الفنية أو الاجتماعية أو السياسية أو حتى ظروف الشاعر نشأة وفكرا وثقافة ومذهبا.

# قائمة

## المصادر والمراجع

**قائمة المصادر والمراجع:**


1. الأغاني للأصفهاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج8، 1986م.
2. إبراهيم شحادة، شعر الصراع السياسي في القرن 2هـ شركة كاظمية، الكويت، 1984م.
3. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، 1936م.
4. ابن دحية الكلبي، المرب من أشعار أهل المغرب، تحق: إبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي، مر: طه حسين، دار العلم للمجتمع للطباعة والنشر، بيروت–لبنان.
5. ابن زيدون، ديوانه ورسائله، شرح وتحقيق: علي عبد العظيم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، (د.ط، د.ت).
6. ابن سعيد المغربي، المغرب في حلي المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة–مصر، ط:3، (د.ت).
7. ابن عربي، رسائل ابن عربي، شرح مبتدأ الطوفان ورسائل أخرى، شرح: محمد عباس، وحسين محمد عجيل، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط:1، 1998م.
8. ابن عمار، الديوان، مطبعة الهدى، بغداد، 1975، (د.ط).
9. ابن قتيبة، عيون الأخبار، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، 1963م، (د.ط).
10. أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجُراويّ التّادليّ، الحماسة المغربية، مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب، تحق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت–لبنان، دار الفكر، دمشق–سوريا، ط:1، 1411هـ–1991م.

11. أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن علي بن خلكان، وفيات الأعيان وأبناء الزمان، تحق: يوسف علي طويل، مريم قاسم طويل، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط:1، 1419هـ.

12. أبو العلاء المعري، اللزوميات، حقيقة جماعة من الأخصائيين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1989م، (د.ط).

13. أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، تصحيح: أحمد الشنقيطي، مطبعة التقدم بشارع محمد علي بمصر، (د.ت).

14. أبو تمام، ديوان الحماسة، شرح الخطيب التبريزي، كتب حواشيه وفهارسه غريد الشيخ أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط:1، 1421هـ-2000م.

15. أبو زكرياء يحي علي التبريزي، شرح القصائد العصر، دار الطباعة الميسرية، 1352هـ.

16. أبو زيد محود بن أبي الخطاب القرشي، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية، تحق: علي محمد البجاوي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، د.ت.

17. أبو عبادة الوليد بن عبيد البحتري، الحماسة، تحق: محمد إبراهيم حور، وأحمد محمد عبيد، هيئة أبو ظي، المصدر للثقافة والتراث المجمع التراث المجمع الثقافي، 1428هـ-2007م.

18. أبو عبيدة محمد بن المثنى، ديوان شرخ نقائض جرير والفرزدق، شر، تع: محمد التونجي، دار الجيل، بيروت-لبنان، ط: 2، 2002، ج1.

19. أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تق، وشر: صلاح الدين الهواري، هدى عودة، دار ومكتبة الهلال، بيروت-لبنان، 2002م، (د.ط).

20. أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، في محاسن الشعراء وآدابه ونقده، تق وشر: صلاح الدين الهواري، هدى عودة، دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، 2002، (د.ط).
21. أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحق: محمد عبد المنعم البري، جمعه طاهر النجار، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط: 03.
22. أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، الشعر والشعراء، تحق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة-مصر، ط: 02، 1998.
23. إحسان النص، الأدب العربي في صدر الإسلام والعصر الأموي، الموسوعة العربية، مقال في الإنترنيت، تاريخ النشر: 10 فيفري 2013. www.marefa.org .
24. إحسان عباس، شعر الخوارج، دار الثقافة، بيروت-لبنان، أوت 1923م، (د.ط).
25. أحمد أبو عبد الله الحسين الزوزني، شرح المعلقات السبع الطوال، ضبط وتع: عمر فاروق الطباع، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت-لبنان، ط: 01، 2012م.
26. أحمد الأمين الشنقيطي، المعلقات العشر وأخبار شعرائها، دار النصر للطباعة والنشر، مصر، (د.ط، د.ت).
27. أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط: 10، 1994م.
28. أحمد الشايب، تاريخ النقائض في الشعر العربي، مكتبة النهضة المصرية، د.ط، 1946.
29. أحمد حاجي، المراثي النبوية في صدر الإسلام، رسالة ماجستير في الأدب العربي القديم، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان-الجزائر، 1422هـ-2001-2002م.
30. أحمد سيد محمد، نقائض ابن المعتز وتميم ابن المعز، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ط: 2، ص1980م.

31. أحمد محمد الحوفي، الغزل في العصر الجاهلي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة–مصر، ط:3، (د.ت).

32. الحسين زروق، شعر الأربعين الأدبية 31 في أن الجهاد بالشعر كالنصح بالنيل، مجلة المحجة، ع: 416، 17 مارس 2014. www.almahihhafes.net .

33. الدرر السنية، الموسوعة الحديثة، المشرف العام، علوي بن عبد القادر السقاف. www.dorar.net

34. السراح الطوسي، اللمع في التصوف، تح: رينولد نيكلسون، مطبعة بريل، 1914م.

35. السيد إبراهيم الرضوي، شرح لامية العرب، شر وتحقق وتع: أسماء محمد حسن هيتو، دار الفارابي للمعارف، الشارقة–الإمارات العربية المتحدة، ط: 01، 1430هـ–2009م.

36. السيد عبد الحليم محمد حسين، الفخر والحماسة في الشعر العربي، شبكة الألوكة، تاريخ النشر: 2012/02/27م، 1433/04/04هـ، مقال في الإنترنيت: www.alukah.net.

37. الطاهر الهمامي، الشعر على الشعر، بحث في الشعرية من منظور شعر الشعراء على شعرهم إلى القرن 5هـ/11م، تق: محمود درابسة، عالم الكتب الحديث، عمان–الأردن، ط: 01، 1431هـ/2010م.

38. الطاهر الهمامي، الشعر على الشعر، بحث في الشعرية من منظور شعر الشعراء على شعرهم، تق: محمود درايسة، عالم الكتب الحديث، إربد–الأردن، ط:1، 1431هـ–2010م.

39. الطاهر الهمامي، الشعر على الشعر–بحث في الشعرية من منظور شعر الشعراء على شعرهم، إلى القرن 5هـ–11م، تق: محمود درابسة، عالم الكتب الحديث، إربد–الأردن، 2009–2010م، (د.ط).

40. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مطبعة السعادة، القاهرة–مصر، ط:2، 1332هـ، مج:1.
41. الكلاباذي، التعرف على مذهب أهل التصوف، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 1993م.
42. المعتمد بن عباد، الديوان، تحقيق: حامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي، راجعه: طه حسين، مطبعة ودار الكتب المصرية، القاهرة–مصر، ط:2، 2000م.
43. النعمان عبد العالي القاضي، شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، 1965م، (د.ط).
44. إنعام نوال عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، مراجعة: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط:2، 1417هـ–1996م.
45. آية أحمد زقزوق، خصائص عر الفتوح، مقال في الإنترنيت، موسوعة المرسال، تاريخ النشر: 14 فيفري 2021م، على الساعة: 02.33، متاح على الموقع: www.almrsal.com
46. إيليا الحاوي، فن الهجاء وتطوره عند العرب، دار الثقافة، بيروت–لبنان، د.ط، د.ت.
47. بشار بن برد، الديوان، تحقيق: محمد الطاهر بن عاشور، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة–مصر، 1954م، (د.ط).
48. بكر بن حماد، الدر الوقاد بن شعر بن بكر بن حماد التاهرتي، تح: محمود بن رمضان شاوش، المطبعة العلوية، مستغانم–الجزائر، ط: 1، 1385هـ–196م.
49. بوجمعة جمي، ظاهرة الحذف في شعر البحري، دراسة بلاغية إيقاعية، كلية الآداب، جامعة ابن زهر، أكادير، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء–المغرب، ط:1، 1424هـ–2003م.

**50.** جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تفسير الجلالين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة–مصر، (د.ط، د.ت).

**51.** جودت الركابي، في الأدب الأندلسي، دار المعارف، القاهرة–مصر، ط:2، 1966م.

**52.** حرشاوي جمال، الخصائص الأسلوبية في شعر الصعاليك (الشنفرى أنموذجا) أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي، جامعة أحمد بن بلة–وهران–الجزائر، 2015–2016.

**53.** حكيمة بوشلالق، استنساخ نص الميح النبوي من التأسيس إلى اكتمال النموذج، أطروحة دكتوراه علوم في الأدب العربي، جامعة محمد بوضياف، المسيلة–الجزائر، 2016–2017م.

**54.** خالد محمود عزام، جرير شاعر النقائض الأموية والنزعة الدينية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط: 1، 2007م.

**55.** خير الدين الزركلي، الأعلام تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت–لبنان، ط: 15، ماي 2002م.

**56.** دانمازين، وأم عارفة كودورث، تحليل معلقة امرؤ القيس في العصر الجاهلي، البلاغة والرمزية، مقال في الإنترنيت، تاريخ النشر: 15 جويلية 2019.

**57.** ديوان ابن الفارض، شرح مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط:1، 2011م.

**58.** ديوان أبي الطيب المتنبي، شرح: عبد الرحمن الرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت–لبنان، (د.ط، د.ت).

**59.** ديوان أبي العتاهية، در بيروت للطباعة والنشر، بيروت–لبنان، 1406هـ–1986م.

**60.** ديوان أبي تمام، شرح الخطيب التبريزي، تق: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت–لبنان.

**61.** ديوان أبي فراس الحمداني، شرح خليل الدويهي، دار الكتاب العربي، بيروت–لبنان، (د.ط، د.ت).

**62.** ديوان أبي نواس، برواية الصولي، تحق: بهجت عبد الغفور الحديثي، دار الكتب الوطنية، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، ط:1، 1431هـ–2010م.

**63.** ديوان البحتري، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، القاهرة–مصر، ط:3، 2009م.

**64.** ديوان الحطيئة، شرح ابن السكيت، دراسة: مفيدة محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط:1، 1413هـ–1993م.

**65.** ديوان الخنساء، دراسة وتحقيق: إبراهيم عوضين، مطبعة السعادة، مصر، ط: 1، 1405هـ1985م.

**66.** ديوان الشنفرى، عمرو بن ملك، جمعه وحققه وشرحه: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العرب، ط:02، 1417هـ–1996م.

**67.** ديوان المتنبي، دار بيرون للطباعة والنشر، بيروت–لبنان، 1403هـ–1983م.

**68.** ديوان المعتمد بن عباد ملك إشبيلية، تحق: حامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي، مر: طه حسين، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة–مصر، ط:2، 1421هـ–2000م.

**69.** ديوان بشار بن برد، شرح وتحقيق: محمد الطاهر بن عاشور، مر: محمد شوقي أمين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة–مصر، 1386هـ–1966م.

**70.** ديوان تأبط شرا، تق: طلال حرب، دار صادر، بيروت–لبنان، ط: 01، 1996م.

**71.** ديوان جميل بن معمر، دار صادر، بيروت–لبنان، (د.ط، د.ت)، ص: 580.

**72.** ديوان حسان بن ثابت، تحق، وتع: وليد عرفات، دار صادر، بيروت–لبنان، ط: 3، 2012م.

73. ديوان طفيل الغنوي، شرح الأصمعي، تحق: حسان فلاح أوغلي، دار صادر، بيروت–لبنان، ط:1، 1997م.
74. ديوان عروة بن الورد أمير الصعاليك، دراسة وشرح وتحقيق: أسماء أبو بكر محمد، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 1418هـ–1998م.
75. ديوان عفيف الدين التلمساني، دراسة وتحقيق، يوسف زيدان، دار الشروق، (د.ط، د.ت).
76. ديوان عمر بن أبي ربيعة، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: محمد فايز، دار الكتاب العربي، بيروت–لبنان، ط:02، 1996م.
77. ديوان قيس بن الملوح مجنون ليلى، شرح: زكي درويش، دار الثقافة، بيروت–لبنان، ط:01، 1971م.
78. رابح بونار، المغرب تاريخه وثقافته، دار الهدى، الجزائر، ط:3، 2000م.
79. راضية لرقم، محاضرات في النص الأدبي القديم–شعر، مطبوعة جامعية موجهة لطلبة السنة الأولى ليسانس LMD، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة–الجزائر، السنة الجامعية: 2019–2020م.
80. رثاء الأندلس لأبي البقاء الرندي، جمعه: عيسى بن محمد الشامي، كنوز الأندلس، (د.ط، د.ت).
81. رضوان السائحي، شعر السجون القصيدة كمعبر للحرية المعتمدين عباد أنموذجا، عن الموقع الإلكتروني: www.alakhbar.press.ma
82. زاهر سعيدي، حول حقيقة زهديات أبي العتاهية، مجلة التراث الأدبي، السنة2، ع:8.
83. زكي مبارك، المدائح النبوية في الأب العربي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت–لبنان، (د.ط، د.ت).
84. سراج الدين محمد، الزهد والتصوف والتصوف في الشعر العربي، دار راتب الجامعية، بيروت–لبنان.

**85.** سعاد ترشاق، محاضرات في النص الأدبي القديم، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف، الجزائر، 2016-2017م.

**86.** شرح ديوان لبيد بن ربيعة، تحق: إحسان حباس، الكويت، 1962م، (د.ط).

**87.** شعر دعبل بن علي الخزاعي، صنفه، عبد الكريم الأشتر، دمشق-سوريا، ط:2، 1983م-1403هـ.

**88.** شعر زهير بن أبي سلمى، تحقيق: فخر الدين قباوة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت-لبنان، ط:3، 1400هـ-1980م.

**89.** شكري فيصل، تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، من امرؤ القيس إلى ابن أبي ربيعة، دار الملايين، بيروت-لبنان، ط:5، 1996م.

**90.** شهيناز ظهير، موقف الإسلام عن الشعر، مجلة القسم العربي، جامعة تيجاب، لاهور-باكستان، ع: 19، 2012م.

**91.** شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، القاهرة-مصر، ط:11، (د.ت).

**92.** شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة-مصر، ط: 11، (د.ت).

**93.** شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، الجزائر، المغرب الأقصى، موريتانيا، السودان، دار المعارف، القاهرة-مصر، ط:1، 1995م.

**94.** شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي-العصر الإسلامي-، دار المعارف، القاهرة-مصر، ط: 11، 1963م.

**95.** صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري، كتاب الحماسة البصرية، مكتبة الخانجي، مصر (د.ط)، (د.ت).

**96.** صفي الدين عبد العزيز بن سرايا الحلي، نتائج الألمعية في شرح الكافية البديعية، مؤسسة الرسالة، ط: 1، 1421هـ-2000م.

**97.** صلاح عيد، الغزل العذري، حقيقته الظاهرة وخصائص الفن، مكتبة الآداب، القاهرة–مصر، ط:1، 1414هـ/1993م.

**98.** صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشروق، القاهرة–مصر، ط: 02، (د.ت).

**99.** طه عبد الباقي سرور، محي الدين بن عربي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة–مصر، 26 أوت 2012م، (د.ط).

**100.** عباس محمود العقاد، شاعر الغزل عمر بن أبي ربيعة، مؤسسة هنداي للتعليم والثقافة، ط:2، 2001م.

**101.** عبد الباقي الخزرجي، الشعر في يثرب قبل الإسلام، كتاب ناشرون، بيروت–لبنان، ط: 1، 2011.

**102.** عبد الحميد جيرة، مقدمة لقصيدة الغزل العربية، دار العلوم العربية، بيروت–لبنان، ط:01، 1412هـ–1992م.

**103.** عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، دار الكتاب العربي، بيروت–لبنان، ط:2، 1986م.

**104.** عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار الأمة، الجزائر، 2010م، (د.ط).

**105.** عبد الرحمن عبد الحميد علي، الأدب العربي، العصر الإسلامي والأموي، دار الكتاب الحديث، ط:1، 2005م.

**106.** عبد الفتاح شهيد، الاشتغال الجمالي للمعنى الأخلاقي، دراسته في شعرية المدائح النبوية، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، عمان–الأردن، ط: 01، 2015م–1436هـ.

**107.** عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة–مصر، ط:4، 1418هـ–1997م.

**108.** عبد الله التطاوي، حركة الشعر بين الفلسفة والتاريخ، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة–مصر، 1992م، (د.ط).

**109.** عبد المنعم الخفاجي، الأدب الأندلسي التطور والتجديد، دار الجيل، بيروت–لبنان، ط:1، 1990م.

**110.** عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام، دار الجيل، بيروت–لبنان، ط:1، 1990.

**111.** علي جميل مهنا، الأدب في ظل الخلافة العباسية، جامعة القاضي عياض، مراكش–المغرب، ط:1، 1981م.

**112.** علي فاغور، ديوان الفرزدق، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، (د.ط، د.ت).

**113.** عمر الدقاق، مصادر التراث العربي في اللغة والمعاجم والأدب والتراجم، منشورات كلية الآداب، جامعة حلب–سوريا، ط:5، 1977م.

**114.** فاضل بنيان محمد وهشام نهاد شعاب، تجليات الطبيعة في شعر أبي الحسن الأستجي الأندلسي، كلية الآداب، الجامعة العراقية، (د.ط، د.ت).

**115.** فؤاد أقرام البستاني، الشعر الجاهلي، نشأته–فنونه–صفاته، المطبعة الكاثوليكية، بيروت–لبنان، 1937م، (د.ط).

**116.** فوزي عيسى، الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، دار الفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية–مصر، ط:1، 2007م.

**117.** فوزي محمد أمين، في شعر صدر الإسلام والعصر الأموي، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ط:1، 1997م.

**118.** فوزي عيسى، فن الهجاء في الأدب الأندلسي، دار المعارف، القاهرة–مصر، (د.ط، د.ت).

**119.** قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 1948، (د.ط).

**120.** مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتب، الجزائر، (د.ط، د.ت).

**121.** محمد الأخضر عبد القادر السائحي، بكر بن حماد شاعر الغرب العربي في القرن الثالث الهجري، وزارة الثقافة، الجزائر، (د.ط)، 2007م.

**122.** محمد الرابع الحسن الندوي، الأدب الإسلامي، وصلته بالحياة مع نماذج من صدر الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، 1985م-1405هـ.

**123.** محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط: 02، 2010م.

**124.** محمد المصباحي، نعم ولا، الفكر المنفتح عند ابن العربي، مقاربات فكرية، منشورات الاختلاف، دار الأمان، الرباط-المغرب، ط:1، 1433هـ-2012م.

**125.** محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، قروشر أبو فهم محمود محمد شاكر، شركة القديس للنشر والتوزيع، مصر، (د.ط، د.ت)، مج:1.

**126.** محمد جاسر أسعد، شعر السجن عند ابن زيدون الأندلسي، دراسة وصفية وتحليلية، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، عدد خاص، فبراير 2012م.

**127.** محمد جلال الدين ابن منظور، لسان العرب، طبعة جديدة محققة، دار صادر-بيروت، ط4، 2005م، (مج:4 -6-7-8-10-13-15).

**128.** محمد جلال الدين بن منظور، لسان العرب، طبعة جديدة منقحة، دار صادر، بيروت-لبنان، ط: 4، 2005م، مج: 6.

**129.** محمد حسن أمرائي، شهريار همتي، قراءة فنية وأسلوبية في قصيدة "الرائية الكبرى" لعمر بن أبي ربيعة وميزاتها العاطفية، مجلة بحوث في اللغة العربية، تصدر عن كلية اللغات الأجنبية بجامعة أصفهان، ع:12، 1436هـ.

**130.** محمد رياض المالح، الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي، سلطان العارفين وإمام المحققين وبقية المجتهدين، المجمع الثقافي، الإمارات العربية، أبو ظبي، ط:1، 2007م.

**131.** محمد زينهم محمد عزب، قيام الدولة الرستمية في المغرب، دار العالم العربي، القاهرة–مصر، ط: 1، 2013م.

**132.** محمد سهيل طقوس، تاريخ العرب الإسلام، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان، ط: 1، 1430هـ–2009م.

**133.** محمد شمس عقاب، المراثي النبوية في أشعار الصحابة توثيق ودراسة، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، ط:1، 1435هـ–2013م.

**134.** محمد عباسة، الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع، مستغانم–الجزائر، ط:1، 1433هـ–2012م.

**135.** محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب في التراث الصوفي، دار غريب، القاهرة–مصر، 1998م.

**136.** محمد عبد المنعم خفاجي، الحياة الأدبية بعد ظهور الإسلام، دار الجيل، بيروت–لبنان، 1410هـ1990م، (د.ط).

**137.** محمد محمد أبو موسى، دلالات التركيب، دراسة بلاغية، مكتبة وهبة، القاهرة–مصر، طبعة 1429هـ.

**138.** محمد محي الدين عبد الحميد، شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة المخزومي، مطبعة السعادة، مصر، ط:1، 1952م.

**139.** محمد مرتاض، الشعر الوجداني في المغرب العربي، من القرن الثاني الهجري إلى نهاية القرن الخامس الهجري، قراءة جمالية وفنية، دار هومه–الجزائر، 2012م، (د.ط).

**140.** محمد مصطفى أبو شارب، أدب العصر الأموي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية–مصر، ط:1، 2007م.

**141.** محمد مصطفى هدارة، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، دار المعارف، القاهرة–مصر، ط 1963م.

**142.** محمد مصطفى هدارة، اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، دار المعارف، القاهرة–مصر.

**143.** محمود سليم محمد صباحنة، الخطاب الديني في الشعر العباسي، علم الكتب الحديث، عمان–الأردن، ط:1، 1430هـ–2008م.

**144.** محمود علي مكي، المدائح النبوية، الشركة المصرية العالمية، لونجمان، مصر، ط:1، 1991م.

**145.** مهدي محمد ناصر الدين، شرح ديوان جرير، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، د.ط، 1995.

**146.** موسوعة ويكيبيديا، www.wikipedia.org

**147.** ناهد أحمد السيد الشعراوي، شعراء بين عامر الأمويون، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية–مصر، ط2005م.

**148.** هبة الله بن علي بن حمزة العلوي الحسني ابن الشجري، الحماسة الشجرية، تنسيق وفهرسة: الشويحي، تحق: عبد المعين الملوحي وأسماء الحمصي، مكتبة الدكتور مروان العطية، دمشق–سوريا، 1970م، القسم الأول.

**149.** وليد قصاب، ديوان عبد الله بن رواحة ودراسته في سيرته وشعره، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض–السعودية، ط:1، 1402هـ–1982م.

**150.** يحي الجبوري، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، مؤسسة الرسالة، بيروت–لبنان، ط:5، 1407هـ–1986م.

**151.** يحي الجبوري، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، مؤسسة الرسالة، بيروت–لبنان، ط:5، 1407هـ–1986م.

**152.** سير أعلام النبلاء، المكتبة الإسلامية، الجزء الثامن، ص: 455، مقال في الإنترنيت: www.islamweb.net.

**153.** يوسف خليق، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط: 3، 1978.

# فهرس المحتويات

# فهرس المحتويات

**مقدمة** ..... 01

**المحاضرة الأولى: الشعر العربي القديم تاريخيا وجغرافيا** ..... 04

أولا: بلاد العرب جغرافيا ..... 04

ثانيا: الأدب العربي تاريخيا ..... 05

ثالثا: فنون الشعر العربي القديم ..... 07

رابعا: خصائص الشعر الجاهلي ..... 11

**المحاضرة الثانية: المعلقات مضامينها وأساليبها** ..... 13

أولا: تعريف المعلقات ..... 13

ثانيا: نموذج من المعلقات ..... 13

**المحاضرة الثالثة: شعر الصعاليك** ..... 21

أولا: الصعلكة والصعاليك ..... 21

ثانيا: موضوعات شعر الصعاليك ..... 22

ثالثا: أبرز شعراء الصعاليك ..... 24

رابعا: لامية العرب للشنفرى ..... 30

**المحاضرة الرابعة: الشعر في صدر الإسلام (شعر الفتوحات)** ..... 31

أولا: الحياة الأدبية في صدر الإسلام ..... 31

ثانيا: موقف الإسلام من الشعر والشعراء ..... 32

ثالثا: مفهوم شعر الفتوحات ..... 33

رابعا: خصائص شعر الفتوح ..... 36

خامسا: أهم شعراء الفتوحات ..... 37

**المحاضرة الخامسة: المراثي النبوية** ..... 48

أولا: مفهوم غرض الرثاء ..... 48

ثانيا: المراثي النبوية..... 50
ثالثا: الخصائص الفنية في المراثي النبوية..... 50
رابعا: نموذج من رثاء الصحابي الشاعر حسان بن ثابت للرسولﷺ ..... 57
**المحاضرة السادسة: شعر النقائض**..... 62
أولا: مفهوم النقائض..... 62
ثانيا: المسار التاريخي لشعر النقائض..... 64
ثالثا: أسباب نشأة وازدهار شعر النقائض في العصر الأموي..... 65
رابعا: خصائص شعر النقائص..... 73
خامسا: طبيعة التكوين الفني لقصيدة النقائض..... 78
**المحاضرة السابعة: الشعر العذري والشعر العُمري**..... 81
أولا: مفهوم الغزل..... 81
ثانيا: أنواع الغزل..... 81
**المحاضرة الثامنة: الزهد والتصوف**..... 91
أولا: شعر الزهد..... 91
ثانيا: شعر التصوف..... 94
**المحاضرة التاسعة: شعر الحماسة**..... 103
أولا: مفهوم شعر الحماسة..... 103
ثانيا: معاني وموضوعات شعر الحماسة..... 105
ثالثا: تدوين جمع شعر الحماسة..... 106
**المحاضرة العاشرة: الشعر السياسي في المشرق والمغرب**..... 115
أولا: الشعر السياسي في المشرق والمغرب..... 115
ثانيا: شعر السجون..... 125
ثالثا: رثاء المدن والممالك الزائلة..... 128
رابعا: رثاء أعدن والممالك الزائلة..... 129

**المحاضرة الحادية عشر: الشعر الفلسفي وشعر الحكمة** ..... 130
أولا: الشعر الفلسفي ..... 130
ثانيا: شعر الحكمة عند العرب ..... 133
**المحاضرة الثانية عشر: الموشحات والأزجال الأندلسية** ..... 138
أولا: تعريف الموشحات ..... 138
ثانيا: الأزجال الأندلسية ..... 144
**المحاضرة الثالثة عشر: الشعر الأندلسي** ..... 150
أولا: أغراض الشعر الأندلسي ..... 150
**المحاضرة الرابعة عشر: الأدب الجزائري القديم** ..... 161
أولا: الجزائر: الجغرافيا والتاريخ ..... 161
ثانيا: أعلام من الشعر الجزائري القديم ..... 163
**الخاتمة** ..... 172
**قائمة المصادر والمراجع** ..... 174
**فهرس المحتويات** ..... 190